بسم الله الرحمن الرحيم

تصدر عن
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية
العتبة الحسينية المقدسة

العدد التاسع والعشرون
السنة الثامنة (١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمّد السند
آية الله الشيخ محمّد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم
آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمّد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير :

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

مدير التحرير :

الشيخ عدنان الطائي

هيئة التحرير :

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلمان

د. الشيخ رغدان المنصوري

المقابلة وتقويم النص :

الشيخ عصام السعيدي

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي :

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية :

الشيخ حيدر علي البهادلي

الإشراف العام :

سماحة العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

التنسيق العام :

السيّد صالح التنكابني

السيّد مالك البطاط

أ. م. د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة :

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة :

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي : ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة فصلية علمية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافّة حقول المعرفة الدينية.

٥ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعو (مجلّة الإصلاح الحسيني) الأساتذةَ والباحثين والمحقّقين الفضلاء، وكلّ مَن لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة وأركانها.
- ألّا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتّبعة (مقدمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أُصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبّتة في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلّة غير ملزَمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

تنويه

- يُسلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسَل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلّة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قِبل لجنة مختصّة.
- للمجلّة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشَر.
- من صلاحيات المجلّة إجراء التعدّيلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنّية.
- المجلّة تتّبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.
* النجف الأشرف: الجديدة الثانية ـ مكتبة دار الهلال.
* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.
* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
* إيران/ قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
* إيران/ قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.
* إيران/ قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التقرير

مدخل إلى الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ صباح عبّاس الساعدي ١٥

ملف العدد

الأبعاد القرآنية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام (١)

ندوة: الخطاب القرآني في النهضة الحسينية.. دراسة في الاستعمال والتوظيف

د. السيد نذير الحسني ٤٥

تجلّي آيات من القرآن الكريم في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

علي كريم بورقراملكي/ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي ٦١

الذبيح في القرآن الكريم (وفديناه بذبح عظيم)

الشيخ رافد التميمي ٩٧

النهضة الحسينية في مواجهة التطبيق الخاطئ للقرآن الكريم

الشيخ ميثم اليعقوبي ١٢٣

معالجة الشبهات حول النهضة الحسينية في ضوء القرآن الكريم

د. الشيخ أسعد علي السلمان ١٥١

القرآن وأهل البيت عليهم السلام يمثلان النظرية والتطبيق.. الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

الشيخ عبد الرزاق النداوي ١٨٩

السنن الإلهيّة في آيٍ نَطَقَ بها الرأس الشريف

الشيخ حيدر العريضي ٢١٩

صورة الشعائر الحسينية في دائرة المعارف القرآنية

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي ٢٤٧

دراسات حسينية

دور الشباب في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عبد الله أحمد اليوسف ٢٦٧

أزواج الإمام الحسين عليه السلام دراسة تاريخية تحليلية.. الحلقة الأُولى: شاهزَنان الساسانية

شاكر الغزي ٢٩٩

مشهد المُحسن بن الإمام الحسين عليه السلام بحلب.. دراسة في التاريخ والعمارة

د. أحمد خامه يار ٣١٩

مقالات ذات صلة بملف العدد

مقالات ذات صلة بملف العدد ٣٤٧

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٤٩

مقال التحرير

مدخل إلى الحضور القرآني
في بيانات الإمام الحسين عليه السلام

مدخل إلى الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام[1]

الشيخ صباح عبّاس الساعدي*

مقدّمة

نتناول في هذا المدخل التمهيدي جانباً من الجوانب المهمة التي لها علاقة وثيقة بواقعة الطف، وهو ما يرتبط بالأبعاد القرآنية في بيانات الإمام الحسين عليه السلام، متناولين فيه الآيات القرآنية التي وُظّفت من قِبله عليه السلام في خطاباته الصادرة إبان نهضته المباركة، وقد اخترنا من ذلك موضوع (**الحضور القرآني في بياناته** عليه السلام)؛ ليكون مدخلاً رئيساً ومهماً إلى مجموعة من المواضيع التي سنتناولها في سلسلة متراتبة حول الأبعاد القرآنية التي وردت في بياناته عليه السلام، ومدى ارتباطها بالحدث الذي أدّى إلى استشهاده عليه السلام، بعد استشهاد جميع مَن كان معه من أهل بيته وأصحابه؛ إذ نؤمن بضرورة البحث عن علاقة الآيات التي قرأها الإمام الحسين عليه السلام وقام بتطبيقها على نفسه من جهة، وأيضاً مدى توافق تلك الآيات مع المضامين الواردة في الزيارات التي صدرت عن الأئمّة عليهم السلام في حق الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الذين استُشهدوا في واقعة الطف في بحث مستقل آخر، ثمّ تناول العلاقة بين الآيات التي قرأها في حق أهل بيته وأصحابه ومدى علاقتها بهؤلاء الشهداء الكرام الأبرار، وكذا البحث حول مدى انطباق بعض الآيات التي استشهد بها عليه السلام على المخاطَبين الذين حضروا في الجبهة

---

(١) البحث عبارة عن محاضرة في ندوة علمية أُلقيت في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية فرع الأهواز، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠١٨م.

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

المعادية من جهة أُخرى، وقد أفردنا لكل موضوع من المواضيع المتقدّمة بحثاً مستقلاً نطمح أن يتم نشره في أعداد مجلّة الإصلاح الحسيني ضمن سلسلة بحوث.

السابقة الدراسية

قبل الدخول في البحث حول الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام نود أن نشير إلى السابقة الدراسية حول الآيات القرآنية، أو محورية القرآن والمساحة التي تشغلها في واقعة الطف، أو الآيات التي تناولها العلماء والباحثون في كتبهم وبحوثهم التي سُلّط الضوء فيها للنظر في العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم، لمعرفة هل أنّ هناك من البحوث والدراسات ما تلتقي مع الدراسة التي يسعى الباحث لتناولها في هذه السلسلة المذكورة آنفاً.

وفي حدود اطّلاعنا ـ وبعد التتبع والمسح الميداني ـ فقد وقفنا على مجموعة قليلة من الكتب المستقلة، أو البحوث والدراسات القرآنية المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام في ثنايا المجلات، كما أنّ هناك بعض البحوث التي نُشرت في المواقع الإلكترونية[1]، فقد كتب في هذا الموضوع مجموعة من العلماء والباحثين من الطيف الحوزوي والأكاديمي، إلّا أنّ معظمها أجنبي عن الموضوع الذي يراد بحثه في هذا المشروع، كما أنّ ما كان مرتبطاً بموضوع بحثنا لم يكن متناسباً مع حجم المسألة وأهميتها[2].

(١) ما قمنا به من مسح ميداني إنّما كان حول التاجات التي كُتبت باللغة العربية، وأمّا البحوث أو المقالات التي كتبت بلغات أُخرى فقد تكون غير قليلة؛ إذ إننا وجدنا مجموعة من المقالات التي كُتبت باللغة الفارسية يجدها القارئ الكريم في (مركز التحقيقات الكومبيوترية للعلوم الإسلامية ـ نور) وغيره من المجلات والمواقع الإلكترونية الإيرانية، فضلاً عن بقيّة اللغات الأُخرى التي ليست لنا معرفة بها.

(٢) بما أنّ هذا البحث قد أُعدَّ لغرض طرحه في ندوة علمية مشتركة مع جامعة القادسية بتاريخ ١٤/ ٣/ ٢٠١٧م ـ التي لم تسمح الظروف بانعقادها وقتئذٍ ـ فقد أجريت هذه الإحصائية في ذلك الوقت، ثمّ أُلقيت هذه المحاضرة في مدينة الأهواز، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠١٨م. بدعوة من قِبل مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية، إحدى فروع مؤسستنا هناك، وحينها لم نحصل على نتاجات ذات صلة بالملف القرآني سوى العناوين التي أُدرجت آنفاً.

وكيف كان، فإن البحوث التي تطرّقت إلى البعد القرآني في النهضة الحسينية لا تتجاوز عدد أصابع اليدين، وسوف نذكر قائمة بأسماء بعض مَن تطرّق إلى ذلك مع العناوين التي تناولوها في حدود اطّلاعنا:

١ـ الشيخ محمد جواد مُغنية؛ له كتاب عنوانه (الحسين والقرآن)، وهو من الكتب القيّمة والمهمة جداً، احتوى على مطالب دقيقة ونكات مفيدة، معتمداً في معظمها على الآيات القرآنية، إلّا أنّ مطالبه أجنبية عن موضوعنا؛ إذ إنّ كتابه هذا عبارة عن محاولة لإبراز أنّ الإمام الحسين عليه السلام ترجم القرآن بروحه وعمله ولحمه ودمه، كما ذكر ذلك في المقدّمة[١]، وكما هو واضح من ثنايا مطالب الكتاب. ويمكن للقارئ أن يجد ذلك في مؤلفه القيّم الموسوم بـ(عقليات إسلامية)[٢].

٢ـ د. محمد علي رضائي الإصفهاني؛ في بحثه الموسوم بـ (المباني القرآنية لنهضة

إلّا أنّنا ومنذُ مدّة قصيرة ـ ومن خلال المتابعة المستمرة حول الموضوع ـ اطّلعنا على رسالة ماجستير للباحث وسيم راقم رحيم، تحت عنوان (توظيف النص القرآني في الثورة الحسينية/ دراسة تفسيرية تحليلية) تمّت مناقشتها في كلية الفقه/ جامعة الكوفة بتاريخ ١٠/ ٦/ ٢٠١٩م، فاقتضى التنويه.

ومع أنّ هذه الرسالة القيّمة تلتقي مع ما تناولناه في هذه السلسة من حيث المادة والنصوص التي اعتمدها الباحث وهي الآيات القرآنية التي وردت في بيانات الإمام الحسين عليه السلام ـ بالإضافة إلى الآيات التي وظّفها أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الشهداء، بل إنّه أورد كذلك الآيات التي استدل بها أعداء الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده كما في الآيات التي استشهد بها ابن زياد ويزيد بن معاوية وغيرهما ـ إلّا أنّ الآلية التي اتّبعها مختلفة عمّا نقوم به هنا؛ إذ كانت أدوات بحثه معتمدة على علم الألسنيات ونظرياته الحديثة: «عِبْرَ التحليل الصوتي، والتحليل المُعجمي، والتحليل الصرفي، والتحليل النحوي، والتحليل الايحائي، والتحليل السياقي القرآني...» ـ على ما ذكره في ص٦ وما وقفنا عليه من خلال قراءتنا لمحتوى الرسالة ـ في حين أنّنا سعينا لتوظيف نظرية الجري والانطباق في محاولة جادّة لمعرفة العلاقة بين الأشخاص الذين نزلت في حقّهم هذه الآيات المباركة وبين مَن طبق الإمام الحسين عليه السلام الآيات المباركة في حقّهم، من خلال قراءة الوقائع التي عاشتها الذوات التي طُبقت الآيات في حقّهم، بعد البحث عن المعنى التفسيري لهذه الآيات المباركة.

(١) أُنظر: مُغنية، محمد جواد، عقليات إسلامية: ج٢، ص٥٠٩.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

عاشوراء). وهو أيضاً من البحوث القيّمة، إلّا أنّه لا علاقة له بموضوعنا، فقد تناول الكاتب في بحثه بعض الآيات القرآنية التي يمكن أن تكون مستنداً لنهضة الإمام الحسين عليه السلام والأهداف التي خرج من أجلها، ويستطيع القارئ أن يطّلع على هذا البحث في العدد الخامس من مجلّة الإصلاح الحسيني الصادرة عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية[1].

٣ـ الأُستاذ مرتضى الباشا؛ إذ كتب بحثاً بعنوان (الإمام الحسين والقرآن الكريم)، وقد تناول في بحثه هذا الآيات النازلة في الإمام الحسين عليه السلام. وهو من البحوث التي لا علاقة لها بموضوع بحثنا. يجده القارئ منشوراً في الموقع الإلكتروني لدار السيّدة رقية عليها السلام[2].

٤ـ الشيخ إسكندر الجعفري؛ تطرّق إلى بعض الآيات القرآنية ضمن بحثه الموسوم بـ(تكلُّم الرأس الشريف في مصادر الفريقين)، وهو من البحوث القيّمة التي تناولت الآيات التي تلاها الإمام الحسين عليه السلام بعد أن فُرّق بين رأسه وجسده، ورُفع رأسه فوق الرمح، وهو من الدراسات التوثيقية للآيات التي تكلّم بها الرأس الشريف. ويجد القارئ هذا البحث في العدد السابع من مجلّة الإصلاح الحسيني[3].

٥ـ الشيخ رسول كاظم عبد السادة؛ له بحث بعنوان: (الشواهد القرآنية في النهضة الحسينية). وقد عمل الباحث على الجانب التوثيقي للشواهد القرآنية التي استشهد بها الإمام الحسين عليه السلام، وهو من البحوث التي قد يبدو للقارئ الكريم أنّ لها علاقة بموضوع بحثنا، حيث تناول الآيات التي استشهد بها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، إلّا أنّ مهمة الباحث قد اقتصرت على الجانب التوثيقي ولم يتناول الجانب التحليلي إطلاقاً، ويجده القارئ الكريم منشوراً في العدد التاسع من مجلّة العقيدة،

(١) أُنظر: مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد٥، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م: ص٣٩.
(٢) أُنظر: الموقع: http://www.ruqayah.net/subject.php?id.
(٣) أُنظر: مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد٧، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م: ص١٩٩.

الصادرة عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية[1].

٦ـ أ. م. د. خولة مهدي الجرّاح؛ في بحثها الموسوم بـ: (المبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينية)، ويُعنى بالبحث حول مبادئ وأُسس نهضة الإمام الحسين عليه السلام من منطلق قرآني، وهو من البحوث التي شاركت فيه الباحثة في مؤتمر الإصلاح الحسيني الأول، الذي أقامته مؤسسة وارث الأنبياء بالاشتراك مع كلية التربية المختلطة في جامعة الكوفة، وقد نُشر في العدد الرابع عشر من مجلّة الإصلاح الحسيني[2].

٧ـ أ. د. فاطمة عبد الأمير الفتلاوي، و م. د. زهراء رءوف الموسوي في بحثهما الموسوم بـ: (الترغيب والترهيب منهج تربوي للقرآن الكريم والإمام الحسين عليه السلام)؛ وقد تناول البحث الجوانب المشتركة بين منهج القرآن والإمام الحسين عليه السلام في استعمال الترغيب والترهيب، وأثرهما في هداية المجتمع، وهو من البحوث التي شاركت فيه الباحثتان في مؤتمر الإصلاح الحسيني آنف الذكر كما نُشر في العدد السادس عشر من مجلة الإصلاح الحسيني[3].

وعلى العموم، فإن الدراسات المرتبطة بهذا الموضوع لم تكن بمستوى الطموح، سواء من الجانب الكمّي أم الكيفي؛ إذ إنّ أغلبها لم تكن ناظرة إلى الآيات التي تم توظيفها من قِبل الإمام عليه السلام، وما كان منها ناظراً إلى هذا الجانب اقتُصر فيه على الدراسة التوثيقية فقط.

وتأسيساً على ذلك وجدنا ضرورة مُلحَّة لتعميق الدراسات القرآنية في الجانب الحسيني، وبالأخص ما يرتبط منها بالآيات التي تلاها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، فبادرنا إلى دراسة هذا الموضوع ـ بعد المتابعة المضنية والقراءة المعمّقة ـ ضمن سلسلة من البحوث في عناوين متعددة ذكرناها في المقدّمة آنفاً.

(١) أُنظر: مجلّة العقيدة، العدد٩، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م: ص٩.
(٢) أُنظر: مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ١٦، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م: ص٩٣.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٦٥.

وقد جعلنا هذا البحث مدخلاً أساسياً لتناول بعض الأُمور المتعلّقة بالحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام.

وأمّا الخطة التي اعتمدناها هنا، فهي تتكون من مباحث أربعة:

المبحث الأول: التوظيف القرآني في المعسكر الحسيني وانعدامه في الجبهة المعادية.

المبحث الثاني: إشكالية تصادم التوظيف القرآني في واقعة كربلاء مع المنع عن الحجاج بالكتاب.

المبحث الثالث: أنماط الاستعمال القرآني في كلمات الإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الرابع: نظرة تحليلية إلى الواقع التفسيري لهذه الآيات.

وسوف نذكر ذلك تباعاً إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول: التوظيف القرآني في المعسكر الحسيني وانعدامه في الجبهة المعادية

نرى من المناسب جداً أن نصدِّر هذا المبحث بأحد الأهداف التي دعت الإمام الحسين عليه السلام لاستعمال الآيات القرآنية في خطاباته وبياناته، وبشكل ملفت وأُسلوب متقن؛ إذ إنّنا حين نقرأ خطابه الذي يقول فيه: «**أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليَّ، وحتى أُعذر عليكم، فإن أعطيتموني النَّصف، كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم** ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾»[1]. ونستفيد من مطلع هذا النص الوارد عنه عليه السلام أنّ الغرض والهدف الأساس هو التأثير بالأُمّة التي شخّص عليه السلام فيها داء الهزيمة، كما يروم هداية المجتمعات التي تأتي بعده أيضاً.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٢.

دواعي التوظيف القرآني

من خلال قراءتنا لسيرة الإمام الحسين عليه السلام ومسيرته التي دوّنها المؤرّخون في كتبهم نستطيع أن نخلص إلى أنّ الأهداف والدواعي لحضور الآيات القرآنية في بيانات الإمام الحسين عليه السلام وتوظيفه لها في خطاباته تتمحور في النقاط الآتية:

١ـ الارتباط الحقيقي بين الإمام الحسين عليه السلام وكتاب الله عزّ وجلّ وتعلّقه عليه السلام بكلام الله عزّ وجلّ، وحبّه لتلاوة آياته والتفكّر بها، وهذا ما نلحظه بوضوح حينما أمر أخاه العباس عليه السلام أن يطلب من القوم تأخير المعركة إلى صباح يوم العاشر، فقال له: «**ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى الغدوة** [وفي بعض المصادر إلى غد[١]] **وتدفعهم عنّا العشية، لعلّنا نُصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، والدعاء والاستغفار**»[٢].

وممّا يجدر الإشارة إليه هنا أنّ بعض الباحثين يرى في هذه الخطوة وفي هذا الطلب الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العاشر من المحرّم بُعداً إعلامياً كبيراً[٣]؛ إذ حقّق مكسباً مهماً للإمام وأصحابه من الناحية العسكرية؛ حتّى تحوّل جمع من الجيش المعادي إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام وقاتل بين يديه حتّى استُشهد، وبناءً على الروايات الواردة حول أهمّية هداية الآخرين والقائلة: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم**»[٤]، فيعتبر انضمام شخص واحد وتحوّله من معسكر ابن سعد إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام إنجازاً كبيراً، فكيف إذا كان مَن تأثّر بموقف الإمام في ليلة العاشر هم مجموعة من الناس الذين قاتلوا في سبيل الحق حتّى سقطوا شهداء؟!

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٩٢.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٠.
(٣) أُنظر: الشاوي، علي، مع الركب الحسيني: ج١، المقدّمة.
(٤) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج٢، ص٥٠٧.

٢ـ تضمّن القرآن الكريم مفاهيم عالية ومؤثرة تساعد على هداية المجتمع وإصلاحه، سواء في ظرفه المعاصر لنهضته المباركة أم في الأزمنة اللاحقة، وبما أنّ هذه النقطة تُعدُّ من أهم الأهداف التي خرج الإمام الحسين عليه السلام من أجلها؛ لذا تجد هذا الحضور القرآني في خطبه ومواعظه التي وردت في واقعة الطف.

٣ـ العمل على أن يكون للقرآن الكريم دورٌ فاعلٌ ومساحةٌ كبيرةٌ في حياة المسلمين، وتنبيههم على أنّه المصدر الأساس في حلّ الاختلافات والنزاعات التي تقع بينهم، فيما لو اعتمدوا في فهمه على تفسير أهله وعِدْله.

٤ـ بيان مكانته الدينية وأحقّيته بالأمر والعلاقة الوثيقة بينه وبين الأشخاص الذين ذكرهم الله تعالى في الآيات التي استشهد بها الإمام عليه السلام، وهذا ما نوكل بيانه إلى بحوث لاحقة إن شاء الله تعالى.

٥ـ الكشف عن حقيقة العدو وبيان وجه الشبه بين مَن ورد في الآيات التي تتحدّث عن الأقوام الذين قاتلوا الأنبياء ووقفوا في وجه المصلحين، وبين مَن وقف بوجه الإمام الحسين عليه السلام.

وبعد التتبع الواسع في النصوص الحسينية التي وردت في الموسوعات التاريخية وكتب المقاتل وجدنا أن هناك كمّاً هائلاً من الآيات التي تلاها الإمام في واقعة كربلاء منذُ انطلاق نهضته المباركة ومروراً بشهادته إلى أن رُفع الرأس الشريف على رمح طويل وهو يقرأ القرآن.

الآيات المتكرّرة في بيانات الإمام الحسين عليه السلام

حينما نُحصي الموارد القرآنية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في خطاباته الصادرة عنه في أحداث واقعة الطف نجدها تجاوزت العشرين مورداً. فضلاً عن أنّ الإمام عليه السلام كان يُكثر من قراءة بعض الآيات بنحو متكرّر، كما هو صريح بعض النصوص الواردة في كتب التاريخ والمقاتل، وظاهر بعضها الآخر، فعلى سبيل المثال:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[١].

فقد روى الطبري: «**لمّا بلغ الحسين عليه السلام إلى عُذيب الهجانات، جاءه أربعة نفر... فسألهم الحسين عليه السلام عن الناس وعن رسوله، فأجابوه عن الناس، وقالوا له: رسولك مَن هو؟ قال: (قيس). فقال مجمع العائذي: أخذه الحُصين، فبعث به إلى ابن زياد، فأمره أن يلعنك وأباك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعانا إلى نصرتك، وأخبرنا بقدومك، فأمر به ابن زياد، فأُلقي من طمار القصر، فمات رضي الله عنه. فترقرقت عينا الحسين عليه السلام وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾، اللّهمَّ، اجعل لنا ولهم الجنّة منزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مُستقرّ رحمتك ورغائب مذخور ثوابك**»[٢].

وفي موقف آخر ذكره المؤرخون أيضاً قرأ الإمام الحسين عليه السلام هذه الآية المباركة، وذلك حين استُشهد مسلم بن عوسجة، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال: «**رحمك ربّك يا مسلم بن عوسجة** ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾»[٣]. وهذه الآية من الآيات التي نطمئن بتكرارها في بيانات الإمام عليه السلام. فضلاً عن المصادر التي ذكرت أنّ الإمام عليه السلام كان يقرأ هذه الآية عندما يستأذنه أحد أصحابه للقتال، ما يعني أنّه عليه السلام قد قرأها بعدد أصحابه الذين استأذنوه للقتال[٤].

٢ـ قوله عزّ وجلّ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

ذكر الشيخ المفيد في إرشاده أنّه: «**سار الحسين إلى مكة، وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾**»[٦]. مما يعني أنّ الإمام يُكثر من هذه الآية؛ إذ إنّ

---

(١) الأحزاب: آية٢٣.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٦.
(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٣٣١.
(٤) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥.
(٥) القصص: آية٢١.
(٦) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٥.

المتفاهم لغوياً من قوله: (وهو يقرأ..) الاستمرارية في قراءة هذه الآية الكريمة، ولا يعني أنّه عليه السلام قرأها مرّة واحدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١].

نقل ابن أعثم الكوفي: أنّ الإمام الحسين عليه السلام حين وصل إلى مكة و«**نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**»[٢]، فنستفيد من قوله: (جعل يتلو) أنّ الإمام كرر قراءة هذه الآية أيضاً، إذ لم يقلْ: تلا هذه الآية، أو ما شابه ذلك من التعبيرات المتعارفة في القراءة مرّة واحدة، كما في الآيات الأُخرى الآتية لاحقاً.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣].

قال الطبري: «**فلما أمسى حسين وأصحابه، قاموا الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون. قال: فتمرّ بنا خيل لهم تحرسنا، وإن حسيناً ليقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**»[٤].

فقوله: (وإنّ حسيناً ليقرأ)، تفيدنا بأنّه كان يردد الآية الكريمة ويُكثر من قراءتها.

أضف إلى ذلك الآيات التي تكلّم بها الرأس الشريف وهو على رمح في طريقه إلى الكوفة والشام، فقد كان يردد قصّة أصحاب الكهف في كتاب الله عزّ وجلّ.

الآيات غير المتكررة في بيانات الإمام الحسين عليه السلام

إن الآيات التي قرأها الإمام الحسين عليه السلام مرّةً واحدةً ولم يكررها كثيرة وفي مصادر متعددة؛ ولذا فإننا سوف نفهرس بعضها على عجالة، ونترك تفصيل البحث حولها إلى محلّه في بحوث مستقلة:

---

(١) القصص: آية٢٢.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٣.

(٣) آل عمران: آية١٧٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣١٩.

١ـ قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]. فقد ورد في الفتوح أنّ الإمام الحسين عليه السلام حينما كلّمه مروان بن الحكم لأجل إقناعه بمبايعة يزيد وطال بينهما الكلام، قال له عليه السلام: «**ويلك يا مروان، إليك عنّي فإنّك رجس وإنّا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ... فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء**»[٢].

٢ و٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿... وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٤]. «**... هذه وصيتي إليك يا أخي!** ﴿... وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾...»[٥].

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٦]. فقد ذكر الطبري وابن كثير وغيرهما أنّ الإمام الحسين عليه السلام قرأها في جوابه لأصحاب عمرو بن سعيد بن العاص[٧].

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[٨].

---

(١) الأحزاب: آية٣٣.
(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٧.
(٣) الحج: آية٧.
(٤) هود: آية٨٨.
(٥) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢١.
(٦) يونس: آية٤١.
(٧) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٩. وأيضاً: ابن كثير، إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٩.
(٨) يونس: آية٧١.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

ذكر الإمام الحسين عليه السلام هاتين الآيتين في سياق الوعظ والنصح حينما خاطب العدو؛ إذ ورد في كتب السير والتاريخ أنّه عليه السلام قال: «**أيّها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما يحقّ**[٢] **لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم** ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾»[٣].

وغير ذلك من الموارد التي ذكرها المؤرّخون في هذا المضمار تركنا ذكرها خوفاً من الإطالة من جهة، ولأنّنا سوف نتناولها مفصّلاً في البحوث اللاحقة إن شاء الله تعالى.

انعدام الآيات القرآنية في خطابات المعسكر المعادي

بعد أن لاحظنا أنّ الخطابات الحسينية كانت ثرية بالآيات القرآنية نجد في المقابل أنّ الخطابات الصادرة من الجبهة المعادية خالية من أيِّ استعمال أو توظيف قرآني، مع أنّهم كانوا حريصين أشدّ الحرص على مجابهة الإمام الحسين عليه السلام، والردِّ عليه، وعدم السماح له بالكلام، بل كانوا حريصين على استخدام شتّى السبل والوسائل الإقناعية لتحشيد الجماهير ضدّه عليه السلام، وهذا ما سوف نبرهن عليه بالأُمور الآتية:

١ـ إنّ حراجة الموقف وخطورته كانت تُحتم عليهم أن يستخدموا الأساليب التي

(١) الأعراف: آية١٩٦.

(٢) في المصدر (لحق). وهو خطأ واضح، والصحيح ما أثبتناه في النص عن بعض المصادر. أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧. كما ذكر في الكامل: «يجب لكم عليَّ». ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٦١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٢.

تحافظ على بقاء جيشهم، وتمنع من تأثرهم بكلام الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك خاطب عمر بن سعد أصحابه قائلاً: «**ويلكم! كلّموه؛ فإنّه ابن أبيه، والله، لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حُصر، فكلّموه. فتقدّم شمر (لعنه الله) فقال: يا حسين، ما هذا الذي تقول؟ أَفهمنا حتّى نفهم؟ فقال: أقول: اتقوا الله ربّكم ولا تقتلوني؛ فإنّه لا يحلّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإنّي ابن بنت نبيّكم وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم...**»[٤].

٢ـ ما نقله المؤرّخون من أنّ بعض قادة الجيش حاول أن يستميل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من خلال بعض المفاهيم الدينية التي عمل بنو أُميّة على ترسيخها في أذهان عامّة الناس ـ من قبيل: لزوم طاعة الحاكم وإن كان جائراً، أو حرمة تفريق وحدة المسلمين وغيرها من الشعارات التي تخدم مصالحهم، فقد ذكروا أنّ: «**عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل مَن مرق من الدين وخالف الإمام. فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج، أعليَّ تحرّض الناس؟! أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه؟! أَما والله، لتعلمنّ لو قد قُبضت أرواحكم ومُتم على أعمالكم أيُّنا مرق من الدين ومَن هو أَوْلى بصليِّ النار...**»[٥].

٣ـ إنّهم استعملوا الدين واتخذوه وسيلة لتنفيذ أوامرهم، كما نادى: «**عمر بن سعد: يا خيل الله، اركبي وأبشري. فركب الناس...**»[٦].

نعم، قد يُعتقد بأن قول شمر بن ذي الجوشن: (هو يعبد الله على حرف) جاء تمثلاً بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[٧]، وذلك حين خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام وذكرهم بمكانته: «**فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف**

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦.
(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣١. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٦٧.
(٦) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٩.
(٧) الحج: آية١١.

إن كان يدري ما تقول. فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك...»[1]. ولكن هذا النمط من الكلام هو عبارة عن اقتباس للاستعمالات المتداولة بينهم، وإلّا فيكون معظم كلام العرب تمثلاً بالقرآن مع أنّهم غير ملتفتين إلى هذا الجانب أساساً.

والسؤال الذي يُطرح في هذا الصدد: لماذا لم يحتج القوم ولم يستخدموا آيات القرآن في كلامهم مع الإمام الحسين عليه السلام، مع أنّهم كانوا بأمس الحاجة إلى التوظيف القرآني؟

وبتقديري أنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام كان واضحاً بحيث لم يدعْ لهم مجالاً للردّ والإنكار القرآني.

المبحث الثاني: إشكالية تصادم التوظيف القرآني في واقعة الطف مع المنع عن الحجاج بالكتاب

من المتسالم عليه بين العلماء والباحثين هو صلاحية القرآن الكريم للاحتجاج والاستدلال على المواقف والتصرفات التي يُدَّعى انتسابها إلى الشريعة، وهذه المسألة ممّا توافق عليها جميع المسلمين في الأزمنة والأماكن كافة، وقد ذكر بعض علمائنا الأعلام أنّ هذا الأمر لم يقتصر على النصوص الصريحة، بل يمتدّ ذلك ليشمل النصوص القرآنية الظاهرة التي لا معارض لها في الكتاب والسنّة؛ مستدلاً بمجموعة من الأدلة الواضحة[2].

وبناءً على هذا التوافق بين العلماء ومسلّمات الدين يصبح ما قام به الإمام الحسين عليه السلام في احتجاجه على القوم بآيات من الكتاب من المألوف والمستساغ جداً؛ إذ يكون على وفق القاعدة التي ذكرناها آنفاً.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨.

(٢) أُنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، الفوائد الطوسية: ص١٦٣.

إلّا أنّنا نواجه إشكالية ـ بل شبهة ـ تصطدم مع هذه الحقيقة المسلَّمة، وتصطدم بالدرجة الأُولى مع السلوك الذي صدر عن الإمام الحسين عليه السلام في احتجاجه على القوم في كثير من خطاباته وبياناته المرتبطة بواقعة الطف، وهذه المشكلة هو ما يُستفاد من الوصية المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، حين بعث عبد الله بن عباس إلى المارقين ـ الذين خرجوا على إمام زمانهم ـ للمحاورة فقال عليه السلام له: «**لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنَّة؛ فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً**»[1]. فهل هذا الحديث يتقاطع مع الرأي المتسالم عليه حول صلاحية القرآن للهداية والاستدلال والحجاج أو لا؟ وفي الوقت نفسه هل يتعارض مع ما قام به الإمام الحسين عليه السلام حين استعمل الآيات القرآنية للاحتجاج على مواقفه في واقعة الطف؟

الإجابة عن الإشكالية المذكورة

وفي مقام الإجابة عن هذا الإشكالية نقول:

أولاً: إنّ هذا السلوك الصادر عن الإمام الحسين عليه السلام فيما يرتبط بالاحتجاج القرآني على أعدائه قد أثبتت المتابعة والتحقيق حوله أنّ له أثراً بالغاً في نفوس كثير من المخاطَبين أثناء الحدث وبعده إلى يومنا هذا، كما تقدّم ذكر ذلك في مطلب سابق؛ ما يعني أنّ واقع هذه الاحتجاجات يبطل شمولية الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام لكل الأزمان والأماكن.

ثانياً: بعد المتابعة الدقيقة في كل مجريات الاحتجاج الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام مع عدوه لم يرد اعتراض أو ردّ من قِبل الأعداء على آية من الآيات التي احتج بها الإمام عليه السلام، وهو بحدّ ذاته يبيّن لنا عدم صدق المقولة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أو أنّ لها توجيهاً ومعنى مراد غير ما فهمه وأثبته المؤرّخون.

---

(١) نهج البلاغة (خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام): ج٣، ص١٣٦.

ثالثاً: نجد في بعض الاحتجاجات التي اعترض عليها الأعداء بعدم ثبوتها وعدم معلوميتها لديهم اضطر الإمام عليه السلام إلى إثباتها عن طريق التوظيف القرآني، كما في مخاطبته لعمر بن سعد حين قال عليه السلام له: «**قطع الله رحمك...**» فقد روى المؤرّخون في صدد ذلك: «**ثمّ أقبل رجل آخر من عسكر عمر بن سعد، يقال له: محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة، أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ **الآية، ثمّ قال: والله، إنّ محمداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد. مَن الرجل؟ فقيل: محمد بن الأشعث بن قيس الكندي. فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللهمّ أرِ محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم، لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً. فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز، فسلّط الله عليه عقرباً فلدغته، فمات بادي العورة**»[1]. فلم يواجه الإمام عليه السلام أحد من الأعداء بكلمة أو اعتراض بعد استدلاله بهاتين الآيتين.

نظرة إلى وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس

وأمّا إذا أردنا أن نضع هذا الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ والذي يظهر منه عدم جواز الاحتجاج على الأعداء بالكتاب الكريم ـ على طاولة النقد والتحكيم العلمي؛ فإن ذلك يوصلنا إلى تسجيل بعض الملاحظات المهمة حوله؛ إذ يلاحظ عليه:

١ـ إن هذا المقطع لم يُذكر في الموسوعات التاريخية والروائية التي اعتنت بنقل تفاصيل حروب أمير المؤمنين عليه السلام، مع أنّها نقلت لنا جزئيات تلك الحوادث، كأنساب الأشراف للبلاذري، وشرح الأخبار للقاضي النعمان[2] وغيرهما من المصادر، فأقدم المصادر التي نقلت هذا المقطع هو نهج البلاغة، فلا نستطيع الاطمئنان بثبوته.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٢.

(٢) أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٢، ص٣٦٠. وأيضاً: القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٢، ص٤٧.

٢ـ حينما نقرأ مجريات المحاورة التي دارت بين ابن عباس والخوارج نجد أنّه قد احتج عليهم وخاصمهم بآيات من القرآن، واستطاع من خلالها أن يقنع الخصم ويرجع بعضهم إلى الحق؛ إذ نقل المؤرّخون أنّه قال لهم: «**أمّا قولكم: إنّه حكم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم من كتاب الله عزّ وجلّ أنّه قد صيَّر حكمه إلى الرجال في ربع درهم، وأمر الرجال أن يحكموا فيه، وذلك أرنب قتله محرم. قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾»[1]. وغير ذلك من الآيات التي استدل بها، وقد استطاع أن يهدي بعضهم إلى الحق.

٣ـ إنّ البحث في تفاصيل الحادثة يوصلنا إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد احتج على الخوارج بآيات من القرآن أيضاً، فقال: «**وأمّا قولكم: إنّي شككت في نفسي؛ حيث قلت للحكمين: أُنظرا، فإن كان معاوية أحق بها منّي، فأثبتاه. فإن ذلك لم يكن شكاً منّي، ولكنّه نصف من القول، قال الله تعالى:** ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، **فلم يكن ذلك شكاً، وقد علم الله: أنّ نبيّه كان على الحق. قالوا: وهذه لك خرجت منها. وأمّا قولكم: إنّي جعلت الحكم إلى غيري، وقد كنت عندكم أحكم الناس. فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة، وقد كان أحكم الناس. وقد قال الله تعالى:** ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾، **فتأسيت برسول الله صلى الله عليه وآله...**»[2].

٤ـ وفقاً للقاعدة المحكمة في باب قبول الحديث الذي ينسب إليهم عليهم السلام ـ وهي ما ورد في قولهم عليهم السلام: فاعرضوه على الكتاب.. نتوصل إلى أنّ الكتاب الكريم له مساحة كبيرة في إمكانية الاحتجاج به وإثبات المراد منه في آياته، وفي الوقت ذاته لو عرضنا

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٢، ص٤٩. وأيضاً: النسائي، أحمد بن شعيب، خصائص أمير المؤمنين: ص١٤٨.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، المسترشد: ص٣٩٣.

هذا الحديث المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام لتبيّن لنا أنّه مخالف لكتاب الله الصريح بكونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]، وغيرها من الآيات الأُخرى، التي تتنافى مع هذا الحديث القائل: «**حمال ذو وجوه**» والتي تعني عدم وضوح الكلام الذي يحتويه القرآن؛ فينتج لنا عدم إمكان الأخذ بهذا الحديث على إطلاقه على أقل التقادير.

٥ـ يمكن أن يكون قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مختصّاً بتلك الحادثة فقط، أو كما يُعبر عنه في المصطلح المنطقي والأُصولي قضية خارجية، فقد رُوي عن الإمام الصادق أنّه قال ـ عمّن أنكر ولاية أهل البيت وخالفهم: «**وذلك أنّهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أنّه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه، وهم يرون أنّه المحكم، واحتجوا بالخاص، وهم يقدّرون أنّه العام، واحتجوا بأول الآية، وتركوا السنّة في تأويلها. ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره؛ إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا وأضلوا**»[3].

٦ـ على أسوأ الاحتمالات أن يكون الإمام عليه السلام قد نهى ابن عباس عن الاحتجاج بالمتشابه والذي يحمل وجوهاً مختلفة ما يؤدي إلى عدم إلزام الخصم، وهذا ما يُشير إليه بعض العلماء حينما أشار إلى هذه الوصية، فقال: «**أقول: يُستفاد منه عدم جواز الاحتجاج بالقرآن في غير النصوص والمحكمات التي لا يحتمل إلّا وجهاً واحداً**»[4].

وبعد ذكر هذه النقاط المتقدّمة نصل إلى نتيجة تضعنا أمام ثلاثة أُمور:

أـ إمّا أن نقول بعدم صحة هذا المقطع من الحادثة.

ب ـ وإمّا أن نخطّئ أمير المؤمنين عليه السلام في رأيه هذا، وهو ما لا يمكن قبوله.

---

(١) الزمر: آية٢٨.

(٢) فصلت: آية٣.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٨، ص١٤٨.

(٤) النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار: ج٨، ص٢٠٠.

جـ ـ أو نقول: بأنّ هذا المقطع له خصوصياته المعهودة بين أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس، وأنّ الظروف التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام غير ما مرّ به أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولذا ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح هذا الحديث: «... **فإن قلت: فهل حاجّهم بوصيته؟ قلت: لا، بل حاجّهم بالقرآن، مثل قوله: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾، ومثل قوله في صيد المحرم: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، ولذلك لم يرجعوا والتحمت الحرب، وإنّما رجع باحتجاجه نفر منهم. فإن قلت: فما هي السنّة التي أمره أن يحاجّهم بها؟ قلت: كان لأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك غرض صحيح، وإليه أشار، وحوله كان يطوف ويحوم، وذلك أنّه أراد أن يقول لهم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار. وقوله: اللهمّ وال مَن والاه وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، ونحو ذلك من الأخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه (صلوات الله عليه)، وقد بقيَ ممّن سمعها جماعة تقوم الحجة وتثبت بنقلهم، ولو احتج بها على الخوارج في أنّه لا يحلّ مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين في محاجتهم، وأغراض أُخرى أرفع وأعلى منهم، فلم يقع الأمر بموجب ما أراد، وقضى عليهم بالحرب حتّى أكلتهم عن آخرهم، وكان أمر الله مفعولاً**»[1].

المبحث الثالث: أنماط الاستعمال القرآني في كلمات الإمام الحسين عليه السلام

تنوعت الدواعي والأسباب التي من أجلها تكلّم الإمام الحسين عليه السلام بآيات من كتاب الله، وبتبع ذلك تعددت الأنماط والأشكال التي استخدمها الإمام عليه السلام؛ وسنجمل بعضها في هذا المبحث:

النمط الأول: الاستدلال والاحتجاج على القوم

إنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام في كثير من المواقف التي قام بها في نهضته المباركة،

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٨، ص٧٢.

كان لأجل إلقاء الحجة والاستدلال على أحقيته؛ ليبرهن للناس بأنّه لم يخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً؛ ولذا نجد أنّ أكثر الخطب والمواعظ التي نطق بها في نهضته المباركة كانت بهذا الغرض والهدف السامي.

وقد ضمَّن كلامه هذا آيات قرآنية احتج بها على القوم، واستدل بها على صحة حركته الإصلاحية، ويتجلّى هذا النمط في الآيات الآتية:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١].

وقد مرّ في الأسطر المتقدّمة ذكر الحادثة التي احتج بها عليه السلام على محمد بن الأشعث في يوم العاشر من المحرّم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[٢].

وهو ما رواه محمد بن سليمان الكوفي قائلاً: «**رأيت رأس الحسين بن علي على الرمح وهو يتلو هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾. فقال رجل من عرض الناس: رأسك يابن رسول الله أعجب!**»[٣].

النمط الثاني: الوعظ والنصيحة

اهتم الإمام الحسين عليه السلام بالوعظ والنصيحة في محطات متعددة من كلامه؛ لأجل إعادة المجتمع إلى مساره الصحيح سواء في زمن الحدث ـ كما حصل لبعض أفراد جيش عمر بن سعد ـ أم في الأزمنة اللاحقة، كما نلمس تأثير هذه الآيات حينما تُقرأ في ضمن النصوص الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام، ومن بين تلك الآيات:

١ـ قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٤].

إذ ذكر الطبري في تاريخه أنّ الإمام الحسين عليه السلام خطب في القوم فقال: «**أيّها الناس،**

(١) آل عمران: آية٣٣.
(٢) الكهف: آية٩.
(٣) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج٢، ص٢٦٧.
(٤) الأعراف: آية١٩٦.

اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما يحق لكم عليَّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي، وأعطيتموني النَّصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النَّصف من أنفسكم ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾»[1].

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾[2].

فقد روى الطبري في دلائل الإمامة عن الحارث بن وكيدة، قال: «كنت فيمَن حمل رأس الحسين عليه السلام فسمعته يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشك في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: يابن وكيدة، أَما علمت أنّا معشر الأئمّة أحياء عند ربّنا نرزق؟! فقلت في نفسي: أسرق رأسه. فنادى: يابن وكيدة، ليس لك إلى ذلك سبيل، سفكهم دمي أعظم عند الله تعالى من تسييرهم رأسي، فذرهم فسوف يعلمون ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾»[3].

النمط الثالث: الدعم المعنوي والتطميني لأصحابه

كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[4].

فقد تقدّم سابقاً أنّه عليه السلام تلا هذه الآية حين سمع باستشهاد قيس بن مسهر الصيداوي تارةً، وأُخرى حين سقط مسلم بن عوسجة على الأرض[5].

وهناك أنماط أُخرى قصدها الإمام الحسين عليه السلام في استعماله لآيات الكتاب نوكل الحديث عنها في بحوث لاحقة إن شاء الله تعالى.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٢.

(٢) غافر: آية٧١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص٧٨.

(٤) الأحزاب: آية٢٣.

(٥) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٦.

المبحث الرابع: نظرة تحليلية إلى الواقع التفسيري لهذه الآيات

من المقرر في علوم القرآن وكتب التفسير أنّ للقرآن شأن نزول وسبباً نزلت لأجله الآيات المباركة، وهذان الجانبان لهما الدور الكبير في تفسير الآيات ومعرفة معناها؛ إذ يعتمد المفسِّر في فهم الآية القرآنية على مجموعة من الأُمور؛ لكي يستوضح المعنى المراد من الآية التي يراد تفسيرها، وهذا النمط من المعنى يعتمد على ظاهر القرآن، وأمّا لو اعتمد المفسّر أو الباحث على بطون الآية فسوف يكون من المعنى التأويلي، وكلتا الطريقتين قد اعتمدها الأئمّة عليهم السلام في توضيح القرآن للناس؛ فقد روى فضيل ابن يسار، قال: «**قلت لأبي جعفر عليه السلام، قول الله في كتابه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]؟ قال: من حرق أو غرق. قلت: فمَن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ فقال: ذلك تأويلها الأعظم**»[2]. وغير ذلك من الأحاديث التي لا يسعنا نقلها في المقام.

ومن أهم النظريات التي بحثت في المجال التفسيري وعلوم القرآن هو ما اصطلح عليه علماؤنا بنظرية (الجري والانطباق)، وهي من القواعد المدعمة بأدلة متينة ومنقّحة في بحوث ودراسات معمّقة ودقيقة؛ إذ تطرّق إليها كبار العلماء وساقوا الروايات الواردة في هذا المقام[3].

والخوض في هذا المجال بشكل مفصّل يخرجنا عن موضوع بحثنا؛ لذا سوف نكتفي بإعطاء لمحة مختصرة عن بعض خواص هذه النظرية ومدى انطباقها على التوظيف القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام، فنقول:

---

(١) المائدة: آية٥.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص٢٣٢.

(٣) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، القرآن في الإسلام: ص٥٢. الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٤٢.

١ـ معنى النظرية

المراد من نظرية الجري والانطباق ـ أو الجري والتطبيق ـ: هو عملية تطبيق لمضمون آيةٍ من آيات القرآن النازلة في شأن أو معنىً محدد أو مفهوم من المفاهيم التي تناولها حين نزوله، وإسقاطه على شخص أو مفهوم أو معنى لم يكن موجوداً في زمن النص، أو لم يكن مورداً للآية، إلّا أنّه مشتمل على الخصوصيات ذاتها التي اشتمل عليها موردها الذي نزلت في حقّه، فيكون وجه الشبه بين المواردين هو المصحح والمبرر لتطبيقها على المتأخر بعد أن نزلت في حق المتقدّم، والذي يُعبّر عنه في علم التفسير بـ(شأن النزول) أو (مورد النزول)[١].

ومن نماذج وتطبيقات هذه النظرية المهمة ما ذكره الطباطبائيﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾؛ إذ قالﷺ: «... **وفي البصائر عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾. قال: تفسيرها في بطن القرآن: ومن يكفر بولاية علي. وعلي هو الإيمان. أقول: هو من البطن المقابل للظهر بالمعنى الذي بيناه في الكلام على المحكم والمتشابه في الجزء الثالث من الكتاب، ويمكن أن يكون من الجري والتطبيق على المصداق، وقد سمّى رسول اللهصلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إيماناً حينما برز إلى عمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق؛ حيث قالصلى الله عليه وآله: برز الإيمان كلّه إلى الكفر كلِّه**»[٢].

٢ـ أدلة النظرية

هناك مجموعة من الروايات الواردة عن الأئمّةعليهم السلام يستفاد منها أنّ القرآن قابل للانطباق على موارد وأفراد في كل زمان ومكان، وأنّه لا يقتصر على زمن من الأزمنة أو مكان من الأمكنة، ومن هذه الروايات استنتج العلماء والمفسّرون نظرية الجري

(١) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، القرآن في الإسلام: ص٥٢.
(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص٢١٨.

والانطباق، أو ما تسمّى بنظرية الجري والتطبيق، وكنموذج لهذه الروايات نذكر الموارد الآتية:

١ـ ما رواه العيّاشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيَّةٌ لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين**»[١].

٢ـ ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أُولئك ماتت الآية لما بقيَ من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلوها هم منها من خير أو شر**»[٢].

٣ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنّ القرآن حيٌّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا**»[٣].

وعلى هذا الأساس؛ فيتحتم علينا أن نبحث في الآيات التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام في خطاباته الصادرة عنه في واقعة الطف، لنرى ما هي الصلة والعلاقة بين موارد نزولها وبين الأفراد الذين طبقها عليهم.

إذاً؛ سوف تكون حيثية البحث في سلسة البحوث اللاحقة ـ إن شاء الله تعالى ـ عن إمكانية توظيف نظرية الجري والانطباق على الأشخاص الذين طبّق الإمام الحسين عليه السلام في حقّهم بعض الآيات التي تضمّنتها بياناته المباركة التي خاطبهم بها؛ من خلال المقارنة بين موارد نزولها وبين أُولئك الشخصيات الذين عاصروا الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما سوف نوكل الحديث عنه في أبحاث لاحقة إن شاء الله تعالى.

على أنّ هناك بعض الآيات التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في بياناته المباركة إلّا أنّ انطباقها عليه من جهة نزولها في حقه؛ كونه من ضمن الأشخاص الذين خصهم

(١) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٣.
(٢) المصدر السابق: ج١، ص١٠.
(٣) المصدر السابق: ج٢، ص٢٠٣.

الله عزّ وجلّ بهذه المنزلة الكريمة؛ كما في آية التطهير التي احتج بها على مروان بن الحكم في المدينة المنورة[1].

نتيجة البحث

ومن خلال ما تقدّم في المباحث المتقدمة نستنتج النقاط الآتية:

١ـ إنّ البحوث التي تطرّقت إلى البعد القرآني في النهضة الحسينية لا تتناسب مع المساحة التي يشغلها القرآن الكريم في واقعة الطف؛ ولذا نرى من الضروري جداً تعميق الدراسات القرآنية في الجانب الحسيني، ومن هذا المنطلق خصّصت مجلّة الإصلاح الحسيني ملفاً مستقلاً لهذه الأبحاث يحتوي مجموعة من العناوين المهمة في الجانب القرآني.

كما أنّ الدراسات المرتبطة بالآيات التي تلاها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، لا تكاد تذكر سوى ما أشرنا إليه في السابقة الدراسية، وفي ضوء ذلك بادرنا إلى دراسة هذا الموضوع ضمن سلسلة من الأبحاث لعلّنا نُسهم في إثراء الساحة الفكرية من هذه الزاوية المهمة.

٢ـ تعرّفنا على الأسباب التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى التوظيف القرآني في نهضته الإصلاحية، وأنّ ذلك قد أعطى نتائج مهمة وثماراً كثيرة جداً. فيما نلحظ خلو الخطاب في الجبهة المعادية من أيّ استعمال قرآني، مع أنّهم استعملوا شتى الطرق والأساليب من أجل استمالة الأُمّة وتحريضها على قتل الإمام الحسين عليه السلام.

٣ـ استطعنا أن نجيب عن إشكالية التنافي بين التوظيف القرآني في الخطابات الحسينية وبين ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من نهي عن الاحتجاج بالقرآن وأنّه حمال ذو وجوه، وتبيّن أنّ هناك عدّة أجوبة يمكن ذكرها في المقام.

(١) أُنظر: الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٧.

٤ـ تبيّن لنا أنّ هناك مجموعة من الأنماط التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام في خطاباته المتضمّنة للآيات القرآنية، وقد ذكرنا بعضاً منها.

٥ـ إنّ نوع الاستعمال للآيات القرآنية في كلمات الإمام الحسين عليه السلام والمسوّغ لتطبيقها في بياناته المباركة هو اندراجها تحت نظرية الجري والانطباق.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة.

١ـ الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، منشورات دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٢ـ الأمالي، محمد بن علي الصدوق، منشورات مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٣ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٥ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، منشورات مكتبة المعارف، بيروت ـ لبنان.

٦ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

٧ـ تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ـ إيران.

٨ـ خصائص أمير المؤمنين، أحمد بن شعيب النسائي، منشورات مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦هـ.

٩ـ دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، منشورات مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.
١٠ـ شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد المغربي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
١١ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٨م.
١٢ـ عقليات إسلامية، محمد جواد مُغنية، منشورات عزّ الدين للطباعة والنشر.
١٣ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، منشورات دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩١م.
١٤ـ الفوائد الطوسية، محمد بن الحسن الحر العاملي، منشورات المطبعة العلمية، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤٠٣هـ.
١٥ـ القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، منشورات دار الزهراء للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٧٣م.
١٦ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم بن الأثير، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
١٧ـ المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٧٠هـ.
١٨ـ مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، ١٤١٨هـ.
١٩ـ المسترشد، محمد بن جرير الطبري، منشورات مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.
٢٠ـ مع الركب الحسيني، علي الشاوي، نشر مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٢١ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.
٢٢ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة.
٢٣ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣م.

المجلات

٢٤ـ مجلّة الإصلاح الحسيني، منشورات مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية، النجف الأشرف ـ العراق.
٢٥ـ مجلّة العقيدة، منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف ـ العراق، ٢٠١٦م.

المواقع الإلكترونية

26- *di?php.tcejbus/ten.hayaqur.www//:ptth*

ملفُ العدد

الأبعادُ القرآنيةُ في نهضةِ الإمامِ الحسينِ (١)

- ندوة: الخطاب القرآني في النهضة الحسينية.. دراسة في الاستعمال والتوظيف
- تجلّي آيات من القرآن الكريم في سيرة الإمام الحسين عليه السلام
- الذبيح في القرآن الكريم (وفديناه بذبح عظيم)
- النهضة الحسينية في مواجهة التطبيق الخاطئ للقرآن الكريم
- معالجة الشبهات حول النهضة الحسينية في ضوء القرآن الكريم
- القرآن وأهل البيت عليهم السلام يمثلان النظرية والتطبيق.. الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً
- السنن الإلهيّة في آي نطق بها الرأس الشريف
- صورة الشعائر الحسينية في دائرة المعارف القرآنية

ندوة:

الخطاب القرآني في النهضة الحسينية
دراسة في الاستعمال والتوظيف

د. السيّد نذير الحسني *

أقامت مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية، ندوتها الثامنة عشرة تحت عنوان (الخطاب القرآني في النهضة الحسينية.. دراسة في الاستعمال والتوظيف)، وكان المحاضر في هذه الندوة سماحة السيّد نذير الحسني، وقد عمل قسم مجلّة الإصلاح الحسيني على إعداد هذه الندوة وترتيبها، مع تصرّف فني بسيط.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

كثيرةٌ هي جوانب النهضة الحسينية وزواياها وأبعادها، فهي كانت وستبقى محطّ أنظار العلماء والمفكّرين والباحثين والكُتّاب والخطباء من كل المشارب والاتجاهات، الذين أثاروا بأبحاثهم ونظرياتهم وأفكارهم بعض دفائنها وكنوزها الثمينة، ولكنها ظلّت وستظلّ عصيةً على النفاد والنضوب، وهذا في واقع الأمر آية من آيات الإعجاز الدالة على إلهية هذه النهضة المباركة وكمالها ومقدار ما قُدّم فيها من تضحيات، ولعلّ من أروع ما يمكن بحثه في أبعاد هذه النهضة الحسينية المباركة، هو إبراز الخطاب

---

* أستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

القرآني لهذه النهضة وكيفية انطباعه في مبادئها وحركتها وأهدافها، فقد وظّف قائدها منهج القرآن الكريم وأساليبه وأهدافه في خطاباته وسلوكياته حتّى استشهاده، فهي ثورة قرآنية على لسان المعصوم عليه السلام، قابلة للتوظيف مرّة أُخرى سيراً على نهجه وخطاه في مواجهة الظلم والطغيان؛ لتحقيق الإصلاح والسلام في هذه المعمورة، خصوصاً وأنّ هذه الآيات لا تموت بموت مَن نزلت فيه، ولا تقف على المصاديق التي طبّقها المعصوم عليه السلام، كيف ذلك وقد نقل الإمام الباقر عليه السلام لها خصوصية لم تكن تتوفر في كتاب من الكتب السماوية أو غيرها، عندما قال: «**ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية؛ لما بقيَ من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض**»[1]، وفي رواية: «**يجري كما تجري الشمس والقمر**»[2].

فمن هذا الفهم المعصومي للقرآن وآياته ننطلق في فضاء رحب للبحث عن مصاديق القرآن في كل زمان وآن، خصوصاً وهو يجري كما تجري الشمس بأشعة جديدة في كل يوم لما فيها من انفجارات حادثة وغير متكررة. فهذا هو منهج المعصومين عليهم السلام في فهم القرآن وتطبيقه على مصاديقه.

من هنا نجد لزاماً علينا بحث الخطاب القرآني في النهضة الحسينية وفق هذا المنهج، فالآيات القرآنية التي استعملها وطبّقها الإمام الحسين عليه السلام هي في الحقيقة مصداق من مصاديق جريان هذا القرآن كجريان الشمس والقمر.

وقبل الدخول في ذلك ولأجل إيضاح الصورة أكثر لا بدّ من التركيز على النقاط الآتية:

النقطة الأُولى: الحديث في هذا البحث لا يقتصر على الآيات القرآنية فقط، وإنّما

(١) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج١، ص١٠.
(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٩٦.

يشمل الخطاب القرآني بشكل عامّ، فتارةً يذكر الإمام الحسين عليه السلام آية قرآنية واضحة وصريحة ونصّها موجود في القرآن، وأُخرى يلوّح من خلال توظيفه للكلمات والجمل الواردة في الآيات القرآنية، فقوله عليه السلام: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً**»[1] هو توظيف لكلمات في الآيات القرآنية من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2]، وغير ذلك من الكلمات التي ذكرها الإمام عليه السلام ووظّفها لمحاربة أعداء الإصلاح والإنسانية. فعنوان البحث شامل لكل الكلمات التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره في هذه النهضة، والتي لها جذور قرآنية.

النقطة الثانية: لغرض بيان الخطاب القرآني في هذه النهضة لا بدّ من بيان دور القرآن في المواجهة، فالقرآن الكريم له أدوار مختلفة في المواجهة بين الحق والباطل، ففي حياة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت المواجهة والحرب قائمة على القرآن وليست بالقرآن، فهي مواجهة بين مَن يُريد أن يُقيم منهج القرآن في هذه المعمورة، وبين الجاهلية التي تُريد اقتلاع الإصلاح والحرية والإنسانية منها، وهذا ما برز على لسان عتاة الجاهلية عندما خاطب حمزة سيّد الشهداء وهو في قبره، فقال له: «**يا حمزة، إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم**»[3]، فلا توجد سماء أو قرآن أو نبوّة في قاموس هؤلاء، فهو ملك عضوض.

ولمّا جاء دور أمير المؤمنين وولده الحسن عليهما السلام تحوّلت الحرب إلى حرب بالقرآن بين مَن يُريد أن يُطبّق مناهجه وفق مصاديق حقيقية خالية من التحريف والتزوير، وبين مَن يُريد تحريفه؛ ولهذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو إلى عدم مواجهة هؤلاء بالآيات لِما لهم من قُدرة على تحريفها عن مصاديقها الحقيقية، فكان عليه السلام يقول لأحد

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.
(٢) الأنفال: آية٤٧.
(٣) المقريزي، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم: ص٨٧.

أصحابه: «**لا تُخاصمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه**»[1]. فالحرب كانت في الآيات وتطبيقاتها وفي النهاية فهي حرب بالقرآن وليست على القرآن.

وعندما جاء دور الحسين عليه السلام ـ بعدما استولى يزيد على مقاليد الحكم ـ تحوّلت الحرب من جديد إلى حرب على القرآن، ومن جملة ما يدل عليه مقولة الإمام الحسين عليه السلام الشهيرة: «**على الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[2]، وكذلك خطاب الحوراء زينب عليها السلام التي نفت فيها صفة الإسلام عن هؤلاء، عندما وقفت بالقرب من مصرع أخيها وقالت: «**أَما فيكم مسلم؟!**»[3]، وهي كلمة دقيقة.

وهذا هو حفيد عتاة الجاهلية نفسه قد أعادها مرّة أُخرى عندما قال:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[4]

فالحرب عادت من جديد على القرآن، خصوصاً وأنّ يزيد لم يترك مقدّساً من المقدّسات إلّا وانتهك حرمته، فالجيش الذي هجم على الكعبة ورماها بالمنجنيق، هو جيش متكامل يمثّل أُمّة، وليس يزيد وحده مَن فعل ذلك، والذين دخلوا إلى المدينة واستباحوا حرمتها ثلاثة أيّام يمثّلون أُمّة، وهناك العشرات من القرائن تدلّ على أنّ هناك حرباً على القرآن والمقدّسات قام بها النظام الحاكم ومَن تبعه، وهم ليسوا شخصاً أو شخصين أو ثلاثة وإنّما أُمّة كاملة.

وعليه؛ لا بدّ في هذه الحال أن يكون موقف الإمام الحسين عليه السلام هو موقف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه؛ إذ عاد الأمر من جديد ليقوم الحسين عليه السلام بشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل المواجهة، وهذا أيضاً يُستكشف من خلال الآيات التي ذكرها الإمام

(١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص١٣٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٦.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٢.
(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٤.

الحسين عليه السلام أيضاً، فقد ذكر لعن اليهود، ولعن الطوائف المختلفة، وذكر الكفار في بعض الآيات القرآنية التي استعملها، كل ذلك يُستكشف منه أنّ الحسين عليه السلام كان يقوم بهذا الدور المحمّدي الذي قام به النبي صلى الله عليه وآله.

فالدارس للخطاب القرآني في النهضة الحسينية عليه أن يعرف مستوى التشابه في المواقف والظروف التي مرّ بها الإسلام بين زمان النبي صلى الله عليه وآله وزمان حفيده السبط عليه السلام، وهذا الأمر ما أكّده الإمام الحسين عليه السلام عندما قال له النضر بن مالك: «**يا أبا عبد الله، حدّثني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ...﴾؟ قال: نحن وبنو أُميّة اختصمنا في الله عزّ وجلّ، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإيّاهم الخصمان يوم القيامة**»[1]، فالمواجهة بين الطرفين في زمان السبط الشهيد عليه السلام كانت شبيهة في ظروفها وطبيعتها بالمواجهة بين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبين الجاهلية بكل عتاتها وجبابرتها.

النقطة الثالثة: المادة العلمية المدروسة في هذا البحث التي تنطوي تحت عنوان: (الخطاب القرآني في النهضة الحسينية) شاملة لكلمات قائد هذه النهضة وأنصاره وأهل بيته، سواء كان ذلك قبل استشهاده عليه السلام، أم بعده كالخطب والكلمات التي نطق بها الركب الحسيني في مسيره من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ثمّ العودة إلى كربلاء، ثمّ إلى المدينة، فكل تلك الخطب والكلمات التي لها جذور قرآنية تنطوي تحت عنوان هذا البحث. نعم، قد لا نتطرّق إليها جميعها مراعاة للاختصار، ولكن هذا لا يعني خروجها عن هذا المضمار.

النقطة الرابعة: يمكننا أن نقطع أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ذكر عدداً كبيراً من الآيات القرآنية، باعتبار أنّه عليه السلام قد استلم الإمامة لمدّة عشر سنوات، وتحدّث في مواضيع كثيرة، وتعرّض إلى أسئلة متعددة، وهذا ليس على مستوى الاحتمال، وإنّما على مستوى التحقيق، يعني هناك جمع لهذه الآيات القرآنية التي تحدّث عنها

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٤٣.

الإمام عليه السلام؛ إذ هناك كلمات كثيرة سُئل فيها عن القرآن، وعن النبيّ، وعن الإمامة، وعن التوحيد، وذكر في ذلك مجموعة من الآيات القرآنية، فإذا نظرنا إلى أنّ القرآن كوحدة تصبّ في هدف واحد وهو بناء الإنسان والمجتمع الصالح، يمكن أن نقول: إنّ هذا عنوان كلّي نستطيع أن ننطلق منه لتوحيد كل الآيات القرآنية التي ذكرها الحسين عليه السلام، أمّا إذا أردنا أن نضع كل الآيات في جهة واحدة هي جهة النهضة، كما حاول بعض الكُتّاب والباحثين، فهذا يكشف عن عدم معرفة، وعدم اطّلاع، أو عدم بحث وتحقيق في الحركة الحسينية في مدّة عشر سنوات، وإنّما اقتُصر على بعض الآيات في الحركة الحسينية لمدّة ستة أشهر، وهذه إشكالية موجودة وشبهة طُرحت عند بعضٍ من أنّ الحسين عليه السلام أخذ من القرآن تلك الآيات التي تدلّ على النهضة وترك العدد الكبير من غيرها.

إذاً؛ هناك فرق بين أن ننظر نظرة مجموعية موضوعية إلى كل هذه المدّة، وبين أن ننظر إلى مدّة ـ وهي مدّة الستة أشهر ـ لها أهدافها وظروفها ودلالاتها ومعانيها، وباعتقادنا إذا كان هناك جامع للآيات القرآنية التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام طيلة عشر سنوات، فهو الجامع نفسه الذي كان يهدف من خلاله القرآن الكريم، وهو بناء الإنسان الصالح كهدف جزئي، وبناء المجتمع الصالح كهدف كلّي.

منهج دراسة الخطاب القرآني في النهضة الحسينية

قبل الدخول في تقسيمات هذا المنهج يجب التذكير بأمرين أساسيين:

الأول: سوف أركّز الحديث في تقسيم الآيات على ما استعمله الإمام الحسين عليه السلام ووظّفه من آيات قرآنية أو كلمات لها جذور قرآنية، وهذا لا يعني أنّ البحث يقتصر على ذلك فقط، وإنّما هو شامل أيضاً للآيات القرآنية المصرّح والملوّح بها في هذه النهضة من قِبل أنصاره ـ كما بيّنا سابقاً ـ وخصوصاً ما ذكره المتحدّثون في الركب الحسيني حول هذه النهضة.

الثاني: إنّ هناك فرقاً بين الاستعمال والتوظيف، فقد تُستعمل آية قرآنية في

حدثٍ مُعيّن ولكن لا تستطيع أن توظّفها توظيفاً صحيحاً يتناسب مع كل الظروف والحالات التي تُحيط بذلك الحدث، وربطها بالأهداف التي تسعى إليها، فالتوظيف ليس فقط إرسال رسالة بأنّ هذا الحدث مشابه لما تتحدّث به هذه الآية أو تلك، وإنّما جني ثمار هذا التشابه بشكل كامل من خلال محاكاة الحدث بكل حالاته، وربط الأهداف التي تسعى إليها من خلال هذا الاستعمال، فالإمام الحسين عليه السلام وأنصاره قد استعملوا الكثير من الآيات تصريحاً تارةً وتلويحاً أُخرى، ووظّفوها توظيفاً ينسجم مع الحدث الذي واجهوه، ومع الأهداف التي سعوا إلى تحقيقها، ومن هنا نجد أنّ هناك تقسيمات مختلفة للآيات المصرّحة والملوّحة التي استُعملت في النهضة الحسينية ووُظّفت لتحقيق تلك الأهداف، وهذه التقسيمات هي كالآتي:

التقسيم الأوّل: تقسيم الآيات حسب نوعية المخاطَب، فالإمام الحسين عليه السلام خاطب شرائح مختلفة، خاطب الأُمّة وذكر آيات قرآنية فيها دلالات مُعيّنة، وخاطب مَن ادّعى أنّه ناصح له وذكر آيات قرآنية، وخاطب أنصاره وذكر آيات قرآنية، وخاطب أهل بيته وذكر آيات قرآنية، وخاطب النظام الحاكم وذكر آيات قرآنية، وخاطب المغرّر بهم وذكر آيات قرآنية.

هذا التقسيم مع ذكر هذه الآيات وتوزيعها يكشف لك وجود دلالات مختلفة ومعاني متعددة في هذه الآيات.

التقسيم الثاني: تقسيم الآيات القرآنية على أساس أسباب نزولها، فهناك آيات ذكرها الإمام الحسين عليه السلام منها ما نزل في مواقع النصر، ومنها ما نزل في مواقع الهزيمة، آيات نزلت في تحديد عناصر القوّة، وآيات نزلت في تحديد عناصر الضعف.

التقسيم الثالث: هناك آيات خاطب الإمام عليه السلام بها العقول، وآيات خاطب بها العواطف، فالنهضة الحسينية كانت شاملة في خطابها للعواطف والعقول، وإثارتها والتأثير فيها، سواء كان الخطاب موجّهاً لعقول المتواجدين وعواطفهم في ذلك الزمان أم الأزمنة اللاحقة.

التقسيم الرابع: تقسيم الآيات بحسب الأماكن، فهناك آيات ذكرها عليه السلام في المدينة، وهناك آيات ذكرها في مكة، وهناك آيات ذكرها قبل حركته، وهي مهمّة جدّاً؛ لأنّ إمامته عليه السلام دامت عشر سنوات، من سنة خمسين للهجرة إلى ستين، ونحن نحتفظ منها بستة أشهر فقط، وهي حركته من شهر رجب إلى شهر محرّم، أمّا هذه السنوات العشرة لإمامته فما زالت ـ مع الأسف الشديد ـ تحتاج إلى البحث والتحليل وذكر الآيات التي قيلت فيها، فإنّ هناك الكثير من الآيات التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام في تلك المدّة، وكان يتحرّك في أماكن متعددة في مكة والمدينة والعراق، بل قد تحرّك في أكثر من ثماني وثلاثين منطقة وذكر فيها آيات متعددة، وكل منطقة كان يُخاطبها بأسلوب وبطريقة مختلفة، فعندما يخاطب المدينة ليس كما يخاطب مكة؛ باعتبار أنّ المدينة علوية في هواها وتوجهها وفكرها، وهذا معروفٌ في النصوص، حتّى أنّ بعض مَن أراد أن ينكّل بالمدينة وبالمدنيين حاول أن يتلاعب بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ...﴾[1]، «**فكان يعطف قوله**: ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ **على قوله**: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾، **وكان يحذف الواو من قوله**: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾»[2]؛ لكي لا يكون الأنصار من السابقين الأوّلين.

كما أنّهم دفعوا الأموال والرُّشى للشعراء للحطِّ من موقعية الأنصار في الأُمّة وتجريدهم من كل امتياز، فقد قال شاعرهم الأخطل:

«ذهبت قريش بالمكارم والعُلى ... واللـؤم تحـت عمائـم الأنصـار

فبلغ الشعر النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عن رأسه عمامته، وقال: يا

(١) التوبة: آية ١٠٠.

(٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج١٦، ص١٧١.

أمير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وخيراً، وما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أنّ اللؤم تحت عمائمنا...»[1].

هذه كلّها أبيات شعرية مدفوعة الثمن، تكشف لك عمق الهوّة بين المسلمين آنذاك باختلاف المناطق والأماكن.

فالإمام الحسين عليه السلام كانت له خطابات قرآنية موزّعة على الأماكن والمواقع، تختلف من مكان إلى مكان ومن موقع إلى آخر، وهذا الاختلاف له دلالته وله وظائفه، وهناك آيات خاطب بها الإمام الحسين عليه السلام أهل الكوفة، وخاطب أهل الشام، وخاطب بها مناطق مختلفة، ولكل منطقة نمط خاصّ يختلف عن الأُخرى، بل إنّ أمزجتهم وطريقة تعاملهم مع الأحداث الإسلامية تختلف أيضاً، فمن الحكمة أن تختلف طريقة مخاطبتهم أيضاً.

التقسيم الخامس: تقسيم الآيات بحسب نوعية العدو المخاطَب، فالإمام الحسين عليه السلام خاطب أعداءً تختلف نوعية عدائهم للإمام عليه السلام من شخص لآخر، ومن ثقافة لأُخرى، فمنهم مَن كان من أهل الشام، ومنهم مَن كان من الكوفة، وآخرون من المدينة، وجماعة من مكة، وهكذا، فهذا التقسيم ينوّع الخطاب بتنوّع أعداء الإمام، فتارةً يُخاطبهم خطاباً فيه آية قرآنية فيها احتجاج ومحاججة، وأُخرى فيها إقناع، وثالثة فيها دفاع عن الحقوق المسلوبة منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله، فتارةً يذكّر العدو بالإمامة، وأُخرى يذكّره بموقعه من الرسول صلى الله عليه وآله ونسبه منه، ورابعة يذكّره بسيرته وسيرة الإمام الذي يجب أن يحكم المسلمين، كل ذلك يرجع إلى نوعية العداء الذي يحمله المخاطَب.

هذا، ويمكن إضافة تقسيمات أُخرى بمقدار ما يتوفر من مادة علمية ووثائق

(١) أبيات قالها الأخطل في ذمّ الأنصار عندما طلب منه يزيد بن معاوية ذلك. اُنظر: ابن عساكر، علي ابن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٤، ص٢٩٨.

تحدّث بها الإمام الحسين عليه السلام، فيمكن التقسيم على أساس المواضيع، فهناك آيات ذكرها في التوحيد، وآيات ذكرها في النبوّة، وآيات ذكرها في المعاد، ولكن المهم والأساس هنا أن لا ننظر فقط إلى الآيات التي ذكرها بشكل صريح، ولكن ننظر إلى الكلمات التي لوّح فيها إلى تلك الآيات القرآنية، فهناك عدد كبير من الكلمات لوّح وأشار فيها إلى مواضيع مختلفة.

مثالان تطبيقيان

١ـ من الآيات التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام ووظّفها في خطابه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

هذه الآية نزلت في أُحد، أي: في حالة الهزيمة وليس في حالة الانتصار، وبهذا المضمون نفسه مع اختلاف مهم نزلت آية أُخرى في بدر، ولكن دلالتها ووظيفتها ـ مع تقارب الألفاظ ـ تختلف في كلا الموردين، ففي أُحد نزلت كما ورد في الآية المتقدّمة من آل عمران، وفي بدر نزلت هكذا: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[2]، فهناك تقديم وتأخير، فمرّة الأمن هو الذي سبّب النعاس، ومرّة النعاس هو الذي سبّب الأمن، فالخائف عندما ينام يذهب عنه الخوف، ولكن الآمن بكمال الأمان والاطمئنان يؤدّي به ذلك إلى النعاس.

(١) آل عمران: آية ١٥٤.
(٢) الأنفال: آية ١١.

هذه الآية استعملها الإمام الحسين عليه السلام ووظّفها عندما خاطب أصحابه، فقد أعطاهم صفة شهداء أُحد الذين قاتلوا دون الرسول صلى الله عليه وآله، والذين كانوا لا يعرفون للخوف معنى حتّى ينزّل عليهم الله سبحانه وتعالى النعاس، كما كانوا في بدر؛ إذ كانوا على درجة من الخوف، وإذا استعرضنا كلمات المشاركين في بدر نجد هذا الخوف واضحاً، والنصائح التي قُدّمت للرسول صلى الله عليه وآله في عدم المواجهة واضحة أيضاً، وبخلافهم أولئك الذين قاتلوا وقُتلوا في أُحد، وبقوا صامدين، فقد أعطاهم القرآن صفة تختلف عن الصفة التي أعطاها لأصحاب بدر؛ إذ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾.

نعم، صحيح أنّ المواجهة في أُحد كانت خاسرة، لكن الأشخاص الذين واجهوا في أُحد لم يكن لهم نظير طيلة المدّة الإسلامية التي عاشها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله؛ وعليه فإنّ توظيف هذه الآيات من قِبل الحسين عليه السلام هو إشارة إلى الجنبة الشخصية والصفات التي كانت عليها تلك الثُّلة التي قاتلت واستُشهدت مع الرسول صلى الله عليه وآله، فقد تكررت هذه الصفات مع الحسين عليه السلام، تلك التي تتخذ الأمن والاطمئنان طريقاً إلى النعاس في أشدّ حالات المواجهة التي تتزلزل لها الجبال؛ وعليه فالإشارة ليست إلى نتيجة الحرب، وإنّما إلى مطابقة المواصفات الشخصية لأصحاب الحسين عليه السلام مع المواصفات الشخصية لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله، أولئك الذين استُشهدوا في أُحد، كحمزة عليه السلام وأصحابه ممَّن وقف ذلك الموقف في تلك المعركة.

ثمّ أعطى الإمام الحسين عليه السلام تفاصيل أُخرى لطائفة ثانية من خلال قوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، هذه الطائفة هي طائفة المصالح، فيها مَن يتشبّه بالصالحين ويتلبّس بثيابهم ويقدّم نصيحة للحسين عليه السلام، كما فعل عبد الله بن أُبي في معركة أُحد عندما أشار إلى الرسول صلى الله عليه وآله بأن لا يخرج من المدينة، «**ثمّ إنّ الصحابة ألحّوا على النبيّ صلى الله عليه وآله في أن يخرج إليهم، فغضب عبد الله بن أُبي من ذلك، فقال: عصاني**

وأطاع الوِلدان، ثمّ لمّا كثر القتل في بني الخزرج ورجع عبد الله بن أبيّ، قيل له: قُتل بنو الخزرج. فقال: هل لنا من الأمر من شيءٍ. يعني: أنّ محمداً لم يقبل قولي حين أمرته بأن يسكن في المدينة ولا يخرج منها»[1].

إذاً؛ هناك أعداد كثيرة في زمن الإمام الحسين عليه السلام ـ من الذين تلبّسوا بثياب الصالحين وتشبّهوا بهم ـ قدّموا نصائح له عليه السلام في وقت كانت تختفي في داخلهم حالة التردد والخوف والتراجع.

فالحسين عليه السلام في هذه الآية قسّم المجتمع إلى قسمين: مجتمع معه، وهذا له صفات خاصّة، ومجتمع ليس معه، وهذا الأخير لا يقتصر على أولئك الذين قاتلوا الحسين عليه السلام فقط، بل يشمل كذلك الذين أهمّتهم أنفسهم، كأصحاب المصالح والمترددين والمتفرّجين الذين نصحوا الحسين عليه السلام، كل هؤلاء قد أهمّتهم أنفسهم؛ لأنّ مصالحهم الشخصية هي التي تقدّمت على مبادئهم، وهناك مناكفة وجدلية بين المصالح والمبادئ، فالمصالح تعيش لنفسها، وتجعل كل شيء لأجل المصلحة الشخصية، فالدين وكل شيء يصبح وسيلة من وسائلها، بينما المبادئ تعيش لغيرها، وتجعل كل شيء لأجل الدين، بما فيه الحياة السياسية.

فالإمام الحسين عليه السلام يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، وكل هذه الآيات لها دلالات وظّفها الحسين عليه السلام توظيفاً رائعاً جدّاً، والطائفة التي قد أهمّتهم أنفسهم كلّها مشمولة بالعبارة: «**لعن الله أمّةً سمعت بذلك فرضيت به**»؛ لأنّها تردّدت وشكّكت وتفرّجت.

٢ـ من الآيات التي خاطب بها الإمام الحسين عليه السلام الأُمّة قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[2].

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج٩، ص٣٩٥.
(٢) المائدة: آية٧٨ـ ٧٩.

الإمام الحسين عليه السلام يستشهد هنا بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، وهذا يعني أنّ الوضع قد وصل إلى درجة الانحطاط بعدم وجود تناهٍ عن المنكر، بل توجد منافسة على عمل المنكر، مما يدلّ على أنّ الرؤية أصبحت غير واضحة تماماً؛ إذ أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً!

هذه الآية تتحدّث عن تناهٍ اجتماعي، فإذا دققنا النظر في القرآن نجد هناك كتابين للإنسان، كتاب يُشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1]، فجميع الدلالات والألفاظ في هذه الآية هي دلالات وألفاظ شخصية، فالكتاب كتاب شخصي.

لكن هناك كتاب مجتمعي تحدّث عنه القرآن الكريم أيضاً، كتاب يتحدّث عن حساب جماعي ومجتمعي، يعني: أنّ هناك حساباً يُشير إلى دور الإنسان في المجتمع وليس دوره في حالته الخاصّة، هذا الحساب تقول عنه الآية: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]. هذه ألفاظ جماعية اجتماعية، وهو كتاب يُشير إلى دور الإنسان في بناء مجتمعه.

فعندما يأمر الإنسان بالمنكر ولا يأمر بالمعروف، هذا فيه جنبة شخصية، لكن عندما يرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً تأتي الآية القرآنية التي وظّفها الحسين عليه السلام: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم،**

(١) الإسراء: آية١٣ـ١٤.
(٢) الجاثية: آية ٢٨ـ ٢٩.

وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟»[1].

هذا أُنموذج ممّا ذكره الإمام عليه السلام من الآيات، وهناك آيات قرآنية كثيرة جدّاً استعملها الإمام الحسين عليه السلام ووظّفها في خطابه وكلماته، وهي بحاجة إلى شرح وتوضيح كبيرين.

خاتمة

هناك دعوتان أردت أن أقدمهما في هذا المجال:

الأُولى: دعوة إلى مراكز الدراسات والجامعات بكل مستوياتها، والتي يدخل هذا الموضوع في دائرة تخصّصها، بأن يقوموا بنفض الغبار عمّا أراده الإمام الحسين عليه السلام في نهضته، وخصوصاً فيما يرتبط بالقرآن الذي كان محور حركته ومنطلقها، علماً أنّ الظلامة التي حلّت بالإمام عليه السلام وأنصاره يدخل جزء كبير منها في إخفاء هذه الحقائق وعدم نفض الغبار عنها، والظلامة الكبرى عندما نجد أنّ الحسين عليه السلام استلم الإمامة لمدّة عشر سنوات ولم يحفظ لنا التاريخ من هذه المدّة إلّا مدّة ستة أشهر، وهي مدّة خروجه من المدينة إلى مكة، ثمّ إلى كربلاء، بل حتّى في هذه المدّة القصيرة التي قضى منها أربعة أشهر في مكة لم نجد إلّا شيئاً يسيراً من خطبة أو خطبتين، فهي ظلامة كبيرة وحصار إعلامي كبير على الخطب والكلمات التي نطق بها الإمام عليه السلام طيلة مدّة إمامته، والمسؤول المباشر لكشف هذه الظلامة هو مراكز الدراسات والجامعات والمتخصّصون بهذا الشأن.

الثانية: دعوة إلى القنوات الفضائية الهادفة ـ التي تحمل الفكر الإسلامي الأصيل منهجاً ورسالةً ـ أن تتحمل مسؤوليتها في نشر هذه الأفكار، من خلال محاضرات

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٩٥.

ولقاءات وبرامج تلفزيونية موجّهة لكل الفئات العمرية؛ لتركيز مفاهيم هذه النهضة في سلوكياتهم، وتحويلها من مفاهيم إلى أخلاق وقيم وسلوكيات يتعامل بها الناس، ويجب عدم الوقوف عند حدود نقل المفاهيم من ذهن إلى آخر، بل لا بدّ أن يتحوّل هذا المفهوم من حالة إلى حالة أُخرى، ومن مكان إلى مكان آخر، وذلك بأن يُحوّل الخطاب القرآني في النهضة الحسينية إلى مصاديق حقيقية موجودة، مصاديق تتواجد في الملصقات والبرامج والمناهج الدراسية، وتستطيع الفضائيات الإسلامية أن تحقق ذلك بمقدار ما تملك من مؤهلات لنشر الثقافة ومخاطبة الجميع، خصوصاً وأنا أدّعي ـ تحقيقاً لا تقريباً ـ أنّ هناك العشرات من الحلقات المتعددة ـ بل أكثر من ذلك ـ تستطيع أن تتناول الآيات القرآنية في النهضة الحسينية إمّا تصريحاً وإمّا تلويحاً.

هذا والحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على النبيّ المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيّد محمد باقر الخرسان، نشر دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢ـ الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

٥ـ تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود بن عيّاش، تحقيق: الحاج السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
٦ـ التفسير الكبير، محمد بن عمر الفخر الرازي، الطبعة الثالثة.
٧ـ الخصال، محمد بن علي الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، ١٤٠٣هـ/ ١٣٦٢ش.
٨ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ش.
٩ـ النزاع والتخاصم، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: السيّد علي عاشور.
١٠ـ نهج البلاغة، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، نشر دار الذخائر، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش.
١١ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

تجلّي آيات من القرآن الكريم في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

علي كريم بورقراملكي*

ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي**

المقدّمة

استودع النبي صلى الله عليه وآله أُمّته ـ طبقاً لحديث الثقلين المعتبر والمشهور ـ جوهرتين ثمينتين: إحداهما القرآن الكريم، والأُخرى أهل البيت عليهم السلام، ولا يمكن أن يتحقّق القبول لهذا الحديث المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله بقبول إحداهما دون الأُخرى، فلا بدّ أن يكونا ـ جنباً إلى جنب ـ موضعاً لاعتزازنا وتقديرنا، وفقاً لوصية النبي صلى الله عليه وآله.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى إذا كانت كلّ واحدة من هاتين الجوهرتين بياناً وتفسيراً للأُخرى ـ كما يمكن أن نستشف ذلك جيّداً من حديث الرسول صلى الله عليه وآله ـ فإنّ كلاً منهما ستُمثّل تجسّداً وتجلّياً للأُخرى. وعليه؛ فالمستفاد من حديث الرسول صلى الله عليه وآله هو أنّ جميع أهل البيت عليهم السلام يمثّلون القرآن الكريم في حياتهم.

والجدير بالإشارة ـ والحال هذه ـ ما يمكن أن يُظنّ من أنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام وحركته ضدّ خليفة عصره (يزيد بن معاوية) تمثّل تخلّفاً عن العمل بالقرآن الكريم، بَيدَ أنّه إذا أخضع الإنسان سيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى نظرة واقعية، ودرسها وفق رؤية قرآنية، تأخذ بنظر الاعتبار الظروف الزمانية والمكانية الحاكمة على تلك المدّة، فسيُدرك بسهولة أنّ سيرة الإمام الحسين عليه السلام تكشف بذاتها أنّه عليه السلام لم يتنكّب طريق العمل بآيات القرآن الكريم في جميع مراحل حركته، وأنّ هدفه من النهضة أساساً هو

---

* كاتب وباحث إسلامي، من إيران.

** أستاذ في كلية الأديان والمذاهب، من العراق، وعضو هيئة التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني.

هدف قرآني وسماوي، فالإمام الحسين عليه السلام يمثّل الشخصية التي استطاعت أن تجسّد القرآن الكريم بصورة واقعية في حياتها الحافلة بالمفاخر.

بناءً على ذلك، بوسعنا أن نقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام ـ كجدّه العظيم صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام ـ يمثّل تجسيداً للقرآن الكريم، وإنّنا في هذا المقال نحاول أن نلقي نظرةً على الآيات القرآنية التي تبلورت في حياته عليه السلام؛ لنبيّن أنّه عليه السلام كان الحامي والذائد الحقيقي عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله إزاء الأعداء من قبيل يزيد بن معاوية، وربّما تكون هذه الآيات كثيرة، ولكنّنا سنكتفي هنا بذكر موارد منها بصفتها أُنموذجاً.

أوّلاً: الآيات الدالة على إقامة الصلاة ومناجاة الله

تعدّ الصلاة من الموضوعات المهمّة جداً في الدين الإسلامي، ومن الواجبات المفروضة على كلّ مسلم، فمن جهة يعدّها الله تعالى من صفات المتقين؛ إذ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾[1]، ومن جهة أُخرى يقدّمها من الصفات المهمّة، كصفة الزكاة وفي آيات متعدّدة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2]، وغيرها من الآيات[3]، وحري بالذكر كذلك أنّ الصلاة ـ من جهة ـ قد عُدّت في الأحاديث المأثورة عن الأئمّة عليهم السلام عموداً للدين، كما في الحديث القائل: «**الصلاة عمود الدين**»[4]، وعدّت من جهة أُخرى ميزاناً لقبول سائر الأعمال، كما في الحديث القائل: «... **فإن قُبلت قُبل ما سواها، وإن ردّت ردَّ ما سواها**»[5].

(١) البقرة: آية٣.
(٢) المائدة: آية٥٥.
(٣) أُنظر: التوبة: آية٧١. النمل: آية٣. لقمان: آية٤. وسائر الآيات الأُخرى.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، المقنع: ص٧٣.
(٥) المصدر السابق.

صلاة الإمام الحسين عليه السلام ومناجاته

لنلحظ الآن ما هو دور هذه المسألة الحيوية في حياة الإمام الحسين عليه السلام، ومن الأفضل ـ بُغية الوقوف على أبعادها ـ أن نُلقي نظرةً على ما ذكره المؤرّخون فيما يرتبط بهذه المسألة. يذكر الطبري وآخرون ـ مثلاً ـ أنّ العباس عليه السلام بعدما عاد إلى الإمام الحسين عليه السلام ليطلعه على ما دار بينه وبين شمر بن ذي الجوشن من حديث، قال له الحسين عليه السلام: «**ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنّا العشية، لعلّنا نُصلّي لربّنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنت أُحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار**»[1].

وبعدما اشتدّ القتال يقول ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) قال أبو ثمامة الصائدي لأبي عبد الله عليه السلام: «**...أُحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها... فرفع الحسين رأسه، ثمّ قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المُصلّين الذاكرين! نعم، هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نُصلّي**»[2].

تحليل وإيضاح

يمكننا أن نستفيد من هذه الحادثة نقطتين مهمتين:

الأُولى: أوضح الإمام الحسين عليه السلام في هذا الكلام أنّه يحبّ الصلاة، ممّا يكشف بوضوح أنّ المُصلّي الواقعي لا يكتفي بإقامة الصلاة فقط، بل ينبغي أن يكون محبّاً لها، ومروّجاً لثقافة الصلاة في وسط المجتمع، فإنّ الإمام عليه السلام بإقامته الصلاة جماعة ـ بمرأى من جيشه وجيش العدو ـ قد أوصل رسالة تُنبئ الجميع بأهمّية إقامة الصلاة في أوّل وقتها.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢١٦ـ٢١٧.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٠. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٥١. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢١.

الثانية: أراد الإمام عليه السلام من خلال هذا السلوك العرفاني الخالص، أن يعرض في ظهيرة العاشر من محرّم ـ أمام الصديق والعدو ـ جميع أبعاد هذه العبادة، وأسرارها وأجزائها، في أجمل صورها وأكملها وبكل إخلاص وعشق.

وفيما يرتبط بحبّ الإمام عليه السلام للصلاة في ذلك الظرف الخطير يمكن أن نُشير إلى الأسباب الآتية:

١ـ قد ثبت من وجهة نظر علم النفس أنّ الصلاة تمنح الإنسان حالة من الطمأنينة، وأنّ الإنسان يصل في كنفها إلى الشعور بالسكينة والهدوء، وأنّه يتلقّى بواسطتها نوعاً من العلاج، ومن الطبيعي أنّ كلّ ذلك منوط بمقدار حضور القلب، واستجماع الحواس، ومناجاة الربّ الرحيم.

والسبب في أنّ الصلاة تبعث على الطمأنينة هو أنّ العلاج بواسطة الاسترخاء يعدّ في حدِّ ذاته من المواضيع التي حظيت بقبول المعالجين النفسيين، وليس هناك شك في أنّ الصلاة هي إحدى طرق الاسترخاء والسكينة، وقد وظّف أحد العلماء ـ ويدعى (ولبي) ـ هذه الطريقة بصفتها وسيلة في العلاج[1].

٢ـ إنّ طرح المشاكل والحوادث المسبّبة للاضطراب في جوّ من السكينة أثناء الصلاة يؤدّي بنفسه إلى تحرّر الإنسان من القلق والاضطراب.

٣ـ إنّ ذكر المشاكل والتصريح بها يخفّف في حدِّ ذاته من شدّة اضطراب الإنسان، تماماً مثلما يسبّب التحدّث بالمشاكل إلى صديق حميم شعوراً بالراحة لدى الإنسان.

٤ـ إنّ مجرد الدعاء والمناجاة يؤدّي في حدِّ ذاته إلى التقليل من حجم الاضطراب عند الإنسان، فالمؤمن ـ في الحقيقة ـ يزوّد نفسه من خلال عقد الأمل باستجابة الدعاء بسند قويّ في مواجهة المشاكل والحوادث والمصاعب، وبهذا الشعور من المدد الغيبي يهبّ لمواجهة الحوادث.

(١) أُنظر: درماني روان در قرآن (العلاج النفسي في القرآن).

٥ـ تؤدّي الصلاة بواسطة ما توجده من رابطة معنوية إلى النشاط المعنوي ومضاعفته لدى الإنسان، وربّما يكون هذا الشعور هو سبب الشفاء السريع لبعض المرضى عندما يقومون بزيارة الأضرحة والمعابد.

وبملاحظة النقاط المدرجة أعلاه يمكننا أن نعرف السبب الذي جعل من بعض الأحاديث تُرشد قائلة: «**ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضّأ، فيدخل المسجد، فيركع ركعتين، يدعو الله فيهما، أَما سمعت الله يقول: واستعينوا بالصبر والصلاة**»[١]، وقد كان النبي عليه السلام ـ طبقاً لما رُوي عن الإمام علي عليه السلام ـ كلّما دخله هم وغم يقول: «**أرحنا يا بلال**»[٢].

ثانياً: الآيات الدالة على التمسّك بالعهد والميثاق

إنّ الوفاء بالعهود والمواثيق في الإسلام من المسؤوليات الحتمية لكلّ فرد مسلم، وقد عدّ القرآن الكريم هذا الموضوع من علامات المؤمنين؛ إذ يقول عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[٤]، ويقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد**»[٥]، ويقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «**لا دين لـمَن لا عهد له**»[٦].

تمسّك الإمام الحسين عليه السلام بالعهود والمواثيق

لنلحظ الآن ما لهذا الموضوع من دور في حياة الإمام الحسين عليه السلام، وإلى أيّ مدى كان عليه السلام ملتزماً بهذا الموضوع المهم؟

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٨، ص٣٤١.
(٢) الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضى، المحجة البيضاء: ج١، ص٣٧٧.
(٣) المؤمنون: آية٨.
(٤) الإسراء: آية٣٤.
(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٦٤.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٧، ص٩٦.

عندما يبتغي الإمام الحسين عليه السلام أن يُثني على أصحابه يُشير ـ قبل كلّ شيء ـ إلى صفة الالتزام بالعهود والمواثيق، يقول عليه السلام كما نقل الشيخ المفيد رحمه الله: «**أمّا بعدُ، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي...**»[1]، وكذلك ينقل رحمه الله فيما يرتبط برفض الإمام عليه السلام لنقض العهد في حياة معاوية: «**وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة**»[2].

ويقول الشيخ المجلسي رحمه الله: «**إنّ الطرماح بن حكم قال: لقيت حسيناً وقد امترت لأهلي ميرةً، فقلت: أُذكرك في نفسك، لا يغرّنك أهل الكوفة، فو الله، لئن دخلتها لتُقتلَن، وإنّي لأخاف أن لا تصل إليها، فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل أجأ، فإنه جبل منيع، والله، ما نالنا فيه ذلّ قطُّ، وعشيرتي يرون جميعاً نصرك، فهم يمنعونك ما أقمت فيهم. فقال: إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن أخلفهم**»[3].

وفي مقابل ذلك، فإنّ أكثر ما أحزن الإمام الحسين عليه السلام وآذاه هو نقض أهل الكوفة لعهدهم، وقد بلغ هذا الموقف الشنيع منهم حدّاً استدعى لعن الإمام عليه السلام لهم؛ إذ يقول عليه السلام: «**تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم، حين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين...أَلا لعنة الله على الظالمين الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد التوكيد**»[4].

تحليل وإيضاح

توجد هنا نقطتان جديرتان بالالتفات والتأمّل:

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٩٢.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٩.

(٤) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥١٣.

الأُولى: لم يكن الثبات والتمسّك بالعهد أمراً بعيداً عن التوقّع بالنسبة لشخصية كشخصية الإمام الحسين عليه السلام، فهو الذي تربّى على يدي النبي صلى الله عليه وآله الذي تمكّن بسيرته أن يعلّم الآخرين درس الوفاء، ذلك النبيّ الذي لم يتخلَّ عن عهوده ومواثيقه وهو يتعامل مع الكفار، حتّى وإن كانت تعود عليه بالضرر... يقول تعالى: ﴿... فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ ...﴾[1].

الثانية: يمثّل مدح الإمام عليه السلام لأصحابه ـ في الواقع ـ مدحَ القرآن لـمَن يتحلّون بصفة الوفاء بالعهد في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾[2]، وفي المقابل يمثّل الأشخاص الذين لعنهم الإمام عليه السلام لنقضهم العهد ذات الأشخاص الذين استحقوا اللعن في القرآن الكريم للسبب ذاته؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[3].

ثالثاً: الآيات الدالة على الكرم والسخاء

يُعدّ الجود والسخاء من الفضائل الإنسانية التي أثنى عليها القرآن الكريم؛ إذ يقول تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۞ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۞ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۞ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾[4].

جود الإمام الحسين عليه السلام وسخاؤه

يقول العلّامة المجلسي رحمه الله فيما يرتبط بجود الإمام عليه السلام وكرمه: «جاءه رجل من

(١) التوبة: آية٤.
(٢) الأحزاب: آية٢٣.
(٣) الرعد: آية٢٥.
(٤) الإنسان: آية٩ ـ ١٣.

الأنصار يُريد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام: يا أخا الأنصار، صن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ما سارّك إن شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلّمه ينظرني إلى ميسرة. فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرّةً فيها ألف دينار، وقال عليه السلام له: أمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروّة، أو حسب، فأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروّة فإنّه يستحيي لمروّته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنّك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك»[1].

وجاء في رواية أُخرى: «**أتاه رجل فسأله، فقال عليه السلام: إنّ المسألة لا تصلح إلّا في غرم فادح، أو فقر مدقع، أو حمالة مفظعة**»[2].

يقول الشيخ المفيد رحمه الله: «**وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي، حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمّون متقلّدو أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا، وأقبلوا يملأون القصاع والطساس من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه وسقوا آخر، حتّى سقوها كلّها**»[3].

ويقول الشيخ عباس القمّي رحمه الله: «**يقول علي بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذٍ، فجئت في آخر مَن جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية. والراوية عندي السقاء، فقال: يابن أخي، أنخ الجمل. (مراده الجمل الذي يحمل الماء)، فأنخته، فقال: اشرب. فجعلت كلّما شربت سال الماء**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١١٨ـ ١١٩.
(٢) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٤٦.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٨.

من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء. أي: اعطفه، فلم أدرِ كيف أفعل، فقام فخنثه، وسقيت فرسي»[1].

إنّ سلوك الإمام عليه السلام الحافل بالجود والسخاء تجاه أعدائه في واقعة عاشوراء وفي حين الشدّة يكشف عن أخلاقه الحسنة؛ ولذلك عندما سأله أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا بُنيّ ما السؤدد؟ قال: اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة**»[2]، وفي رواية أُخرى: «**قيل للحسين بن علي عليه السلام: ما الفضل؟ قال: ملك اللسان، وبذل الإحسان**»[3]، وقال عليه السلام: «**أجود الناس مَن أعطى مَن لا يرجوه**»[4]، وقال عليه السلام: «**أجود الناس مَن جاد بنفسه وماله في سبيل الله**»[5]، وأخيراً قدّم الإمام الحسين عليه السلام لحبيبه كلّ ما عنده في صحراء كربلاء على طبق الإخلاص.

التفاتة: طبقاً لمنطق الإمام الحسين عليه السلام ينبغي ـ بناءً على ما ذُكر في الروايات المتقدّمة ـ أن يقترن السخاء بالحفاظ على العزّة والكرامة الإنسانية، فلا ينتهي الجود إلى إذلال الشخص المحتاج، والانتقاص منه، من هنا كان عليه السلام يولي الكرامة الإنسانية كلّ الاهتمام، ويؤكّد أنّه لا ينبغي النيل من كرامة الإنسان بلا حق، فقد كان عليه السلام ـ على كلّ حال ـ متحلّياً بهذه الصفة المتميّزة على أفضل وجه، وكان عليه السلام يعمل وفقاً لهذه الصفة الحسنة، مراعياً جميع الجوانب الأخلاقية، ويمكن القول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام ـ في الحقيقة ـ هو القرآن الناطق.

رابعاً: الآيات الدالة على العزّة والإباء

يَعدّ القرآن الكريم في بعض آياته رفضَ الذلّ من الصفات الحسنة، يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ

(١) القمّي، عباس، منتهى الآمال: ج١، ص٤٦٣ـ٤٦٤.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٠٢.
(٣) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٩، ص٢٤.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧١، ص٤٠٠.
(٥) الراوندي، فضل الله بن علي، النوادر: ص١٣٨.

يَرْفَعُهُۥ ...﴾[1]، وينسب هذه الصفة إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين: ﴿... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾[2]، حتّى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**فَإِنَّه جَلَّ اسْمُه قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَه، وإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّ**»[3]، وعليه ينبغي لكلّ شخص ـ طبقاً لتعاليم القرآن الكريم والأحاديث ـ أن يذبّ عن شرفه وعن كرامته الإنسانية، وليس له أن يُهين منزلته بالرضوخ للذلّ بأيّ شكل من الأشكال، من هنا يُعدّ الانتحار في الدين الإسلامي ذنباً، يستوجب العذاب بنار جهنّم يوم القيامة؛ لأنّه ليس لأيّ إنسان الحق في أنّ يطأ بقدميه شرف الإنسانية وكرامتها.

نظرة إلى عزّة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه للذلّ

جاء في الأحاديث أنّ الرسول صلى الله عليه وآله اعتبر الإمام الحسين عليه السلام أُسوةً في العزّة والفخر، وأنّه صلى الله عليه وآله قال فيه: «**إنّه لمكتوب عن يمين عرش الله عزّ وجلّ: مصباح هدى وسفينة نجاة، وإمام خير ويُمن وعزّ وفخر وعلم وذخر**»[4]، ويعني هذا الحديث أنّ الطريق إلى الخير والكمال والعزّة والشرف هو التأسي والاتّباع لسيرة الإمام الحسين عليه السلام، لما يتبوّأه عليه السلام من مكانة رفيعة، ولذلك لم يخضع الإمام عليه السلام للظلم والضيم إطلاقاً، وآثر الدفاع عن الحقّ على أن يعيش ذليلاً، وأصبح الصوت المطالب بالحرية في العالم، وكمثال على ذلك: عندما واجه عليه السلام صفوف الأعداء خاطبهم قائلاً: «**أَلا وإنّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك، هيهات منّي الذلّة! أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طهرت، وحجور طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[5].

---

(١) فاطر: آية ١٠.
(٢) المنافقون: آية ٨.
(٣) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي صالح: كتاب رقم ٥٣، ص ٤٢٧.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٦٢.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٣.

وعندما حمي وطيس المعركة، وبينا كان الإمام عليه السلام في ميدان القتال إلى اللحظة التي استُشهد فيها، كانت تشع في خطابه هذه الكلمات:

الموت خير من ركوب العار والعار خير من دخول النار [1]

تحليل وإيضاح

يقول الشيخ جوادي آملي: «**ميزة العزّة أنّها لا تقف عند حدّ عدم التسليم إلى المعتدي، بل تقوم بقمعه، وميزة العزيز أنّها لا تقف عند حدّ الحفاظ على نفسه، والدفاع عن حقّه، بل يقوم بالتصدّي والقضاء على كلّ مَن يُثير الشغب بُغية تضييع الحق**»[2].

والآن يمكننا القول بضرس قاطع: إنّ منشأ التفكير والرؤية المتحلّية بالعزّة ورفض الذلّ هو الإيمان والاعتقاد القلبي الصادق، ذلك الإيمان الذي يحرّر أتباع الحق من الرذائل، والعلائق المادّية الفانية، ويشدّهم إلى الأبدية، ويقودهم إلى مذبح الحق باختيارهم وهم في حالة جذل وهيام.

طبقاً لهذه الرؤية تكون الحياة مع الطغاة عاراً، ولا تنسجم مع الإيمان والكرامة الإنسانية، وينبغي يقيناً مقاومة الظلم، والوقوف بوجهه، ويمثّل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ـ على حدّ تعبير ابن أبي الحديد ـ الشخصية التي لقّنت الأُمّة درس الحمية، وإيثار الموت تحت ظلّ السيوف على حياة دنية وفانية، وإنّه عليه السلام سيّد أهل الإباء[3]، وبحسب تعبير الإمام الخميني رحمه الله: «**إنّ المدرسة التي كادت تندثر بسبب الانحرافات التي جسّدتها نفايات الجاهلية، تحت شعار (لا خبر جاء ولا وحي نزل)، ظهر من أجلها شخص كبير، ليحقق إنجازاً عظيماً، بتضحيته الفريدة، ونهضته الإلهية**»[4].

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٢.
(٢) جوادي آملي، عبد الله، تفسير موضوعي قرآن (فارسي): ج٣، ص١٩ـ٢٠.
(٣) أُنظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٤٩.
(٤) الخميني، روح الله، صحيفه إمام (فارسي): ج٣، ص١٨١.

نعم، خلاصة الكلام هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الشخصية التي استطاعت بسيرتها أن تعلّم المسلمين العزّة في العلاقات الفردية والاجتماعية، وأن تُظهر للبشرية المفاهيم القرآنية السامية، وأن تصطبغ كالقرآن بلون الأبدية والخلود.

خامساً: الآيات الدالة على إقامة علاقة الحبّ مع اللّه

يُشير القرآن في عدد من الآيات ـ كما في الآية (٥٤) من سورة المائدة[1] ـ إلى هذا الموضوع المهم من أنّ هناك رجالاً مشوا في طريق الله، فأحبّوا الله بصدق، وأحبّهم الله. إنّ علاقة هؤلاء الرجال بالآخرين هي في سبيل الله، ولأجل مرضاته تعالى، فهم يحبّون الله من صميم أفئدتهم، وهم يتحلّون بالثبات والاستقامة في هذا السبيل؛ لأنّ حبّهم حقيقي وواقعي، لا يبتغون به مطامع دنيوية، فلا يقومون بمثل هذه الأعمال مراءاة بالتزامهم الديني، وإبرازاً لشخصياتهم أمام الآخرين، بل انطلاقاً من حبّهم الصادق، حتّى أنّهم على استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل المحبوب الخالق لتلك النفوس، يقول الرسول صلى الله عليه وآله في هذا المجال: «**لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، ويكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبّ إليه من أهله، ويكون ذاتي أحبّ إليه من ذاته**»[2].

حبّ الإمام الحسين عليه السلام للّه تعالى

ولننظر الآن كيف تجسّد وتبلور هذا الحبّ والعشق الإلهي في وجود الإمام الحسين عليه السلام؟

في بداية حركته يقول الإمام الحسين عليه السلام حين زيارته لقبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

(١) يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٧، ص١١٢.

«**اللّهمّ، إنّي أُحبّ المعروف، وأُنكر المنكر**»[1]، ثمّ يقول لابن الزبير: «**لأنْ أُقْتَلَ خارِجاً مِنها** [أي: الكعبة] **بِشِبْر أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ داخِلاً مِنْها بِشِبْر**»[2]، ومع تسليمه عليه السلام بالقضاء والقدر الإلهي بيّن أنّ الهدف من حركته هو مقارعة الظالمين، وفي خطبة أُخرى بيّن أنّ الله تعالى ملاذه عند الشدائد، وفي كلام آخر بعد أن يبثّ إلى الله حاجته، مبيّناً أنّ إرادة الله هي إرادته، يغيّر لهجة الخطاب قائلاً: «**اللّهم، هذا قبر نبيّك محمد، وأنا ابن بنت نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهم، إنّي أُحبّ المعروف، وأُنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه إلّا اخترت لي ما هو لك رضى، ولرسولك رضى**»[3]، إلى أن يقول عليه السلام: «**يا إلهي، صبراً على قضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك، يا غياث المستغيثين**»[4].

إنّ جميع هذه الكلمات، ومناجاة الإمام عليه السلام لله تعالى، وكلّ تلك الصفات، تُظهر ـ دون شك ـ أنّ محبّة الله قد ضربت بأطنابها على قلبه وروحه، فهو لا يرى وجهاً سوى وجهه تعالى، فلا خيرة له إلّا ما يختاره الله، ولا يسكن إلّا إليه تبارك وتعالى.

بناءً على ذلك؛ يمكننا أن ندّعي بضرس قاطع أنّ الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يتنازل عن عواطفه، وأن يختار ما اختاره الله له، برغم حبّه الشديد لأولاده وأصحابه، وعدّه إيّاهم من نِعم الله عليه؛ لأنّ حبّ الله يجري في قلبه وعروقه، ولابتغائه رضا الله تعالى، ولأنّ إرادة الله تمثّل إرادته.

وكمثال لذلك: لمّا توفّيَ أحد أبنائه لم تظهر على محيّاه آثار الكآبة، فعُوتب على ذلك، فقال عليه السلام: «**إنّا أهل بيت نسأل الله عزّ وجلّ فيُعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحبّ رضينا**»[5]، ويقول عليه السلام موجّهاً الخطاب للفرزدق في كلمة قصيرة وهو في طريقه إلى العراق: «**وإن**

(١) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٢٨.
(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٩٣.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٨.
(٤) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٨٢.
(٥) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢١٥.

حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد مَن كان الحق نيته والتقوى سريرته»[1]، ويقول عليه السلام في موقف عرفات في يوم عرفة: «**إلهي، تقدّس رضاك أن تكون له علّة منك، فكيف يكون له علّة منّي، إلهي، أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنياً عنّي**»[2]، ويقول عليه السلام في موضع آخر: «**لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت**»[3].

إنّ الداعي لحبّ الموت من قِبل المحبّين لله هو أنّ ذلك يمثّل إرادة الله تعالى، وصدق أولياء الله قولاً وفعلاً، فأولياء الله لا يدّخرون جهداً إزاء التسليم لأمر الله وقضائه وقدره، ولا يبالون بالموت في سبيل ذلك، وقد جاء في الحديث: «**مَن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه**»[4].

تحليل وإيضاح

١ـ يرى أكثر العرفاء فيما يرتبط بتعريف الحبّ والعشق أنّهما لا يخضعان للحدّ والتعريف وإن قال ـ بعضهم معرّفاً أصل الحبّ والعشق ـ: «**حقيقة الحبّ هي رابطة من روابط الاتحاد تشدّ المحبّ إلى المحبوب، وجذبة من جذبات المحبوب تدعو إليها المحب**»[5]، أو هو: «**قبس في القلب ينشأ من جذبة الحقّ إلى ذاته، وانجذاب العبد إليه، تبتغي هذه الشعلة المباركة من البداية أن تزيل الفاصلة بين المحبّ والمحبوب، وأن توصل المحبّ إلى المحبوب، وتجعل الفاني في الله خالداً بخلود الذات الإلهية، إنّ هذه الخصوصية لتلك الشعلة هي التي تعني الحبّ**»[6].

يقول الخواجة عبد الله الأنصاري: «**العشق نار محرقة، وبحر لا نهاية له، هو الروح،**

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٧.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٥، ص٢٢٥.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٣٨.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص١٣٤.
(٥) الكاشاني، محمود بن علي، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية (فارسي): ص٤٠٦.
(٦) شجاعي، محمد، مقالات (فارسي): ص١٦٨.

وهو روح الروح، وهو قصّة لا تنتهي، وداء بلا دواء، والعقل متحيّر في إدراكه، والقلب عاجز عن استيعابه، يخفي الظاهر، ويظهر المستور»[1].

٢ـ مَن يحبّ الله يحبّ كلّ شيء يرتبط بالله وفقاً للرؤية القرآنية[2]، يقول العلاّمة الطباطبائي في تفسير الآية (١٢٢) من سورة الأنعام: «**وأمّا محبّة الله (سبحانه) فإنّها تطهّر القلب من التعلّق بغيره تعالى من زخارف الدنيا وزينها، من ولد أو زوج أو مال أو جاه، حتّى النفس وما لها من حظوظ وآمال، وتقصر القلب في التعلّق به تعالى، وبما ينسب إليه من دين أو نبي أو ولي وسائر ما يرجع إليه تعالى بوجه، فإنّ حبّ الشيء حبّ لآثاره.**

فهذا الإنسان يحبّ من الأعمال ما يحبّه الله، ويبغض منها ما يبغضه الله، ويرضى برضا الله ولرضاه، ويغضب بغضب الله ولغضبه، وهو النور الذي يُضيء له طريق العمل»[3].

وأخيراً، فإنّ حياة الإمام الحسين عليه السلام حافلة بالمحبّة والنور، وقد كان إظهار الحبّ لله والتعلّق به قولاً وعملاً أمراً مشهوداً في جميع شؤون حياته عليه السلام، فقد اتخذ طريق المحبّة والسلوك، وسعى إلى وصال الله تعالى، ليقوده نور الله إلى طور الوصال، فيتزيّن بالحقائق التي يتحلى بها المقرّبون، وينخرط في سلك المجذوبين، ليتولّى الله تدبير أُموره كلّها، وينظّم أُموره بنظمه واختياره.

سادساً: الآيات الدالة على التوكّل على اللّه والاعتماد عليه

يُعدّ الإصغاء لله والتوكّل عليه من أركان الإسلام وتعاليمه الحيوية، فالقرآن الكريم يؤكّد ذلك، ويدعو إليه في مواضع مختلفة، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[4]، فالآية تتحدّث عن المؤمنين الذين خاطبهم المنافقون بالقول: إنّ مشركي مكّة وأتباع

(١) إبراهيمي ديناني، دفتر عقل وآيت عشق (مكتب العقل وآية العشق): ص٧٧.
(٢) أُنظر: الجاثية: آية١٨. الأنعام: آية١٥١. آل عمران: آية٣١.
(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١١، ص١٦٠.
(٤) آل عمران: آية١٣٧.

أبي سفيان قد اجتمعوا لكم فاحذروهم، فما كان منهم إلّا أن قالوا: حسبنا الله في مقابل كل عدو، ونعم العون هو الله.

وفي موضع آخر يدعو الله إلى التوكّل عند اتخاذ القرارات؛ إذ يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، ويدعو المؤمنين إلى التوكّل قائلاً: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2]، ويقول كذلك: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، وفي آية أُخرى يبين الله عجز الشيطان عن أن يطال سلطانه المؤمن المتوكّل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4]، وفي موضع آخر يُبيّن الله تعالى أنّ المؤمن يتحلّى بسبع خصال مهمّة: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[5].

في هذه الآيات يُبين الله تعالى سبعة برامج للمتوكّلين، وهي كالآتي:

١ـ اجتناب الكبائر والفواحش.

٢ـ العفو عند الغضب.

٣ـ الاستجابة لدعوة الله.

٤ـ إقامة الصلاة.

٥ـ المشورة في أُمورهم.

٦ـ الإنفاق.

٧ـ عدم الاستسلام للظلم.

(١) آل عمران: آية١٥٩.
(٢) الطلاق: آية٣.
(٣) آل عمران: آية١٢٢.
(٤) النحل: آية٩٩.
(٥) الشورى: آية٣٦ـ٣٩.

توكّل الإمام الحسين عليه السلام واعتماده على الله

ولننظر الآن كيف تحلّى الإمام الحسين عليه السلام بهذه الخصال في حياته الغالية.

يقول الشيخ المفيد رحمه الله في هذا المجال: «**لما صبَّحت الخيلُ الحسينَ رفع يديه وقال: اللّهمّ، أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك؛ رغبةً منّي إليك عمَّن سواك، ففرّجته وكشفته، وأنت ولي كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة**»[1].

وفي موضع آخر يعتبر الإمام الحسين عليه السلام العزّة والغنى رهينتي التوكّل على الله، فيقول عليه السلام: «**إنّ العزّ والغنى خرجا يجولان، فلقيا التوكّل فاستوطنا**»[2].

فمثل هذا الخطاب يظهر منه ـ بلا شك ـ مدى إدراك قائله لأهمّية هذا الموضوع وكونه أساساً، فلم يكن الإمام عليه السلام متمسّكاً بالتوكّل على الله القادر في كلامه ورؤاه فحسب، بل في عمله وسيرته كذلك، وهذه الحقيقة يمكنها أن تكشف لنا عن السبب الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام في واقعة عاشوراء يكرّر قول: «**لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم**»[3]، وجعله يستسهل كلّ تلك المصاعب والمشاق في ساحة كربلاء، بل جعلت من وجهه ـ خلافاً للعادة ـ يزداد نوراً وإشراقاً كلّما ترادفت المصائب عليه.

تحليل وإيضاح

يتضح ممّا ذكرنا أنّ التوكّل من المواضيع الأخلاقية المهمّة في الحياة، فهو موضوع يمكنه أن يمتدّ إلى جميع شؤون الإنسان في حياته، ولا سيّما عندما تقصر يد الإنسان عن التشبّث بالأسباب الطبيعية المادّية، فلا يتمكّن من خلالها من بلوغ غايته ومراده،

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٦.
(٢) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢١٨.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٧.

ففي مثل هذه الظروف يستطيع الإنسان أن يتحلّى بالجرأة ورباطة الجأش، ليبلغ هدفه معتمداً على هذه الدعامة الروحية والنفسية المهمّة، من هنا تمسّك الإمام عليه السلام بحبل التوكّل على الله حينما قلّ ناصره وكثر عدوه، فلم يكن أمام الإمام عليه السلام في مثل تلك الظروف سوى طريق الشهادة في سبيل الله، ولم يكن له سوى التوكّل على الله[1].

سابعاً: الآيات الدالة على أهمّية الصدق في شؤون الحياة

يقول تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[2]، ويقول العلاّمة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «**وبالجملة، هو أن يرى الصدق في كلّ مدخل منه ومخرج، ويستوعب وجوده، فيقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ولا يقول ولا يفعل إلّا ما يراه ويعتقد به، وهذا مقام الصدِّيقين**»[3].

بالتأمّل في معنى الآية يتضح أنّ الصدق لا يقف عند حدِّ المجالات الفردية والشخصية من حياة الإنسان، فالصدق بحسب مورد استعمال الآية مطلق، وبناءً على ذلك تشمل الآية بعمومها جميع الميادين، حتّى السياسية منها والاجتماعية، ومن هنا ينبغي لكلّ مسلم أن يُقيم حياته على أساس الصدق، ولا يحيد عن هذا المبدأ في جميع الظروف والأحوال.

صدق الإمام الحسين عليه السلام في حياته

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى مبدأ الصدق منذُ اللحظة الأُولى لانطلاق حركته السياسية الدينية؛ إذ قال عليه السلام: «... **إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنّ الجنّة والنّار حق، وأنّ الساعة**

(١) أُنظر: مُغنية، محمد جواد، الحسين عليه السلام والقرآن: ص١١٥.
(٢) الإسراء: آية ٨٠.
(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٣، ص١٧٦.

آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله»[1].

من الجدير الالتفات إلى هذه النقطة، وهي أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد شهد الشهادتين وذكر أنّ المعاد حق؛ لئلا يحمل أحد خروجه على محمل المروق عن الدين، كما مرق عنه الخوارج بجهلهم، وليشير إلى نوع من الخروج المطلوب في المجتمع الإسلامي، وهو الخروج الإصلاحي في الإطار الديني الإلهي بعدما عدّد أنواعاً من الخروج السلبي التي تقف في الجهة المنافية للدين، كالخروج أشراً أو بطراً، أو فساداً أو ظلماً، وهكذا كان الإمام عليه السلام يتلو قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2] كلّما بلغه نبأ استشهاد أحد أصحابه كمسلم قيس وبن مسهر وعبد الله بن يقطين، ليُظهر أنّ هدف هؤلاء الشهداء لم يكن سوى الصدق والوفاء بالعهد مع الله.

كان الإمام الحسين عليه السلام ـ بناءً على ذلك ـ لا يدعو إلى شيء حتّى يكون قد عمل به سابقاً، ولا يقول كلاماً حتّى يقرّه بعمله، فإذا دعا إلى الغيرة على الدين أظهر بعمله الغيرة الدينية الإسلامية، وإذا رغّب في صفات حميدة تحلّى هو بها، والعكس صحيح أيضاً، فإذا قام عليه السلام بعمل نصح الآخرين به، فقد كان عليه السلام يسعى إلى أن يجسّد الصدق بتمام معناه في حياته الإسلامية والقرآنية، مثلما عمل هو عليه السلام بهذه الحقيقة.

تحليل وإيضاح

إذا لم تكن مواقف الحكومة قائمة على أُسس الشريعة، وأدّى ذلك إلى تلوّث أفراد المجتمع مثل قيادته، فإنّ مثل هذه الحكومة وسياستها ستفتقد الشرعية الإلهية، وفي ظلّ غياب المشروعية والوجاهة الدينية ـ كما هو معلوم ـ تكون مسؤولية معالجة الحوادث على عاتق الجميع، فمن خلال تحقق هذه المسؤولية الجماعية سينكشف

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.
(٢) الأحزاب: آية٢٣.

كذب كلّ دعوى أو موقف يقف في الجهة المخالفة، وعليه سيتضح لجميع أفراد المجتمع ماهية الحقائق وحقيقة الأشخاص.

وستكون النتيجة أنّ القيام بأيّ خطوة ضدّ الجهاز الأُموي الحاكم مصداقاً للخروج الصادق، والموقف الذي يحظى برضا الله تعالى، نظراً إلى أنّ هذا الجهاز كان مُبتلى بمثل تلك الأوضاع، وأنّه ـ طبقاً للشواهد التاريخية، وما نقله المؤرّخون ـ حافل بالظلم والفساد؛ ولذلك أقدم الإمام الحسين عليه السلام على نهضته الصادقة المستتبعة لرضا الله تعالى، لتتجلّى للمسلمين الحقائق، وليعرفوا أحقيّة أهل البيت عليهم السلام.

ثامناً: كيفية العلاقات الإسلامية في القرآن

يقدّم القرآن الكريم تعاليم متنوّعة فيما يرتبط بطريقة تعامل الفرد المسلم إزاء سلوكيات الآخرين وتوجّهاتهم المختلفة، سواء كانوا مسلمين أم غيرهم، وكذلك أُسلوب التعاطي مع المسائل الاجتماعية والسياسية في الميادين الداخلية والعالمية، وهي في مجموعها على أربعة أقسام:

الأوّل: التعامل الحسن والمنطقي مع الجميع، بما فيهم الأعداء، يقول تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[2].

الثاني: التعامل بمحبّة واحتفاء الأشخاص النادمين والتائبين، يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾[3]، ويقول تعالى كذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[4].

---

(١) النحل: آية١٢٥.
(٢) البقرة: آية٨٣.
(٣) آل عمران: آية١٥٩.
(٤) البقرة: آية٢٢٢.

الثالث: التعامل بقسوة وشدّة مع أعداء الإسلام والقرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. يقول العلاّمة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «... **فإنّ المعنى: فإذا كانوا يتثاقلون في أمر الجهاد، ويكرهون القتال، فقاتل أنت يا رسول الله بنفسك، ولا يشقّ عليك تثاقلهم ومخالفتهم لأمر الله سبحانه، فإنّ تكليف غيرك لا يتوجّه إليك، وإنّما يتوجّه إليك تكليف نفسك لا تكليفهم، وإنّما عليك في غيرك أن تحرّضهم**»[3].

الرابع: التعامل بخشونة وحزم مع الأصدقاء المنحرفين والمذنبين، فيأمر الله تعالى في موضع بعدم إطاعة المنحرفين فيقول: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[4]، ويقول في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾[5]، ويقول تعالى أخيراً في موضع آخر: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6].

أنواع العلاقات الاجتماعية للإمام الحسين عليه السلام

لننظر الآن كيف طبّق الإمام الحسين عليه السلام سلوكياً وعملياً هذه التعاليم المذكورة أعلاه، ففيما يرتبط بالقسم الأوّل ينبغي أن نقول: طبقاً لتلك الآيات وظّف الإمام عليه السلام أساليب مختلفة؛ بُغية الوصول إلى أهدافه الإسلامية الطاهرة، من جملتها:

---

(١) التوبة: آية٧٣.
(٢) النساء: آية٨٤.
(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٥، ص٢٥ـ٢٦.
(٤) الإنسان: آية٢٤.
(٥) النساء: آية١٣٥.
(٦) هود: آية١٨.

١ـ أُسلوب الموعظة والنصيحة: إنّ هذا الأُسلوب يُعطي ثماره أحياناً، كما في قصّة زهير بن القين في الطريق بين مكّة وكربلاء[١]، ولا يجدي نفعاً في أحيان أُخرى، كما في قصّة عبيد الله بن الحر الجعفي[٢].

٢ـ أُسلوب التلطّف والمرونة: يتجلّى هذا الأُسلوب بشكل كامل في طريقة تعامل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه مع جيش الحر بن يزيد الرياحي وتقديم الماء لهم، بل لخيلهم كذلك[٣].

٣ـ أُسلوب التوعية والتنوير: كما فعله الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء مع أصحابه، فقد زوّدهم بالوعي الوافي والبصيرة الكافية[٤].

أمّا فيما يرتبط بالقسم الثاني، فينبغي لنا أن نُشير إلى أنّ العفو والتسامح إزاء الأعداء الذين أخطأوا ثمّ تابوا وأظهروا الندم، قد تجلّى على أكمل وجه في واقعة كربلاء، وذلك حين قال الحر بن يزيد: «**إنّي قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي، ومواسياً لك بنفسي حتّى أموت بين يديك، أَفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك**»[٥]، وقد تجلّ مثل هذا السلوك ـ بلا شك ـ في تعامل سائر الأئمّة عليهم السلام، فقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن مكارم الأخلاق، فقال عليه السلام: «**العفو عمَّن ظلمك...**»[٦].

وفيما يرتبط بالقسم الثالث ينبغي أن نقول: إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام وحركته مستلهمة أساساً من أمثال تلك الآيات، فقد بذل عليه السلام كلّ جهده للعمل بها، ولذلك

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٢ـ٧٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٨١ـ٨٢.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٨.
(٤) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٠ـ٢٢١.
(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٥.
(٦) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٣٥٥.

قال عليه السلام: «**لا والله، لا أُعطي بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»[1]، وقال عليه السلام: «**أَما والله، لا أُجيبهم إلى شيء ممّا يريدون حتّى ألقى الله تعالى وأنا مخضّب بدمي**»[2].

أمّا فيما يرتبط بالقسم الرابع المعني بكيفية تعامل الإمام عليه السلام مع المعاندين والمنحرفين فقد وجّه الإمام الحسين عليه السلام خطابه لأهل الكوفة لمّا رأى غدرهم، ونقضهم العهد، وهم الذين كتبوا له يدعونه بشوق أن يقدم إلى الكوفة مركز الخلافة، فقال عليه السلام مخاطباً تلك الجماعة التي احتشدت لقتله: «**تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً...**»[3]، وكذلك قال لابن عباس حينما حذّره من خطورة الخروج: «**أنا أعرف بمصرعي منك، وما وكدي من الدنيا إلّا فراقها**»[4].

تحليل وإيضاح

كما اهتمّ القرآن الكريم بالجوانب الروحية والمعنوية في حياة الأفراد، وفرض أحكاماً بُغية الوصول إلى الكمال المطلوب، أصدر كذلك تعليمات ترتبط بالبعد الظاهري، والحياة المادية، وكيفية تنظيم العلاقة الاجتماعية، فلم يُعنَ الإسلام بالجوانب الفردية من حياة الناس فقط، بل اهتم كذلك بالجوانب الاجتماعية، والعلاقات التي تربط أفراد المجتمع.

من هنا كانت للإسلام تشريعات شاملة تهدف إلى الحفاظ على القيم والمبادئ، والوقوف بوجه ما يعارضها، ولذلك قسّم الإسلام الأفراد إلى مؤمن وكافر ومنافق وفاسق، وحدّد لكلّ صنف مواصفاته الخاصّة، ولا ينبغي الشك في أنّ تمييز هؤلاء الأشخاص ومعرفة هذه التعاليم سيترك تأثيراً كبيراً في بقاء الإسلام، وديمومة القيم الدينية.

---

(١) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٣٧.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦١.
(٣) المصدر السابق: ص٥٨.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٧٣.

وقد تمكّن الإمام الحسين عليه السلام ـ مستلهماً من هذه الآيات، ومتبعاً لتعاليمها ـ أن يُحيي الإسلام، ويخلّد كيانه، فمن خلال الكشف عن حقيقة هؤلاء الأفراد وماهيتهم الباطنية تبين أنّهم ليسوا حماة للإسلام، ليس هذا فحسب، بل تبيّن أنّهم يقفون ضدّ الإسلام، وأنّ حراكهم يصبّ في الجهة المناوئة للقرآن.

تاسعاً: الآيات الدالة على ضرورة استشعار الحضور في محضر اللّه تعالى

ينبغي لكلّ مسلم ـ وفقاً لتعاليم القرآن ـ أن يعلم أنّ الله شاهد وناظر إلى أعماله وأعمال الآخرين، وأن يرى نفسه بمرأى من الله تعالى ومحضره، ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة؛ ذلك لأنّ الله تعالى عالم الغيب والشهادة، لا حدود لقدرته، ولا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عن علمه فرد أو عمل، ولذلك يقول تعالى منوّهاً بذلك: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، فهذه الآية عامّة لا تختصّ بمورد نزولها مع أنّها ترتبط بأعمال الكفّار والمنافقين.

ولذلك يمكننا أن ندعي بسهولة ـ طبقاً لهذه الآية ـ أنّ كلّ عمل يقوم به أيّ شخص يراه الله ورسوله والمؤمنون، كما يقول تعالى في آية أُخرى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2]، فهذه الآية كذلك جاءت لتؤكّد في مقام البيان أنّ جميع الناس ـ وبخاصّة الظالمون ـ ينبغي أن يعلموا أنّ الله ناظر إلى أعمالهم، وأنّهم لا يغيبون عن علمه لحظة، فبالرغم من أنّها نزلت في خصوص الظالمين، إلّا أنّ المورد لا يُخصّص، ولا يمكنه أن يحدّ من المفهوم الواسع الذي تشمله الآية، ليجعله منحصراً في مورد واحد فقط.

شعور الإمام الحسين عليه السلام أنّه بمحضر اللّه تعالى

١ـ ينقل المجلسي رحمه الله الرواية الآتية: «**رُوي أنّ الحسين بن علي عليه السلام جاءه رجل، وقال:**

(١) التوبة: آية ١٠٥.
(٢) الفجر: آية ١٤.

أنا رجل عاصٍ، ولا أصبر عن المعصية، فعِظني بموعظة، فقالعليه السلام**: افعل خمسة أشياء، واذنب ما شئت، فأوّل ذلك: لا تأكل رزق الله واذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله واذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله واذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار واذنب ما شئت»**[1].

٢ـ بعد شهادة أصحابه في يوم عاشوراء رفع الإمام الحسين**عليه السلام** رأسه إلى السماء، وقال: «**اللّهمّ إنّك ترى ما يُصنع بولد نبيّك**»[2].

٣ـ عندما ذُبح ولده الرضيع (علي الأصغر) وضع**عليه السلام** كفّه المباركة تحت نحره، فلمّا امتلأت دماً رمى به نحو السماء، وقال: «**هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله**»[3].

وفي مطلع دعاء عرفة يقول**عليه السلام** بعدما يطلب من الله تعالى مقام الإحسان: «**اللّهمّ، اجعلني أخشاك كأنّي أراك... إلهي تردّدي في الآثار يوجب بُعد المزار... عميت عين لا تراك عليها رقيباً**»[4]، يقول الشيخ جوادي آملي: «**و(كأنّ) هذه استمرّت إلى أن وقع الإمام من ظهر الفرس، وهنا أصبح الكلام عن (إنّ) وليس (كأنّ)، قال: إلهي رضاً بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك، في هذا المقام أخذ (كأنّ) وأسقطها، ووضع (إنّ) مكانها... وفي مراسم وداع الأهل قال: أستودعكم الله، ولم يقل: كأنّي استودعكم الله**»[5].

تحليل وإيضاح

الإحساس بالحضور من الأُمور الروحية والنفسية التي لا تتوفّر إلّا عند مَن بلغ مرحلة من الكمال، فما لم يستنشق الإنسان نفساً من هذه المراحل لا يمكنه أن يُدرك مثل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٦.
(٢) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٢١.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٩.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٥، ص٢١٨ـ٢٢٦.
(٥) جوادي آملي، عبد الله، الحماسة والعرفان: ص٩٩.

هذا الإحساس، إنّ الشعور بالحضور الإلهي يطلق على حالة لدى الإنسان يغضّ النظر معها عن مطالبه ورغباته، فلا يرى لنفسه وجوداً، ويرى الله ومظاهره بدلاً من ذلك.

حينها سيرى الله في نفسه، ويشعر أنّه بمحضر الله تعالى دائماً، فلا يقوم بعمل إلّا إذا كان فيه رضا الله تعالى، فيعتبر رضا الله رضاه، وسخط الله سخطه، وفي مثل هذه الحال يهون عليه تحمّل المشاكل؛ لأنّه يرى الله ناظراً وشاهداً على تلك الحوادث، ويرى نفسه في حالة أداء لامتحان واختبار، ويسعى أن يخرج من هذا الامتحان مرفوع الرأس.

كان الإمام الحسين عليه السلام قد بلغ هذه المرحلة من الكمال، فهو يعلم أنّ العالم بأسره خاضع لربوبية الله، فلا تدور الأيّام ولا الحوادث بعيداً عن نظره، فينبغي أن تكون الغاية من جميع الأعمال هي رضا الله تعالى؛ لأنّ رضا الله تعالى يستتبع ارتقاء الدرجات، ونيل رحمته تعالى، والمزيد من هدايته.

من هنا كان الإمام الحسين عليه السلام يرى نفسه بمرأى الله تعالى دائماً[1]، نظراً إلى حاجته إلى الله، وقدرة الله تعالى غير المتناهية من حيث ساحته الوجودية، وبهذه الرؤية استطاع عليه السلام أن يوجد واقعة بتلك الدرجة من العظمة، ويوظّفها بالشكل المطلوب في سبيل إحياء الإسلام.

عاشراً: الآيات الدالة على وجوب الثبات والمقاومة

أوصى القرآن الكريم الناس في موارد مختلفة بضرورة الاستقامة والصبر في مقابل المشاكل والمكاره، ففي موضع يقول مثلاً: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[2]، وفي موضع آخر يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[3]، وقد

(١) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٨، ص٢٤٥ـ٢٥٣.
(٢) هود: آية١١٢.
(٣) البقرة: آية٤٥.

أكّدت الأحاديث الإسلامية كذلك بشدّة أهمّية الصبر والاستقامة في العبادة، وتحمّل المشاكل، وغيرها، يقول الإمام الحسين عليه السلام فيما يرتبط بالصبر: «... **فإنّ الصبر من الدين والكرم، وإنّ الجشع لا يقدّم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجلاً**»[1]، ويقول عليه السلام كذلك: «**اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر عمّا تحبّ فيما يدعوك إليه الهوى**»[2].

مقاومة الإمام الحسين عليه السلام وثباته أمام الصعاب والمشاكل

نقلت لنا كتب التاريخ ـ بلا شك ـ صوراً كثيرةً لصبر الإمام الحسين عليه السلام، وسنكتفي هنا بنقل عدد منها تجنباً للإطالة، وهي:

١ـ لقد صبر الإمام الحسين عليه السلام سنين عدّة بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام إلى موت معاوية، لم يُقدِم على أيّ عمل بسبب المعاهدة بين أخيه الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، ولم يستجب لجميع الدعوات التي كانت تُشير عليه بالخروج والنهضة[3].

وبعد موت معاوية، وتربّع ابنه يزيد على مسند الحكم، ومطالبة الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة، بدأ الإمام عليه السلام بالنهضة، وفي خضم هذه الحادثة العظيمة أظهر عليه السلام صوراً مختلفة للصبر والثبات، ممّا جعل منه عليه السلام شخصية مزيّنة بجميع أنواع الصبر: كالصبر على العبادة، والصبر على المشاكل، والصبر في مواجهة المصائب، والصبر عند الغضب، وغير ذلك.

وقد بلغ صبره عليه السلام حدّاً جعل الملائكة تعجب منه، فقد جاء في زيارة الناحية: «**قد عجبت من صبرك ملائكة السماوات**»[4]. وقد صبر إلى حدٍّ كان يرى آثار العطش على عياله وأطفاله، وهو في كامل ثباته واستقامته.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٢، ص٤١٣.
(٢) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٨٥.
(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٠.
(٤) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٠٤.

ويقول الإمام الحسين عليه السلام في خطابٍ وجّهه إلى أبي هرة: «**يا أبا هرة، إنّ بني أُميّة أخذوا مالي، وشتموا عرضي، فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله، لتقتلني الفئة الباغية**»[1]، وقال عليه السلام لمّا تقدّم رجال أهل بيته إلى الميدان واحداً تلو الآخر، واستشهد جمعٌ منهم: «**صبراً يا بني عمومتي! صبراً يا أهل بيتي! لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً**»[2]، كما دعا أُخته زينب عليها السلام إلى الصبر.

٢ـ ومن صور صبره عليه السلام امتناعه عن البدء بالقتال، فعلى الرغم من علمه عليه السلام بأنّ جيش الكفر لن يرحمه هو وأهل بيته وصحبه، وأنّ هذا الجيش سيقدم على أعمال يشقّ الصبر عليها، أتمّ الحجّة عليهم، فلم يبدأهم هو ولا أصحابه بقتال. ولمّا منعوه الماء هو وأصحابه، وتسلّل إلى سمع الإمام عليه السلام صوت النساء والأطفال يشكون العطش، لم تمتد يده إلى سلاحه، ليس هذا فحسب، فلم يأذن لأصحابه كذلك أن تلامس أيديهم مقابض سيوفهم وأن يبدأوا القوم بقتال[3]؛ حرصاً منه عليه السلام على يتصف قتاله بصورة الدفاع.

من هنا نشاهد ثبات الإمام عليه السلام على عزمه في مواجهة الباطل عندما يواجه هو وأصحابه حوادث مرّة أو بغيضة، أو حوادث غير متوقعة تقف بوجه هدفه المقدّس، ونراه يفضح الظلم الذي كان يتّصف به الحاكم في عصره، متمسكاً بالدفاع عن الحق، دون أن يُظهر وهناً أو ضعفاً، فلم يتراجع الإمام عليه السلام مقدار ذرّة عن مواقفه السابقة إزاء جميع تلك التغيّرات المفاجئة، بل واصل عليه السلام طريقه، مصرّاً على غاياته وأهدافه، ومبيناً ـ وهو ينشد أبيات من الشعر ـ تفاهة الحياة الفانية، ومشدّداً في أصحابه العزم والقوة.

(١) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٣٣.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٦.
(٣) اُنظر: المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٨٠.

تحليل وإيضاح

إنّ حياة الإنسان الدنيوية ـ أساساً ـ مصحوبة بالإقبال والإدبار في كلّ زمان، وتشتدّ هذه الظروف أكثر حينما تكون هذه الحياة قائمة على أُسس دينية إسلامية، ففي مثل هذه الحالة تواجه الحياة منعطفات أكثر، ومن الضروري أن تتوفّر لدينا الركيزتان الآتيتان لنتمكّن من الهيمنة على المشاكل: إحداهما باطنية، وهي كفاءة الإنسان الخاصّة في مواجهة الصعاب والإخفاقات، والأُخرى ظاهرية، وهي أن يكون للإنسان سند قوي يستمدّ منه قوّته دائماً، ويتمكّن بواسطة الاستعانة به للانتصار على المشاكل.

وقد أوصى الله تعالى بالتمسّك بالصبر والصلاة لتأمين هاتين القوّتين (الباطنية والظاهرية) في الفرد المؤمن، فبالصيام وتجنب مبطلات الصوم تتضاعف معنويات المقاومة لدى الإنسان في مواجهة المكاره، ومن خلال الصلاة، والارتباط بقدرة الإله الأزلية، والاستعانة بالربّ الرحيم، ترتفع معنويات الإنسان، ويمتلك عزيمة أكبر لحل المشاكل.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى يمثّل الصبر ـ كما يستشف من الآيات والروايات ـ مفتاحاً للبركات، ومقدّمة لنيل المراتب المعنوية، وشرطاً للتوفيق في كلّ عمل حسن أو علم أو اكتساب أيّ فضيلة، فضلاً عن علو مراتب الصابرين، يقول الإمام علي عليه السلام فيما يرتبط بذلك: «**لا ينعم بنعيم الآخرة إلّا مَن صبر على شقاء الدنيا**»[1].

من هنا يمكننا أن ندّعي أنّ المكاره التي انهالت على النبيّ يوسف عليه السلام كان لها بركات مهمّة في جوانب مختلفة من حياته عليه السلام، فقد استدعت ـ من جهة ـ أن يعود إخوته إلى طريق الهداية، وأن يتوبوا من أعمالهم السابقة، واستدعت ـ من جهة أُخرى ـ أن يرتقي النبيّ يعقوب عليه السلام مراتب عالية بسبب صبره على إياب ولده، ومن جهة

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٥٣٩.

ثالثة كانت سبباً لنجاة أهل مصر من آثار الجدب والقحط الوخيمة؛ نتيجة التدابير التي اتخذها يوسف عليه السلام، وأخيراً كانت السبب في أن يتمتع المجتمع المصري ببركات خلافة يوسف عليه السلام وإمارته.

وعلى كلّ حال، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام هو المصداق الكامل والتام لهذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

حادي عشر: الآيات الدالة على ضرورة الحفاظ على سلامة المجتمع الديني

للإسلام تعاليم مهمّة فيما يرتبط بضرورة إصلاح المجتمع والشؤون الاجتماعية، كقانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعدّ من حيث القيمة بمستوى مبدأ العدالة؛ لأنّ العدالة وتطبيقها في المجتمع متوقفة على إصلاح الأُمور، وكذلك فإنّ تطبيق العدالة هو من أجل الإصلاح الاجتماعي، بناءً على ذلك يكون الإصلاح الاجتماعي والعدالة متكافئين في القيمة، من هنا يعتبر العلّامة الطباطبائي في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] أنّ موارد العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى هي من أهم الأُمور التي يقوم بها المجتمع، ويقول في معرض استدلاله لإثبات ذلك: «**لما أنّ صلاح المجتمع العام أهمّ ما يبتغيه الإسلام في تعاليمه المصلحة فإنّ أهمّ الأشياء عند الإنسان في نظر الطبيعة وإن كان هو نفسه الفردية لكن سعادة الشخص مبنية على صلاح الظرف الاجتماعي الذي يعيش فيه**»[3].

وعلى أيّة حال، يعتبر القرآن الكريم أنّ إحدى صفات المؤمنين هي العمل بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ

(١) فصلت: آية ٣٠.

(٢) النحل: آية ٩٠.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٢، ص٣٣٠.

بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ...﴾[1]، كما يُعدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً لاختيار الأُمّة الإسلامية، وتفضيلها على سائر الأُمم، يقول تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ...﴾[2]، ولدينا الكثير من الأحاديث الإسلامية التي تتضمّن توجيهات مفيدة في هذا المجال، والتي ينبغي أن تحظى بمزيد من التأمّل والدقة.

العمل الإصلاحي للإمام الحسين عليه السلام في الوسط الاجتماعي

يمكننا أن ندّعي بصراحة وبضرس قاطع أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طيلة حياته عناية خاصّة، فقد أكّد عليه السلام ذلك مراراً طوال حياته، حتّى في عهد معاوية، وقبل خروجه على يزيد، وبعد ذلك في عهد حكومة يزيد، حتّى أنّه عليه السلام قدّم نفسه العزيزة وأهل بيته عليهم السلام فداءً للإسلام من أجل إحياء هذا المبدأ المهم، وما أكثر الموارد التي أشار فيها الإمام الحسين عليه السلام إلى هذا المبدأ، وسنُشير إلى بعضها على سبيل المثال:

١ـ في عهد إمامته عليه السلام حذّر معاوية ـ ردّاً على كتاب بعث به إليه معاوية ـ من تأميره يزيد بصفته صبياً فاسقاً يشرب الخمر، وذلك بعد أن ذكّر عليه السلام معاوية بالفجائع التي ارتكبها بحقّ الشيعة، وإقدامه على قتلهم[3].

٢ـ قبل خروجه من المدينة زار الإمام الحسين عليه السلام قبر جدّه صلى الله عليه وآله، وقال وهو بجوار قبره: «**اللّهمّ، إنّ هذا قبر نبيّك محمّد، وأنا ابن بنت محمّد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهمّ، وإنّي أحبّ المعروف، وأكره المنكر**»[4].

٣ـ قام الإمام الحسين عليه السلام خطيباً بذي حسم (اسم موضع)، وقد جاء في خطبته:

(١) التوبة: آية ٧١.
(٢) آل عمران: آية ١١٠.
(٣) أُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣١٣ـ٣١٤.
(٤) المصدر السابق: ص٣٤٩.

«أَلا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً»(١).

٤ـ وقد خطب الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه وأصحاب الحر بن يزيد الرياحي بالبيضة (اسم موضع) خطبة كشف فيها عن أهدافه، وسبب خروجه، وبيّن فيها عقيدته فيما يرتبط بالمبدأ المذكور أعلاه، واعتراضه على الفوضى التي تسود المجتمع، فقال عليه السلام: **«أَلا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غيّر»**(٢).

٥ـ وفي خطبته عليه السلام في يوم عاشوراء تحدّث الإمام الحسين عليه السلام صمم الكوفيين عن الحق، واقترافهم وأمرائهم المنكر، وتحريفهم لكتاب الله والدين الإسلامي، وقال في خطبته: **«أَلا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله...»**(٣).

وعلى كلّ حال، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام ـ علاوة على إيمانه الراسخ بهذا المبدأ المهم ـ كانت سيرته العملية مرآة لمدى تعظيمه له.

تحليل وإيضاح

نظراً إلى أنّ نيل الكمال والسعادة حقّ مشروع للجميع من جهة، وأنّ هذا الحق الجمعي ـ من جهة أُخرى ـ لا يمكن أن يتحقّق إلّا إذا تمسّك به الجميع، فلا يكون التخلّف الفردي ـ بطبيعة الحال ـ بمعزل عن الإضرار بالآخرين، من هنا يمتلك الفرد الملتزم ـ بصورة طبيعية ـ الحقّ في الاعتراض على الشخص المتخلّف، فضلاً

(١) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٣١ ـ ٣٢.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٩.

عن حقّ الحفاظ على نفسه من آثار المخالفات الاجتماعية السلبية؛ لأنّ ذلك الشخص المتخلّف يوجّه بسلوكه ضربة لأخلاقه وعقيدته، ويجعل منه عرضة للأمراض الروحية والجسمية.

فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ بناءً على ما ذُكر ـ حقّ يولد متزامناً مع حياة كلّ فرد بمعية سائر أفراد المجتمع، وليس لأحد الحق في أن يسلبه عن نفسه، وليس لغيره الحق في أن يسلبه منه.

من هنا يرى الإمام الحسين عليه السلام نفسه أولى من الآخرين بممارسة هذا الحق؛ بُغية تغيير الأوضاع الفاسدة في المجتمع؛ وذلك لما يمتلكه من وعي أكبر في إدراك الحقائق نسبة إلى الآخرين، ولكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، الأمر الذي يمنحه مسؤولية ورسالة أعظم، ليكون أحرص من غيره على دين جدّه صلى الله عليه وآله.

خاتمة

يتبيّن لنا ممّا تقدّم أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أثبت ـ من خلال حياته المليئة بالعرفان والعشق الإلهي ـ ضرورة التزام الإنسان في جميع مراحل حياته العلمية والعملية بجميع التكاليف والتعاليم الإلهية التي جاءت لتأخذ بيد الإنسان نحو السعادة، وممّا لا شك فيه أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو من جملة أولياء الله الذين تمكّنوا من العمل بتلك التكاليف على أجمل وجه.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* نهج البلاغة، تحقيق: صبحي صالح، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
١ـ الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢ـ إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٣ـ الأمالي، محمد بن علي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (مؤسسة البعثة)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٤ـ الإمام الحسين عليه السلام والقرآن، محمد جواد مُغنية، دار الثقافة.
٥ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٦ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٧ـ تحف العقول، الحسن بن علي المعروف بابن شعبة الحرّاني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.ق/ ١٣٦٣هـ. ش.
٨ـ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، قم ـ إيران.
٩ـ تفسير موضوعي، عبد الله جوادي آملي.
١٠ـ الحماسة والعرفان، عبدالله جوادي آملي، الترجمة: تحت إشراف مركز الإسراء للبحوث، دار الإسراء للنشر، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ.ش/ ١٤٣١هـ.ق.
١١ـ دفتر عقل وآيت عشق، إبراهيمي ديناني.
١٢ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأُولى، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.
١٣ـ صحيفه إمام، روح الله الخميني.
١٤ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف

بالصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٥ـ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، الطبعة الأُولى، ١٣٧٦هـ.

١٦ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ. ش.

١٧ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر (دار بيروت للطباعة والنشر)، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٨١ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٩ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بابن طاووس، أنوار الهدى، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٠ـ مثير الأحزان، محمد بن جعفر المعروف بابن نما الحلّي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٢١ـ المحجّة البيضاء، محمد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مكتب النشر الإسلامي التابع لجامعة المدرسين بقم المشرّفة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية.

٢٢ـ المزار، محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، نشر القيوم، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٢٣ـ مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٢٤ـ مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، عزّ الدين محمود بن علي الكاشاني، تصحيح: جلال الدين همايي، مؤسسه نشر هما، طهران ـ إيران.

٢٥ـ مقتل الحسين عليه السلام، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، دار أنوار الهدى، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٢٦ـ المقنع، محمد بن علي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ.

٢٧ـ منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل، الشيخ عباس القمّي، دار المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٨٢ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٩ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد المعروف بالحلواني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٣٠ـ النوادر، فضل الله بن علي الراوندي، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري، دار الحديث الثقافية، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٧هـ.

٣١ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: السيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأُسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

المواقع الإلكترونية

٣٢ـ روان درماني در قرآن، مقال منشور على موقع: (سايت اطلاع رساني مجمع جهاني شيعه شناسي): https://shiastudies.com/fa/10067.

٣٣ـ شجاعي، محمد، مقالات، على الموقع: https://rayabook.net/bookid/20111.

الذبيح في القرآن الكريم
(وفديناه بذبح عظيم)[1]

الشيخ رافد التميمي*

تمهيد

من الأساليب الأساسية التي اتّخذها القرآن الكريم في بيان الحقائق، هو أُسلوب الإشارة والتلويح إلى الكبريات والأُمور الكلّية، دون الدخول في الجزئيات، أو التصريح بشكل مباشر بالموضوعات الخارجية، إلّا في موارد قليلة؛ وذلك لأنّ القرآن كتاب هداية وعبرة وتقنين ، أكثر ممّا هو كتاب تاريخي يُبيّن الحقائق السالفة، والمصاديق الخارجية، والشخصيات التي جرت عليها تلك الأحداث، بل يأخذ من كلّ قصّة عبرة يركّزها في أذهان المجتمعات البشرية لغايات واضحة ومعروفة؛ لذلك في كثير من الأحيان لا بدّ من جمع القرائن والأدلة لإثبات المصداق الخارجي، والمقصود الحقيقي من الآية القرآنية، وهذا أمر مهم في بابه، وله آثار عدّة، سنشير إلى بعضها عند التطرّق لأهمّية هذا البحث.

إنّ مسألة الذبيح في القرآن الكريم من المسائل المهمّة اللافتة للنظر؛ إذ إنّها شكّلت ظاهرة غريبة وفريدة من نوعها، فإنّ الدين الحق وملّة إبراهيم الخليل يحثّان على حفظ النفوس، وعدم سفك الدماء إلّا بالحق، هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى يأتي الأمر الإلهي لإبراهيم الخليل بأن يذبح ابنه كفداء، فهو

---

(١) إنّ هذا البحث عبارة عن ندوة علمية ألقيت في مؤسسة وارث الأنبياء/ قم المقدسة.

* مدير مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية (قم المقدّسة).

قتل لنفس بريئة بشكل فجيع، وهو (الذبح) من قِبل الأب الذي تتملّكه العواطف والرحمة والشفقة على الابن الشاب اليافع، ثمّ تبدّل الصورة، ويأتي ذبح آخر يصفه القرآن بالعظيم، ليحلّ محلّ إسماعيل الذبيح.

ومن هنا يأتي السؤال: هل هذا الذبح الموصوف في القرآن الكريم بأنّه عظيم، هو البديل عن النبيّ إسماعيل عليه السلام حقيقة، أو أنّ هذا مجرّد صورة، والذبح الواقعي أمر، أو شيء، أو شخص آخر، يستحق وصف العظمة القرآنية؟ هذا ما نريد أن نسلّط الضوء عليه بشكل مفصّل من خلال عرض الأدلة والشواهد والقرائن.

إنّ القرآن الكريم ذكر هذه القصّة وبيّن بعض جزئياتها من خلال مجموعة من الآيات، ثمّ أعقبت ذلك الروايات الكثيرة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في مصادر الفريقين، وقد شرحت تلك الروايات وعلّقت عليها؛ لبيان وتفصيل هذه المسألة.

فالبحث عن هذه المسألة له جهات عدّة: فتارةً يكون البحث عن أصل المسألة وتسلسلها وترتيب أحداثها، وأُخرى عن زمنها وموضعها في سلسلة أزمان النبيّ إبراهيم عليه السلام، وثالثةً عن المذبوح: هل هو إسماعيل عليه السلام أو إسحاق عليه السلام؟ ورابعةً عن أسباب وعلل هذا الفداء وآثاره، فكانت هناك أبحاث عدّة، وأُلّفت في ذلك بعض الكتب، وكان هناك اختلاف في مجموعة من جزئيات هذه المسألة على مستوى ترتيب الوقائع وأزمانها، وتحديد شخصياتها وما إلى ذلك.

ونحن في هذا البحث لا نريد أن نتطرّق إلى جميع ذلك، وإنّما نأخذ جهة من هذا البحث قلّما تمّ التطرّق إليها، حتّى أنّ مَن تطرّق إليها قد ذكرها بشكل مختصر، وهي مسألة أنّ الذبيح الذي هو إسماعيل عليه السلام قد فداه الله تعالى بذبح عظيم، فدفع الله الذبح عن نبيّه إسماعيل عليه السلام، وأنّ ذلك الذبح هو الإمام الحسين عليه السلام، مسترشدين برواية عن أهل البيت عليهم السلام، مع بعض البحوث التحليلية التي يمكن أن نستنتجها من ألفاظ الآيات المباركة نفسها.

الآيات القرآنية

قال تعالى في سورة الصافات: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

تُشير هذه الآيات إلى قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام، فقد رأى أنّه يذبحه بأمر من الله تعالى، فعرض ذلك على ابنه، فما كان من جوابه إلّا التأييد والتسليم والقبول، قصد النبيّ إبراهيم عليه السلام ذبح ابنه، واتّخذ جميع الإجراءات اللازمة للذبح، ولكن جاءه النداء الإلهي بأنّك ـ يا إبراهيم ـ قد صدّقت وأطعت وامتثلت للأمر الإلهي، فاستبدل الله تعالى إسماعيل عليه السلام بذبح، وهو خروف، أو وعل، أو شيء آخر حسب اختلاف المفسّرين، فوقع عليه الذبح الفعلي.

فرضية البحث

إنّ ما نريد أن نثبته في هذا البحث، هو أنّه توجد صورتان في هذه الواقعة، الأُولى: صورة ظاهرية، وهي ذبح تلك الذبيحة على يد النبيّ إبراهيم عليه السلام، وهذه الصورة هي الظاهرة التي لا نقاش فيها، والثانية: صورة واقعية حقيقية، وهي أنّ الذبح العظيم الذي كان فداء للنبيّ إسماعيل عليه السلام هو الإمام الحسين عليه السلام، بمعنى أنّ هناك ضرورة تقتضي أن يذبح النبيّ إبراهيم عليه السلام ابنه النبيّ إسماعيل عليه السلام، ولكنّ الله أبدل النبيّ إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم، ولا بدّ أن يكون الفداء نبياً، أو بمنزلة النبيّ، أو أعلى مرتبة؛ لأنّ الأعلى يؤدّي دور الأدنى ولا عكس، وأنّ هذا الفداء العظيم هو الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يعني أنّه لولا الإمام الحسين عليه السلام لكان لزاماً على النبيّ إبراهيم عليه السلام

(١) الصافات: آية ١٠١ـ ١٠٩.

أن يذبح ابنه. فالبحث ـ إذاً ـ عن هذه الفرضية أو الدعوى وإمكان إثباتها، وبيان ما يترتّب عليها.

أهمّية البحث

إنّ البحث عن هذه المسألة لا يعدّ ضمن الترف الفكري كما عليه مجموعة من البحوث والدراسات، وإنّما هناك ثمرات مهمّة وعملية لهذا البحث، تعكس ضرورته، ولزوم بحثه، واتخاذ موقف واضح منه، وتلك الأهمّية إمّا نابعة من البحث نفسه، أو ممّا يتركه من تأثير في مجالات البحوث الأُخرى، ويمكن أن نجمل أهمّية هذا البحث من خلال النقاط الآتية:

الأُولى: إثبات الدرجة الرفيعة للإمام الحسين عليه السلام

إنّ إثبات كون الذبح العظيم الذي فدى به الله تعالى النبيّ إسماعيل عليه السلام هو الإمام الحسين عليه السلام، يعدُّ فضيلة للإمام عليه السلام؛ وذلك لأنّه يعكس المنزلة العالية للإمام عليه السلام عند الله تعالى؛ إذ جعله الفداء العظيم للدين وأهداف السماء، كما سنبيّن ذلك.

نعم، أُشكل على هذا المطلب بأنّه لا يعدُّ فضيلة للإمام الحسين عليه السلام، بل يعدُّ تنقيصاً من مقامه عليه السلام؛ وذلك لأنّ الإمام عليه السلام أفضل من النبيّ إسماعيل عليه السلام، ولا يصح فداء الفاضل للمفضول.

وسنجيب عن هذا الإشكال في البحوث القادمة عند التطرّق إلى بعض الإشكالات الأُخرى.

الثانية: الجواب عن إشكال مطروح

هناك إشكال تمّ طرحه بشكل واسع في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ووصل الأمر فيه إلى التشنيع على الشيعة، من كونهم يؤوّلون ويفسّرون القرآن على خلاف ظاهره من دون أيّ دليل أو برهان أو حتّى شاهد أو قرينة[1].

(١) أُنظر: العاملي، علي الكوراني، الانتصار: ج٣، ص٥٠٠.

من هنا لا بدّ من الجواب عن هذا الإشكال إمّا بالإثبات أو النفي العلمي، من خلال الدليل والبرهان.

الثالثة: التأثير في بعض الأبحاث الأُخرى

هناك مجموعة من البحوث تؤثّر فيها نتيجة هذا البحث بالنفي أو الإثبات.

منها: إذا ثبت أنّ الذبيح الحقيقي هو الإمام الحسين عليه السلام، فهذا يعني حتمية وقوع الذبح في كربلاء، وإلّا لما تحقّق الفداء، ويترتّب على ذلك البتّ في مسألة الهدف من نهضة كربلاء من أنّه عليه السلام خرج للشهادة أو الحكومة.

ومنها: علاقة كون الذبيح هو الإمام الحسين عليه السلام بمسألة أنّ الذي أُمر بذبحه هو النبيّ إسماعيل أو النبيّ إسحاق عليهما السلام؛ وذلك لأنّ أهم دليل في بحثنا هذا هو الرواية التي تثبت أنّ الذبيح هو النبيّ إسماعيل عليه السلام.

ومنها: إذا كان الإمام الحسين عليه السلام هو الذبيح، فسيكون هناك معنى إضافي لقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[1]؛ لأنّه بفداء الحسين عليه السلام لإسماعيل عليه السلام بقي إسماعيل عليه السلام حيّاً، فجاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فيكون بقاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مادياً ومعنوياً من الحسين عليه السلام بحفظ النبيّ إسماعيل عليه السلام وحفظ الرسالة.

الرابعة: الرابطة التكوينية

إنّ إثبات كون الذبيح هو الإمام الحسين عليه السلام، يدلّ على أنّ هناك رابطة تكوينية بين حلقات رسالة السماء، وأنّ الدين دين واحد ضحّى من أجله سائر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

الخامسة: كربلاء والقرآن

إثبات أنّ الذبيح هو الإمام الحسين عليه السلام يكون أحد الأدلة على وجود الإشارات القرآنية لواقعة كربلاء الأليمة.

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١١٦.

فهذه مجموعة من النقاط التي تفرض كلّ واحدة منها ضرورة الخوض في هذا الموضوع، والبحث عنه، وإثبات نتائجه بالدليل والبرهان والبحث العلمي.

بيان الأدلّة

يمكن الاستدلال على مسألة أنّ الذبح العظيم ـ في واقع الأمر ـ هو الإمام الحسين عليه السلام من خلال دليلين: روائي وتحليلي:

الدليل الأوّل: الدليل الروائي

روى الصدوق في (الخصال)، قال: «**حدّثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، عن الفضل ابن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، مَن أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا رب، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله، فأوحى الله تعالى إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده. قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل ـ لو ذبحته بيدك ـ بجزعك على الحسين**

وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾»[1].

سند الرواية

تعتبر هذه الرواية تامّة من جهة السند، فرجاله يمكن الاعتماد عليهم. وعدّه المجلسي الأوّل حسناً كالصحيح، فقال في (روضة المتقين): «**ورُوي في الحسن كالصحيح...**»[2].

وما وقع من الكلام والإشكال في اعتبار عبد الواحد بن محمد بن عبدوس، وعلي ابن محمد بن قتيبة، قد أجبنا عنه بما حاصله:

الأوّل: عبد الواحد بن محمد بن عبدوس

صحّح روايته الصدوق، قال في (العيون) ـ عند ذكره لروايتين مختلفتين في المتن ـ: «**وحديث عبد الواحد بن محمد بن عبدوس رضي الله عنه عندي أصحّ، ولا قوة إلّا بالله**»[3].

وقال أيضاً في كتاب (الهداية): «**وتصديق ذلك: ما حدّثنا به عبد الواحد بن محمد ابن عبدوس العطّار رحمه الله، قال: حدّثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، عن الفضل بن شاذان...**»[4].

كما أنّه روى عنه، بقوله: «**وروى عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري رضي الله عنه، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله، قد رُوي لنا عن آبائك عليهم السلام فيمَن جامع في شهر رمضان أو أفطر فيه، ثلاث كفارات، ورُوي عنهم عليهم السلام أيضاً كفارة واحدة، فبأي الخبرين**

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٥٨ـ٥٩. وأُنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص١٨٧.
(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج١٢، ص٢٣٣.
(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص١٣٥.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، الهداية: ص١٤٧.

نأخذ؟ فقال: بهما جميعاً، متى جامع الرجل حراماً أو أفطر على حرام في شهر رمضان فعليه ثلاث كفارات: عتق رقبة، وصيام شهرين متتابعين، وإطعام ستين مسكيناً، وقضاء ذلك اليوم، وإن كان نكح حلالاً أو أفطر على حلال، فعليه كفارة واحدة، وقضاء ذلك اليوم وإن كان ناسياً فلا شيء عليه»[1].

وقد صحّح هذه الرواية واعتبرها جملة من الأعلام، منهم:

المحقّق الحلّي، كما يظهر من كلامه في (المعتبر)، فقد حملها على الاستحباب ولم يناقش في سندها[2].

العلّامة الحلّي، قال: «**روى ابن بابويه في حديث صحيح عن الرضا**عليه السلام**، أنّه سئل يابن رسول الله، قد رُوي لنا عن آبائك**عليهم السلام **فيمَن جامع في شهر رمضان أو أفطر فيه، ثلاث كفّارات...**»[3].

ولا يضرّ قول العلّامة في كتابه (مختلف الشيعة) عند ذكره لهذه الرواية: «**في طريق هذه الرواية عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيشابوري، ولا يحضرني الآن حاله، فإن كان ثقة فالرواية صحيحة يتعيّن العمل بها**»[4]؛ لأنّ حالة الحضور تقدّم على حالة غير الحضور.

والحر العاملي كما في كتابه (هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة)، على ما يظهر منه[5]. وغيرهم من الفقهاء.

وهناك قرائن عدّة على اعتباره، منها: كثرة نقل الصدوق عنه، وترضّيه الكثير عليه، وكثرة رواياته في الكتب الأربعة؛ ولأجل ذلك قد اعتبر روايته مجموعة

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٣٧٨. وأُنظر: الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص٣٨٩. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار: ج٢، ص٩٧. وأيضاً: الطوسي، محمد ابن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٤، ص٢٠٩.

(٢) أُنظر: المحقق الحلّي، جعفر بن الحسن، المعتبر: ج٢، ص٦٦٨.

(٣) العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج٤، ص٣٧٣.

(٤) العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة: ج٣، ص٤٤٨.

(٥) أُنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة: ج٤، ص١٩٦.

من الرجاليين فضلاً عن غيرهم، منهم: محمد باقر البهبهاني في تعليقته على منهج المقال[1]، والمازندراني في (منتهى المقال)[2]، والسيّد علي البروجردي في (طرائف المقال)[3]، وغيرهم، هذا ويمكن عدّه من المعاريف الذين لم يطعن فيهم أحد، وهو قرينة على الاعتبار.

نعم، قال السيّد الخوئي: «**أقول: كلام الصدوق قدس سره لا يدلّ على توثيق عبد الواحد، بل ولا على حسنه، فإنّ تصحيح الصدوق خبره غايته أنّه يدلّ على حجّيته عنده؛ لأصالة العدالة التي بنى عليها غير واحد، وأمّا التوثيق أو المدح فلا يستفاد من كلامه. ومن ذلك يظهر أنّ تصحيح العلّامة في التحرير رواية عبد الواحد بن محمد بن عبدوس الواردة في لزوم كفارة الجمع على مَن أفطر في شهر رمضان على حرام، لا يترتب عليه أثر، فالرجل مجهول الحال والله العالم**»[4].

وكلام السيّد الخوئي هذا مبتنٍ على مبناه الخاص في مسألة أصالة العدالة، وتعميمه على القدماء، وقد خالفه في ذلك الكثير من العلماء.

الثاني: علي بن محمد بن قتيبة

قد فصّلت الكلام عنه في كتاب زيد بن علي عليه السلام، وقد أثبت وثاقته، ودفعت الإشكالات التي أوردها السيّد الخوئي على وجوه توثيقه، نحيل القارئ على ذلك البحث مراعاة للاختصار[5].

دلالة الرواية

يمكن الاستدلال بالرواية من خلال الفقرة: «**فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم،**

(١) أُنظر: البهبهاني، محمد باقر، تعليقة على منهج المقال: ص١٦٠.
(٢) أُنظر: المازندراني، محمد بن إسماعيل، منتهى المقال: ج٤، ص٢٧٥.
(٣) أُنظر: البروجردي، علي أصغر، طرائف المقال: ج١، ص١٧٤.
(٤) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٢، ص٤٢.
(٥) أُنظر: التميمي، رافد، زيد بن علي: ص٢٠٤.

قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل ـ لو ذبحته بيدك ـ بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾».

وجه الاستدلال

في هذه الفقرة توجد حالة استبدال بالفداء، فقد بدّل الله تعالى جزع إبراهيم عليه السلام على ابنه بجزعه على الحسين عليه السلام، أي: إنّ إبراهيم عليه السلام لا بدّ أن يجزع، وهذا الجزع الذي كان لا بدّ أن يكون على ابنه إسماعيل عليه السلام تبدّل بالجزع على الإمام الحسين عليه السلام، فيكون جزع النبيّ إبراهيم عليه السلام أشدّ، وثوابه عليه أعظم، وعلو درجته أرفع، ثمّ طبّق الإمام الرضا عليه السلام الآية القرآنية على هذا التبديل.

ويمكن أن نستدلّ على المطلوب أيضاً بأنّه لا يمكن أن يكون ذبح الكبش، أو الوعل، رافعاً لدرجة النبيّ إبراهيم عليه السلام، فإنّ درجته عليه السلام ترتفع بمقدار شدّة جزعه، فإذا لم نقل: بأنّ المذبوح أعظم، وبتبعه يكون الجزع أعظم لا ترتفع الدرجة، بل لا توجد درجة أصلاً؛ لأنّ ذبح ما من حقّه الذبح لا يؤثّر في رفع الدرجات، فيبقى الأجر على أصل القبول بذبح الابن، وهذا حاصل مَن أوّل قبول النبيّ إبراهيم عليه السلام بذلك.

النتيجة: يوجد استبدالان في المقام

الأوّل: استبدال حقيقي ظاهري، وهو الذبح الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام في وقت تلك الحادثة، وهذا هو المستفاد من ظاهر الآيات المباركة.

الثاني: استبدال حقيقي باطني، وهو استبدال النبيّ إسماعيل عليه السلام بالإمام الحسين عليه السلام، وهذا هو المستفاد الحقيقي من الرواية الشريفة، وهو ما يظهر من كلام الشيخ الصدوق في الخصال أيضاً[1]، فالرواية تامّة من جهة السند والدلالة.

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٥٨.

الإشكالات على الاستدلال

توجد بعض الإشكالات على الاستدلال لا بدّ من دفعها حتّى يتمّ الاستدلال:

الإشكال الأوّل: عدم التناسب بين المفدى والمفدى له

إنّ الإمام الحسين عليه السلام أفضل من النبيّ إسماعيل عليه السلام، وعليه فلا يكون الفاضل فداء للمفضول، قال القزويني: «**والرواية مع تسليم سلامة سندها غير واضحة الدلالة، بل هي من المتشابهات، مع أنّها على تقدير الدلالة مطروحة؛ لقضائها على انحطاط رتبة الحسين عليه السلام، وهو خلاف المذهب**»[1].

وقد أشار صاحب البحار إلى هذا الإشكال وأجاب عنه[2]، وكذلك البحراني في العوالم[3].

جواب الإشكال الأول

يمكن الجواب بأُمور:

الأمر الأوّل: إنّ الرواية تنصّ على أنّ هناك مقاماً عالياً لا يناله النبيّ إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، بل لا بدّ من ذبح أعظم من النبيّ إسماعيل عليه السلام، حتّى ينال مرتبة أعلى، فهذا من أدلّة أعلائية رتبة الإمام الحسين عليه السلام لا العكس.

الأمر الثاني: بناءً على التسليم بأنّ المُبدل أفضل من البدل، نقول: لولا الفداء بالإمام الحسين عليه السلام لذبح النبيّ إسماعيل عليه السلام، وهذا معناه عدم وجود ذريته، ومنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، فالأفضلية بين الإمام الحسين عليه السلام وحده من جهة، وبين الإمام الحسين عليه السلام وجميع ذرية النبيّ إسماعيل عليه السلام من جهة أُخرى، والثاني أفضل قطعاً.

---

(١) القزويني، علي الموسوي، تعليقة على معالم الأُصول: ج٤، ص٤٥٨.

(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢٦.

(٣) أُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص١٠٦.

قال صاحب البحار: «**وأُجيب: بأنّ الحسين عليه السلام لمّا كان من أولاد إسماعيل، فلو كان ذُبح إسماعيل لم يوجد نبينا وكذا سائر الأئمّة وسائر الأنبياء عليهم السلام من ولد إسماعيل عليه السلام، فإذا عوّض من ذبح إسماعيل بذبح واحد من أسباطه وأولاده وهو الحسين عليه السلام، فكأنّه عوّض عن ذبح الكلّ، وعدم وجودهم بالكلّية بذبح واحد من الأجزاء بخصوصه، ولا شكّ في أنّ مرتبة كلّ السلسة أعظم وأجلّ من مرتبة الجزء بخصوصه**»[1].

الأمر الثالث: أنّ فداء إسماعيل عليه السلام كان من أجل غاية معيّنة ، وليس أمراً جزافياً، والغاية هي حفظ الدين الكامل، والدين الكامل هو الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فيما بعد، ففداء الحسين عليه السلام لأجل هذا الأمر العظيم الذي كانت بدايته في ذلك الزمان، لا لأجل النبيّ إسماعيل عليه السلام فقط، ولكن هذا الجواب يتوقّف على إثبات أنّ علّة الذبح هو حفظ الدين الخاتم، وهذا ما سنتطرّق إلى بحثه في الدليل الثاني.

فإن قلت: إنّ هذا لازمه أن يكون الإمام الحسين عليه السلام فداءً لذلك الهدف، وليس للنبيّ إسماعيل عليه السلام، وهذا خلاف صريح الآية التي قالت: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: النبيّ إسماعيل عليه السلام، وكذا يستلزم أن يكون الفداء استخدم في غير معناه الحقيقي الذي هو بين الفاضل والمفضول.

قلت: إنّ الفداء استُخدم في معناه الحقيقي؛ إذ إنّ ذلك الهدف الذي ضحّى من أجله الإمام الحسين عليه السلام وجميع الأنبياء والمرسلين هو أعظم، وكذا ظاهر الآية باقٍ على حاله ولا يلزم الإشكال؛ وذلك ببيان: أنّ النبيّ إسماعيل عليه السلام كان فداء لذلك الهدف العظيم أو الدين الكامل، والإمام الحسين عليه السلام فداء للنبيّ إسماعيل عليه السلام لا بعنوانه الشخصي الخاص، بل بعنوان أنّه فداء لذلك الأمر العظيم، فالإمام الحسين عليه السلام فداء للنبيّ إسماعيل عليه السلام بذلك اللحاظ.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢٦.

الإشكال الثاني: إشكال سندي

وهذا الإشكال يستفاد من عبارة القزويني المتقدّمة أيضاً، فقد قال: «**والرواية مع تسليم سلامة سندها...**».

الجواب: قد أثبتنا سلامة سندها بشكل مفصّل فيما تقدّم.

الإشكال الثالث: إشكال دلالي

وهو مستفاد من عبارة القزويني المتقدّمة أيضاً، لأنّه قال: «**والرواية... غير واضحة الدلالة، بل هي من المتشابهات**».

الجواب: قد ذكرنا وجه الاستدلال فيما تقدّم.

الإشكال الرابع: كان الفداء جزعاً بجزع، لا الإمام الحسين عليه السلام بالنبيّ إسماعيل عليه السلام

قال صاحب البحار: «**ليس في الخبر أنّه فدى إسماعيل بالحسين، بل فيه أنّه فدى جزع إبراهيم على إسماعيل بجزعه على الحسين عليه السلام، وظاهر أنّ الفداء على هذا ليس على معناه، بل المراد التعويض، ولمّا كان أسفه على ما فات منه من ثواب الجزع على ابنه، عوّضه الله بما هو أجل وأشرف وأكثر ثواباً، وهو الجزع على الحسين عليه السلام**»[1].

والمعنى: أنّ النبيّ إبراهيم عليه السلام أحبّ أن يجزع على ذبح ابنه في سبيل الله حتّى ينال الدرجات الرفيعة، وبعد أن استبدل الله تعالى النبيّ إسماعيل عليه السلام بذلك الذبح، تمنّى النبيّ إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه؛ إذ إنّه لولا الذبح لما جزع، ولا يصل إلى تلك الدرجات، فجاء الإخبار الإلهي أنّه سوف يُذبح الحسين عليه السلام، عندها جزع النبيّ إبراهيم عليه السلام، ثمّ أخبره الله تعالى أنّ هذا الجزع أعظم من جزعك على ابنك لو ذُبح، وعليه فالمسألة أجنبية عمّا نحن فيه، فالإخبار عن ذبح الحسين عليه السلام لا يعني الاستبدال وإن استلزم الجزع الأعظم.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢٦.

جواب الإشكال الرابع

أوّلاً: إنّ الجزع متعلّق بما يجزع عليه، فهو معلول لذبح إسماعيل عليه السلام، وتغيّره عند النبيّ إبراهيم عليه السلام إنّما هو بتبع تغيّر المتفجّع عليه، وعليه فلا معنى لتغيّر تفجّع بتفجّع بدون النظر إلى تغيّر المتفجّع عليه، فالفداء بين الإمام الحسين عليه السلام والنبيّ إسماعيل عليه السلام، وبتبع ذلك يكون تبدل جزع بجزع، خصوصاً أنّ متعلّق الجزع الأُول لم يتحقّق وهو ما يؤكّد عملية التبديل.

ثانياً: إنّ جعل الموضوعية للجزع خلاف الظاهر؛ لذلك اضطر صاحب الإشكال إلى اللجوء إلى التقدير، فقال: «**فالآية تحتمل وجهين: الأوّل أن يقدّر مضاف، أي: فديناه بجزع مذبوح عظيم الشأن، والثاني: أن يكون الباء سببية، أي: فديناه بسبب مذبوح عظيم بأن جزع عليه، وعلى التقديرين لا بدّ من تقدير مضاف، أو تجوّز إسناد في قوله:** ﴿ وَفَدَيْنَاهُ ﴾»[1]، والتقدير خلاف الظاهر، ولا يذهب إليه إلّا عند الضرورة.

ثالثاً: إنّ الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قد فسّرت الآية بذلك، فقد قالت: «**يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل ـ لو ذبحته بيدك ـ بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ:** ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾». ومن الواضح أنّ الذي استُبدل ـ وهو الضمير في فديناه ـ هو النبيّ إسماعيل عليه السلام لا جزع النبيّ إبراهيم عليه السلام.

الإشكال الخامس: شهادة الإمام الحسين عليه السلام ثابتة بمعزل عن قضية النبيّ إسماعيل عليه السلام

قال سيّد فاخر الموسوي: «**والحاصل أنّ شهادة الحسين عليه السلام كان أمراً مقرّراً، ولم يكن لرفع قتل إسماعيل**»[2].

ويمكن أن يُستشهد لذلك بأنّ تمام الأنبياء عليهم السلام قد بكوا وجزعوا لمصاب

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢٦.
(٢) الموسوي، فاخر، التجلّي الأعظم: ص٤٤١.

الحسين عليه السلام، من النبيّ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، وهذا يدلّ على أسبقية تقرّر الشهادة الحسينية على التضحية الإسماعيلية.

جواب الإشكال الخامس

غاية ما يُثبته الإشكال هو الأسبقية، ولا يمكن القطع بعدم الارتباط بين شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومسألة الفداء للنبيّ إسماعيل عليه السلام، فيمكن أن تكون شهادة الإمام الحسين عليه السلام متقرّرة سابقاً، ومرتبطة بمسألة الفداء، وبما أنّ المسألة ترتبط بالعلم والتقرّر، فلا مدخلية للحدوث والتحقّق.

نعم، يمكن أن يكون الفداء أحد الأسباب للشهادة الحسينية، لا السبب المنحصر، فهذا الإشكال حتّى يكون تاماً، لا بدّ أن يثبت عدم الارتباط بدليل وبرهان، وهو ما لم يتضح منه.

الإشكال السادس: رواية واحدة لا تكفي لإثبات المطلوب

إن قلت: إنّ هذا المعنى المهم ـ وخصوصاً أنّه خلاف ظاهر القرآن ـ لا بدّ أن يكون عليه تأكيد من أهل البيت عليهم السلام، ولا يُكتفى فيه برواية واحدة.

جواب الإشكال السادس

أوّلاً: إنّ الرواية إذا تمّ سندها فهي حجّة، وعليها العمل، خصوصاً أنّها لا تخالف ظاهر القرآن، وإنّما تعطي معنىً من بطون القرآن.

ثانياً: مَن راجع التفاسير سوف يجد مئات الموارد من هذا القبيل، بل أكثر، وهو معمول به، ولا إشكال فيه عند العلماء وأصحاب الفن.

ثالثاً: إنّ ما يحتاج إلى أكثر من رواية حتّى يثبت أُمور لها خصوصيات مشخّصة كعموم البلوى، أو الأهمّية القصوى في العقائد الأساسية وما شاكل، والمورد ليس من هذا القبيل.

الإشكال السابع: الخبر الواحد لا يخصّص القرآن

إن قلت: إنّ المعنى الظاهري من القرآن والمدعوم بروايات كثيرة خلاف مضمون هذا الخبر، فلا يمكن أن نحمل المعنى القرآني عليه.

جواب الإشكال السابع

ما فعلناه ليس تخصيصاً للقرآن الكريم، ولا للروايات الأُخرى المفسّرة، ولا يوجد تعارض أصلاً، ولا عموم ولا خصوص، ولا مطلق ولا مقيّد، وإنّما هذه الرواية تثبت معنى من معاني الآية الباطنية، ولا توجد رواية واحدة تنفي هذا المعنى حتّى تتعارض مع هذه الرواية.

الإشكال الثامن: ظاهر الآية فورية الفداء

إن قلت: إنّ ظاهر الآية هو فورية الفداء، مع أنّه توجد فاصلة زمنية كبيرة جداً بين الفدائين حسب المدّعى.

جواب الإشكال الثامن

إنّ الفداء الظاهري كان فورياً، وأمّا الواقعي فلا يحدّه الزمان.

الدليل الثاني: الدليل التحليلي

وهنا مجموعة من المقدّمات لا بدّ من طرحها، ومع تماميتها يتمّ هذا الدليل:

المقدّمة الأُولى: بيان علّة الذبح

إنّ الأفعال الإلهية لا تكون جزافاً واعتباطاً، وإنّما تكون دائماً وفق المصالح والمفاسد، وكلّما كان الأمر مهماً فإنّه يدلّ على الغاية المهمّة منه، فإذا كان الأمر ذبح نبيّ على يد أبيه، فحتماً أنّ الأمر بالغ الأهمّية، فإذا كان الحال هذه، فلا يعقل أن يفي كبش بالغرض المطلوب، وعليه فلا بدّ أن يكون الفداء في واقع الأمر غير الكبش المذبوح.

وهنا قد ترد إشكالات عدّة:

الإشكال الأوّل: علّة الذبح علو الدرجة

ورد في بعض كتب التفاسير أنّ علّة الذبح هي رفع مقام النبيّ إبراهيم عليه السلام، وهو أمر تحقّق بوضع السكين على رقبة ابنه، وعزمه جداً على الذبح، وبعد أن تحقّق المطلوب فدى الله تعالى النبيّ بالكبش.

جواب الإشكال الأوّل

إنّ رفع الدرجات متفرّع ومعلول للرضا بالذبح، لا أنّ الذبح معلول له؛ لذلك لا بدّ من وجود علّة أُخرى للذبح، والشاهد على هذا ما ذُكر في الرواية المتقدّمة؛ إذ إنّ ابراهيم تمنّى أن يكون قد ذبح ابنه بالفعل؛ لأنّه سيصل إلى مرتبة أعلى، فالمرتبة أمر ومتفاوت الدرجات، ولا يمكن أن تكون هي العلّة، بل هي أمر معلول ثانوي في المقام.

فإن قلت: يمكن أن يكون رفع درجة النبيّ إبراهيم عليه السلام علّة غائية في المقام، والعلّة الغائية متقدّمة من جهة الصورة، ومتأخرة من جهة المادة، فمن جهة تقدمها تكون سابقة على الذبح.

قلت: بغض النظر عن مسألة ما هو المتقدّم وما هو المتأخر، فإنّ من المستبعد أن يتمّ لمجرد رفع درجة النبيّ ذبح الابن وقتله، وعليه فلا بدّ أن يكون الذبح لأمر آخر، والرضا بذلك الذبح هو الذي يرفع الدرجات، شأنه شأن جميع الابتلاءات التي مرّ بها الأنبياء والأئمّة والأولياء عليهم السلام.

الإشكال الثاني: علّة الذبح النذر

«ورُوي أنّ إبراهيم عليه السلام كان نَذَرَ إن رزقه الله ولداً ذكراً أن يجعله ذبيحاً لله، فأمر بالوفاء به»[1].

(١) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن: ج٣، ص٤٩٥.

جواب الإشكال الثاني

إنّ هذا المدّعى غير ثابت روائياً.

النتيجة: لا بدّ أن يكون الأمر الذي فدى الله تعالى له أحد أنبيائه أمراً في غاية الأهمّية.

المقدّمة الثانية: بيان معنى عظمة الذبح ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾

وصفت الآية المباركة الذبح الذي هو فداء لإسماعيل عليه السلام بأنّه عظيم، وقد اتّفق جميع المفسّرين من مختلف المذاهب والطوائف على أنّ الكبش أو الوعل الذي ذُبح ـ بما هو كبش، أو وعل ـ لا يصح أن يتّصف بالعظمة، من هنا اتّجه الجميع إلى ذكر وجه لوصفه بالعظمة، وقد قيلت وجوه عدّة:

منها: أنّه كان يرعى في الجنّة أربعين خريفاً.

ومنها: أنّه القربان الذي تقبّله الله تعالى من هابيل.

ومنها: أنّه عظيم؛ لأنّه كان فداء لنبيّ.

ومنها: أنّه عظيم؛ لأنّه صار سنّة أيّام الحج على مرّ العصور[1].

---

(١) المصادر التي ذكرت هذه الوجوه في المقام كثيرة جداً، سواء في الكتب الروائية أم التفسيرية، أو حتى بعض الكتب الفقهية، أُنظر على سبيل المثال من التفاسير التي ذكرت آيات الذبح وفسّرتها:

١ـ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن.

٢ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، جامع الجوامع.

٣ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان.

٤ـ أبو الفتوح الرازي، حسين بن علي، روض الجنان.

٥ـ الكاشاني، فتح الله بن شكر الله، زبدة التفاسير.

٦ـ المكي المخزومي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد.

٧ـ ابن سليمان، مقاتل، تفسير مقاتل.

٨ـ الثوري، سفيان بن سعيد، تفسير الثوري.

٩ـ الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن.

١٠ـ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

١١ـ ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم. وغيرها من المصادر.

جاء في تفسير الأمثل: «**ما المراد بالذبح العظيم؟ هل أنّه يقصد منه الجانب الجسمي والظاهري؟ أو لأنّه كان فداءً عن إسماعيل؟ أو لأنّه كان لله وفي سبيل الله؟ أو لأنّ هذه الأضحية بعثها الله تعالى إلى إبراهيم؟ المفسّرون قالوا الكثير بشأنها، ولكن لا يوجد أيّ مانع يحول دون جمع كلّ ما هو مقصود أعلاه. وإحدى دلائل عظمة هذا الذبح، هو اتّساع نطاق هذه العملية سنة بعد سنة بمرور الزمن، وحالياً يذبح في كلّ عام أكثر من مليون أُضحية تيمّناً بذلك الذبح العظيم، وإحياءً لذلك العمل العظيم**»[1].

وهذه الوجوه جميعها من تحليل وتأويل المفسّرين، ولم نجد رواية واحدة تنسب للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، لا عند الخاصّة ولا العامّة. حتى الوجه الأخير الذي ذكر في تفسير الأمثل، فهو إن تمّ فهو عظمة لعملية الذبح لا المذبوح كما هو واضح، كما أنّ أهل اللغة قالوا: إنّ عظيم بمعنى الشريف أو الكبير، وعلى كليهما لا يتمّ المعنى، فلو قلنا: فديناه بذبح شريف، وكان القصد هو الكبش، يكون المعنى خروفاً شريفاً، ولو وضعنا معنى كبير، وقلنا: خروف كبير، فلا يصل المعنى المقصود الذي تعطيه لفظة العظمة أيضاً.

العظمة في القرآن

تكرّر لفظ العظمة في آيات عدّة في القرآن الكريم، بعضها أُطلق على الأُمور الجيّدة والإيجابية، وبعضها أُطلق على الأُمور السيّئة والسلبية، وفي الجميع تعطي معنى خارج المألوف، وأكبر وأكثر وأخطر وأهمّ من المعتاد:

النوع الأوّل: الله تعالى، فضل الله، اسم الله، الأجر، الفوز، المُلك، العرش، القرآن، طود البحر، عرش بلقيس، النبأ (القرآن)، الذبح، خُلق النبي صلى الله عليه وآله.

النوع الثاني: العذاب، البلاء، الميل عن الحق، الشرك، الافتراء، الظلم، البهتان، السحر، الخزي، الكيد، قول الشرك، الكرب، زلزلة الساعة، القول بغير علم، نكاح أزواج الرسول صلى الله عليه وآله، الحنث.

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج١٤، ص٣٧٠.

هذه مجموعة من الأُمور التي وصفها القرآن الكريم بالعظمة، وبمجرد أن تقرأ الآيات المرتبطة بهذه المعاني يتجلّى معنى العظمة بشكل واضح، وهنا يأتي السؤال: لو أدرجنا الذبح بمعنى الخروف أو الوعل مع الموارد التي ذكرها القرآن الكريم ـ خصوصاً الموارد من النوع الأوّل ـ فهل ينسجم المعنى للقارئ؟

ويمكن توجيه أكثر من إشكال على هذه المقدّمة:

الإشكال الأوّل: إن قلت: إنّ بعض الروايات أعطت هذا الذبح مجموعة من الخصوصيات غير موجودة في غيره، كما نقل الصدوق ذلك في رواية[1]، ويكفي منها أنّه نزل من الجنّة، وهذا يعتبر خارج المألوف، وعليه فيصح وصفه بالعظمة.

قلت: إنّ هذه المسألة استظهارية من الآيات والروايات، فمَن لا يستظهر صحّة وصف الخروف بالعظمة يمكن أن تتمّ عنده هذه المقدّمة.

الإشكال الثاني: إن قلت: إنّ جعل وصف العظمة لغير الخروف أو الوعل خلاف الظاهر، وخلاف صريح مجموعة من الروايات عند الفريقين التي نصّت على أنّ العظمة لهذا الذبح الذي هو الخروف الذي نزل من الجنّة وله عدّة خصوصيات، والذي تم ذبحه بالفعل في تلك الحادثة.

قلت: نحن لا ننكر أنّ العظمة أُسندت إلى الذبح الذي هو الخروف أو الوعل، ولكن نقول: إنّ العظمة أُسندت إليه لا بعنوانه، وإنّما لمحلّه، وللإشارة والرمزية التي يحملها، والتي تحكي ذلك الذبح الحقيقي.

المقدّمة الثالثة: ربط القضية بالإمام الحسين عليه السلام

يمكن أن نطبّق المقدّمتين السابقتين على الإمام الحسين عليه السلام من خلال جهتين: إحداهما معنوية، والأُخرى لفظية.

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٥٦، وغيره من المصادر.

الجهة المعنوية

لا توجد شخصية أعظم من شخصية الإمام الحسين عليه السلام تعرّضت لمسألة الذبح بمعناه الحقيقي، وحفظ من خلالها الدين الخاتم، ففي واقعة كربلاء نجد الأمر المضحّى من أجله أمراً في غاية الأهمّية، وهو دين الله الخاتم الذي ضحّى من أجله الأنبياء والصالحون عليهم السلام، كما نجد الفداء في غاية الأهمّية، وهو الإمام الحسين عليه السلام، فيكون الذبح العظيم هو الذي وقع عليه الذبح الحقيقي، والذي كان فداءً حقيقياً هو الذي يصحّ وصفه بالذبح العظيم.

الجهة اللفظية

إنّ الإمام الحسين عليه السلام عُرف بلقب الذبيح، واشتُهر به، وقد وقع عليه الذبح بالفعل، وأمّا مثل النبيّ إسماعيل عليه السلام وعبد الله، فهما وإن سُمّيا بالذبيحين إلّا أنّها تسمية مجازية؛ إذ إنّهما لم يذبحا.

إذاً؛ فالذبح حقيقي، وهو من أجل الدين الخاتم، ولذا صحّ وصفه بالعظمة.

النتيجة

من خلال ما تقدّم يمكن القول: إنّ المقصود الحقيقي من قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ هو الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك من خلال دليلين: الدليل الروائي، والدليل التحليلي، وكانت هناك مجموعة من الإشكالات على كلا الدليلين وقد أجبنا عنها مفصّلاً.

وإنّ المسألة ممكنة على أقلّ تقدير، ولا يوجد أيّ مانع عقلي أو شرعي من أن يكون الذبح العظيم هو الإمام الحسين عليه السلام، والمسألة تتبع الدليل، فمَن تمّ عنده أحد الدليلين المتقدّمين، فقد تمّت حجّته وصحّ قوله، ومَن لم يتمّ عنده أحد الدليلين، فغاية الأمر تكون المسألة غير ثابتة عنده، ولا يحقّ له التشهير، أو التسقيط، أو الاتّهام للطرف الآخر.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، ضبط نصّه وخرّج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢ـ الاستبصار فيما اختُلف من الأخبار، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة،١٣٦٣هـ. ش.

٣ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقّحة مع إضافات.

٤ـ الانتصار أهم مناظرات الشيعة في شبكات الإنترنت، علي الكوراني العاملي، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦ـ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، قدّم له: الشيخ اغا بزرك الطهراني، تصحيح: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٧ـ التجلّي الأعظم، فاخر الموسوي، الطبعة الأُولى، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤٢١هـ.

٨ـ تحرير الأحكام، الحسن بن يوسف المعروف بـ(العلّامة الحلّي)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٩ـ تعليقة على معالم الأُصول، علي الموسوي القزويني، تحقيق: السيّد علي العلوي القزويني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة ، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.

١٠ـ تعليقة على منهج المقال، محمد باقر البهبهاني.
١١ـ تفسير الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت١٦١هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣هـ.
١٢ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): عبد الرحمن بن محمد بن إدريس المشهور بابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطبيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣ـ تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
١٤ـ تفسير روض الجنان وروح الجنان، الحسين بن علي الخزاعي (من أعلام القرن السادس الهجري)، المشهور بأبي الفتوح الرازي، تحقيق: د. محمد جعفر ياحقّي/ د. محمد مهدي ناصح، آستان قدس رضوي، ١٣٧١هـ. ش.
١٥ـ تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي المكّي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية ـ إسلام آباد.
١٦ـ تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٧ـ تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ. ش.
١٨ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الشيخ خليل الميس/ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٩ـ جامع الجوامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق وطبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٢٠ـ الخصال، محمد بن علي الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، قم ـ إيران، ١٤٠٣هـ. ق/ ١٣٦٢هـ. ش.

٢١ـ روضة المتقين، محمد تقي المجلسي، تحقيق: السيّد حسين الموسوي الكرماني، والشيخ علي پناه الإشتهاردي، بنياد فرهنك إسلامي (مؤسسة الثقافة الإسلامية)، حاج محمد حسين كوشانپور.

٢٢ـ زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الله الكاشاني (ت٩٨٨هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣ـ زيد بن علي، رافد التميمي، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤٢٩هـ.

٢٤ـ طرائف المقال، علي أصغر البروجردي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامّة، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ.

٢٥ـ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله البحراني، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى المحقّقة، ١٤٠٧هـ. ق/ ١٣٦٥هـ. ش.

٢٦ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي الصدوق، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: العلّامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٧ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٨ـ مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢٩ـ مختلف الشيعة، الحسن بن يوسف المعروف بـ(العلّامة الحلّي)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٠ـ معاني الأخبار، محمد بن علي الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، قم ـ إيران، ١٣٧٩/ ١٣٣٨ش.

٣١ـ معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، الطبعة الخامسة طبعة منقّحة ومزيدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٢ـ المعتبر، جعفر بن الحسن المعروف بـ(المحقّق الحلّي)، تحقيق وتصحيح: عدّة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام، ١٣٦٤هـ.

٣٣ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية.

٣٤ـ منتهى المقال، محمد بن إسماعيل المازندراني، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

٣٥ـ هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.

٣٦ـ الهداية، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

النهضة الحسينية في مواجهة التطبيق الخاطئ للقرآن الكريم

الشيخ ميثم اليعقوبي *

مقدّمة

القرآن الكريم هو كلام الله ووحيه، والفرقان بين الحقّ والباطل، وهو الثقل الأكبر، والمصدر الأوّل للتشريع، والمبيِّن لكلّ شيء، والحافل بكلّ ما يحتاج إليه البشر في جميع العصور، وقد قال الإمام الرضا عليه السلام واصفاً القرآن الكريم: «**هو حبلُ الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغث على الألسنة؛ لأنّه لم يُجعل لزمان دون زمان، بل جُعل دليل البرهان، والحجّة على كلّ إنسان،** ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾»[1].

ولعلّك لا تجد فرقة من الفرق الإسلامية إلّا وهي تحاول الاستدلال على عقائدها وممارساتها بالقرآن الكريم؛ لكونه مقدّساً لدى جميع المسلمين، ولا يمكن لأحد التشكيك في صدقه والاعتراض عليه، بل هو حجّة دامغة على جميع المسلمين؛ لذا مارست الدولة الأُموية والحكومات الجائرة والجماعات الدينية المتطرّفة أساليب متنوّعة للالتفاف حول النصّ القرآني من خلال التأويل الخاطئ لآياته، أو صرف

---

* باحث إسلامي، من العراق.

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص١٣٧ـ ١٣٨.

الآيات عن مواردها؛ بهدف إيجاد شرعية لوجودهم في السلطة، والتحكّم بمقدّرات الشعوب؛ فنرى معاوية بن أبي سفيان ـ مثلاً ـ استغل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[1] من أجل طلب الثأر بدم الخليفة الثالث عثمان بن عفّان بدعوى أنّه ولي الأمر[2]، إلّا أنّ الإمام علي عليه السلام أبطل دعوى معاوية بأنّه ليس من أولياء المقتول، وأنّ ورثة عثمان هم أحقّ بالمطالبة بدمه.

كما بذل معاوية أيضاً الأموال الطائلة للرواة؛ لغرض تأويل الآيات القرآنية وصرفها عن معانيها الحقيقية، وتوجيهها إلى تأويلات خاطئة، فقد رُوي أنّه بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم لكي يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[3]، وأنّ الآية الأُخرى نزلت في عبد الرحمن ابن ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[4]، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبِل، وروى ذلك[5].

ولذا كانت النهضة الحسينية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، الذي هو عِدل القرآن ـ كما في حديث الثقلين[6] ـ هي من أجل الدفاع عن الإسلام ورسالة القرآن من

(١) الإسراء: آية٣٣.
(٢) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٩٣.
(٣) البقرة: آية٢٠٤.
(٤) البقرة: آية٢٠٧.
(٥) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٣.
(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا: كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٣٥.

الانحرافات الفكرية، التي كانت كفيلة بطمس الإسلام ومفاهيم القرآن الصحيحة.

ولا يخفى مدى حضور القرآن الكريم في النهضة الحسينية، فإنّنا نجد بشكل واضح وكبير خطب الإمام الحسين عليه السلام وأُسرته المباركة ومواقفهم، وهم يستندون إلى الآيات القرآنية؛ ممّا يكشف أنّ النهضة المباركة قد استمدّت مضامينها وأهدافها من الوحي الإلهي.

كان الإمام الحسين عليه السلام شريك القرآن، وسنده، والعالم به، والقرآن الناطق، وكان عشيق القرآن، يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار، في حلّه وترحاله، حتّى في أحلك الساعات وأصعبها، وقد استلهمت ثورته المباركة مفاهيمها ومعانيها من القرآن الكريم، وكانت كلماته وخطبه التي ذكرها في مسيرته من المدينة المنورة[1]، مروراً بمكّة[2]، وانتهاءً بكربلاء[3]، حتّى بعد شهادته عليه السلام ورأسه على الرمح[4]، خير دليل على أنّ القرآن الكريم كان مواكباً لهذه المسيرة الخالدة في كل خطوةٍ وفي كلّ مرحلةٍ من مراحلها، فكان عليه السلام ينتقي الآيات القرآنية بحسب المقامات المناسبة، ممّا يدلّ على مدى علاقته وعلمه ومعرفته بالقرآن الكريم.

وكذلك ما نقرأه عن مواقف الأُسرة الشريفة في مرحلة النهضة وعلاقتها بالقرآن

(١) أُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٧، وص٢١، وص٢٢. وأيضاً: ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ج٥، ص١٥.

(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٦. وأيضاً: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦٨.

(٣) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٦، وص٣٢٢. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٣. وأيضاً: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٦٣. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٠. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٢، وص٣١٧.

(٤) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٧. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢١٨. وأيضاً: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٢، ص١١٧.

الكريم، فقد قامت هذه الأُسرة ـ بعد شهادته عليه السلام ـ بإكمال المسيرة ، وهذا الأمر لا يقلّ أهمّية عمّا قام به عليه السلام في الميدان، فكانت لهم تلك المواقف البطولية، والكلمات المدوّية التي كانت مستندة إلى الآيات القرآنية، والتي فضحوا بها السلطة الأُموية، وأزاحوا الستار عن فسادها وجورها وانحرافها عن الإسلام.

ومن تلك المواقف حوار للإمام زين العابدين عليه السلام مع ذلك الشامي؛ إذ ذكّره ببعض المفاهيم القرآنية الورادة بحقّهم، واستطاع الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال آياتٍ من القرآن الكريم أن يهدي هذا الشيخ، ويربك النظام الأُموي؛ ممّا حدا بيزيد ابن معاوية أن يأمر بقتل ذلك الشيخ[1].

وكذلك ما وقع من خطبتين للسيّدة زينب عليها السلام في الكوفة[2] والشام[3]، وما احتوته هاتان الخطبتان من آيات قرآنية أرادت من خلالها أن تُشخّص للأُمّة حالة يزيد بن معاوية الذي وصلت به المعاصي وارتكاب المحرّمات والتوغّل فيها إلى مرحلة الكفر والتكذيب بآيات الله، كما بيّنت شناعة وعظم الجريمة التي ارتكبها شيعة آل أبي سفيان بحقّ العترة الطاهرة من قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته، وسبي بنات الوحي.

إذن، جاءت النهضة الحسينية وكان من أهم عناوينها التي أُعلنت هو الإصلاح الديني والفكري في أُمّة النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله، وهو ما نراه جليّاً وصريحاً في مواقف الإمام الحسين عليه السلام وخطبه، والإمام زين العابدين عليه السلام، والسيّدة زينب عليها السلام، وهم يتحدّون سلطة الخلافة الجائرة بصلابة الحق، ومقارعة الحجّة بالحجّة، بإعطاء التفسير الصحيح للقرآن الكريم، باعتبارهم عِدل القرآن بموجب حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين.

(١) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٢ـ١٠٣.
(٢) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٦٢.
(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٣.

وفيما يلي سوف نطلُّ على بعض ما قامت به النهضة الحسينية من دور كبير في التصدّي للمؤامرة الخطيرة على محو الإسلام، عبر تحريف مفاهيم القرآن من خلال التطبيقات الخاطئة لآياته المباركة.

أوّلاً: إطاعة ولي الأمر

بعدما هلك معاوية بن أبي سفيان في النصف من شهر رجب لسنة ستين للهجرة ليصبح من بعده يزيد بن معاوية ـ شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة ـ خليفة على المسلمين، ومن أجل تذليل رقاب العباد، وتوطيد الملك له، عمدت السلطة الأُموية إلى زرع بذور مفهوم الطاعة لولي الأمر، استناداً إلى آياتٍ حُرّفت عن مضامينها، وطُبّقت بشكل خاطئ، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، واستناداً لأحاديث مكذوبة، تنصّ على طاعة ولي الأمر وإن كان ظالماً أو فاجراً؛ وعليه يحرم الخروج على السلطان، وتكون ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة باطلة حسب زعمهم، ويستحقّ عليه السلام القتل؛ لخروجه عن طاعة ولي الأمر يزيد ابن معاوية!

مَن هم أولو الأمر؟

ذهبت الإمامية إلى أنّ أُولي الأمر الذين تجب طاعتهم في الآية الشريفة، هم الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام، وقد ذكروا في المقام روايات عدّة في هذا المضمون، منها:

١ـ رُوي عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: «**سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ قلتُ: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمَن أُولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين من بعدي: أوّلهم عليّ بن أبي**

(١) النساء: آية ٥٩.

طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين...»[1]، حتّى أورد أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أجمع.

٢ـ عندما طلب معاوية من الإمام الحسين عليه السلام أن يصعد المنبر ويخطب في الناس، قال عليه السلام فيما يتعلّق بتنصيبه إماماً: «**نحن حزب الله الغالبون، وعترة نبيّه الأقربون، أحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله، فيه تفصيل لكلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنّى تأويله، بل نتّبع حقائقه، فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة؛ إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، **وقال:** ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾»[2].

٣ـ عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام في معرض تفسيره للآية المباركة: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ أنّه قال: هم: «**الأئمّة من ولْد عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام إلى أن تقوم الساعة**»[3].

٤ـ عن أبان، أنّه دخل على الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام فسأله: «**عن قول الله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾، **فقال: ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ سكت، قال: فلمّا طال سكوته، قلت: ثمّ مَن؟ قال: ثمّ الحسن، ثمّ سكت، فلمّا طال سكوته، قلت: ثمّ مَن؟ قال: الحسين، قلت: ثمّ مَن؟ قال: ثمّ عليّ بن الحسين، وسكت، فلم يزل يسكت عند كلّ واحد حتّى أُعيد المسألة، فيقول، حتّى سمّاهم إلى آخرهم عليهم السلام**»[4].

وفي المقابل هناك نظرية عند بعض المسلمين تذهب إلى أنّ وليّ الأمر هو السلطان الحاكم، سواء أكان برّاً أم فاجراً؛ ولذا ذهب جمع من أهل السنّة من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين بأنّه لا ينعزل الحاكم بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يُخلع، ولا يجوز

(١) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٥٣.
(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٩٥.
(٣) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٢٢.
(٤) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج١، ص٢٥١.

الخروج عليه[1]، وذكروا روايات لذلك تحاول إضفاء الشرعية للحكّام ووجوب طاعتهم وإن أخذوا أموال الناس ظلماً وعدواناً، واستولوا على مقدّرات الناس، بل عليهم السمع والطاعة[2].

متى تجب طاعة ولي الأمر؟

إنّ المسوّغ الشرعي لبقاء الحاكم في السلطة هو اعتبار عدالته، وبفقدها يفقد شرعيّته، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إنّما هلك الناس حين ساووا بين أئمّة الهدى وأئمّة الكفر، فقالوا: إنّ الطاعة مُفترضة لكلّ مَن قام مقام النبي صلى الله عليه وآله براً أو فاجراً، فأتوا من قِبل ذلك، قال تعالى:** ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾»[3].

وركّز الإمام الحسن بن علي عليهما السلام على هذا المبدأ في خطبة له بمحضر معاوية، قائلاً: «**إنّما الخليفة مَن سار بكتاب الله وسُنّة نبيّه، وليس الخليفة مَن سارَ بالجور**»[4].

ثمّ جاءت النهضة الحسينية ضدّ النظام الأُموي؛ لتفنّد بصورة عملية وفاعلة مبدأ الطاعة للحاكم الجائر، الذي اتخذته السلطة الأُموية وباقي السلطات الجائرة شعاراً يراد منه تخدير الأُمّة، والاستسلام الكامل لسياستها الظالمة في التسلّط على رقاب الناس، والقتل، وسرقة بيت المال.

فلو كان عليه السلام يعلم بوجوب طاعة الحاكم، وحرمة الخروج عليه وإن كان ظالماً، لما خرج على حكم يزيد بن معاوية، وبذل مهجته الشريفة ومهج أهل بيته وأصحابه؛ بل كانت صرخة الإمام عليه السلام عاليةً ومدوّيةً في أرجاء المعمورة برفض البيعة ليزيد، بل

(١) أُنظر: النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٢، ص٢٢٩.
(٢) أُنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٦، ص١٧، وص٢٠. وأيضاً: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص٨، وج٨، ص٨٨.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٦، ص٨٢.
(٤) الإصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ص٤٧.

كان عليه السلام يذكر بصراحة في أكثر من مناسبة ظلم وفسق الحاكم الأُموي يزيد، ومن جملة تلك التصريحات ما ذكره عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان من عدم أهلية يزيد للخلافة، فقد قال عليه السلام: «**ثمّ ولّيت ابنك، وهو غلام يشرب الشراب، ويلهو بالكلاب، فخنت أمانتك، وأخربت رعيتك، ولم تؤدِّ نصيحة ربّك، فكيف تولّي على أُمّة محمد مَن يشرب المُسكر؟! وشارب المُسكر من الفاسقين، وشارب المُسكر من الأشرار، وليس شارب المُسكر بأمين على درهم، فكيف على الأُمّة؟!**»[1]، وقال: «**والله، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت ـ والله ـ يزيد بن معاوية أبداً**»[2].

وكذلك ما ذكره من الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله عندما راسل أشراف الكوفة، قائلاً: «**مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يُدخله مدخله. وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3].

ففي هذا الحديث يدعوا رسول الله صلى الله عليه وآله بشكل واضح إلى مواجهة الحاكم الجائر، والتغيير عليه بقولٍ أو فعل، ولذا ذكر الإمام عليه السلام أنّ بني أُميّة هم أبرز مصداق لحكومة الجور، ومخالفة العهود، وذلك يوجب على الأُمّة أن تقف بوجههم وتجاهدهم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم (لزموا طاعة الشيطان)، و(عطّلوا الحدود)، و(أحلّوا حرام الله)، و(حرّموا حلاله).

وعليه يتضح أنّ كلام سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ـ الذي هو عِدل القرآن ـ فيه دلالة واضحة على أنّه ليس في مدلول الآية الكريمة ما يدلّ على وجوب طاعة ولي الأمر وإن كان فاسقاً وظالماً كوجوب طاعة الله ورسوله، بل إنّ موقفه وكلامه عليه السلام

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج٣، ص١٣٣.
(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢١.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٢.

نابعٌ من صميم القرآن الكريم الذي نهى عن الركون والمداهنة للظلمة، بل والتهديد بدخول النار في الآخرة لـمَن يقدّم العون لهم، وهو ما نجده بشكل واضح وصريح في سورة هود، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1]، والركون هو: «**الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به، قال قتادة: معناه لا تودّوهم ولا تطيعوهم**»[2]، وقال الجصّاص: «**الركون إلى الشيء: هو السكون بالأُنس والمحبّة، فاقتضى ذلك النهي عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم والإنصات إليهم**»[3].

مضافاً إلى آيات أُخرى تدلّ بإطلاقها وعموماتها على حرمة إطاعة أهل المعاصي والذنوب، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[5]، وغيرها من الآيات الشريفة.

وأمّا الروايات التي نقلوها عن وجوب طاعة السلطان وإن كان فاجراً، فإنّه مع غضّ النظر عن سندها، فإنّها مبتلاة بوجود المعارض لها، من قبيل: ما رواه البخاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله من أنّه قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[6]، وما رواه أبو داوود في السنن، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «**إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب**»[7].

كما ذهب عدّة من المفسّرين إلى عدم انطباق قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ على الحاكم الظالم، فقد قال الزمخشري في الكشاف: «**إنّ أُمراء الجور، الله ورسوله بريئان**

---

(١) هود: آية١١٣.
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٩، ص١٠٨.
(٣) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن: ج٣، ص٢١٤.
(٤) الشعراء: آية١٥١ ـ ١٥٢.
(٥) القلم: آية ٨.
(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص٧، ج٨، ص١٠٦.
(٧) السجستاني، سليمان، سنن أبي داوود: ج٢، ص٣٢٢.

منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم»[1]، وقال البيضاوي في تفسيره: «أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل؛ تنبيهاً على أنّ وجوب طاعتهم ما داموا على الحقّ»[2].

ثانياً: العقوبة جزاء الذنوب

لقد وُجِّهت إلى الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة العديد من التهم المزيّفة التي حاول الأُمويّون عبر التاريخ ترويجها؛ لتشويه صورة حركته المباركة في أذهان الناس، فقد قام يزيد بن معاوية بترويج أنّ ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء إنّما هو جزاء لأعمالهم وذنوبهم، مستشهداً بالآية القرآنية التي قرأها أمام الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[3]، فالآية الكريمة تدلّ على أنّ المصائب التي يواجهها الإنسان في نفسه أو أهله أو أمواله، إنّما هي ناشئة عن سوء فعله، وبسبب ما صدر منه من الذنوب.

مواجهة التطبيق الخاطئ

لقد تصدّى الإمام زين العابدين عليه السلام بكلّ صلابة وشجاعة لردّ هذه الفرية ودحضها، وأثبت لجميع الحاضرين عدم فهم الخليفة الأُموي للقرآن الكريم، ففي قبال استناد يزيد بن معاوية إلى آية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، قد استند عليه السلام إلى آية أُخرى منطبقة على أهل البيت عليهم السلام، فقد قال عليه السلام: «كلّا، ما هذه فينا نزلت، إنّما نزلت فينا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ إلى قوله:

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج١، ص٥٣٦.
(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي: ج٢، ص٢٠٦.
(٣) الشورى: آية ٣٠.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1]. **فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما آتانا**»[2]، أي: إنّ جميع البلايا التي تقع على الإنسان هي مقدّرة ومحفوظة في اللوح المحفوظ، وفي قضائه قبل أن توجد في هذا العالم، ونحن أهل البيت مصداق الآية المباركة؛ إذ إنّنا راضون بقضائه وبما كان في علمه أن يكون، فلا نأسى على ما فاتنا من نعم الدنيا، ولا نفرح بما آتانا منها.

وقد ذكر المسعودي، أنّه لما أُدخل الإمام علي بن الحسين عليه السلام على يزيد، قال له: كيف رأيت يا علي بن الحسين؟ قال: «**رأيت ما قضاه الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق السماوات والأرض**»[3]. ولكن هذا لا يعني تبرئة يزيد بن معاوية من جريمته النكراء في قتل سيّد شباب أهل الجنّة وأهل بيته، وسبي نساء آل بيت النبوّة؛ لذا نرى في نقل آخر أنّه عندما ذكر يزيد بن معاوية آية: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، أجابه عليه السلام قائلاً: «**هذا في حقّ مَن ظَلَم لا في حقّ مَن ظُلِم**»[4].

وذكرت السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام في خطبتها في الكوفة الآية الكريمة نفسها التي استشهد بها الإمام زين العابدين عليه السلام، فقالت: «... **فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة** ﴿فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾»[5].

أضف إلى ذلك أنّ الابتلاءات التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام وكذلك سائر

---

(١) تمام الآية: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: آية ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج٢، ص٣٥٢.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: ص١٧١.

(٤) ابن الصبّاغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٨٣٧.

(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٨ـ٢٩.

الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام إنّما هي لغرض رفع مقاماتهم عند الله تبارك وتعالى، كيف لا وهم المعصومون عن جميع الذنوب بنصّ آية التطهير، وقد ورد في الكافي بإسناده عن علي بن رئاب، قال: «**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته عليهم السلام من بعده، أهو بما كسبت أيديهم، وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفر في كلّ يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب، إنّ الله يخصُّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب**»[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة**»[2].

ثالثاً: تخطئة حركة الإمام الحسين عليه السلام

من ضمن الاتهامات التي حاول الأُمويّون عبر التاريخ ترويجها لتسويغ حربهم، وتبرير جريمتهم النكراء، هي تخطئة الإمام الحسين عليه السلام في خروجه ورفضه لبيعة يزيد، باعتبار أنّه اعتراض على الإرادة الإلهية التي كانت سبباً وراء وصول يزيد إلى السلطة، وجلوسه على عرش الخلافة؛ لأنّ الله تعالى هو الواهب للملك والسلطان؛ لذا عندما شاهد يزيد رأس الإمام الحسين عليه السلام، قال: «**أتدرون من أين أتى ابن فاطمة؟ وما الحامل له على ما فعل؟ وما الذي أوقعه فيما وقع فيه؟ قالوا: لا. قال: يزعم أنّ أباه خير من أبي، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) خير من أُمّي، وجدّه رسول الله خير من جدّي، وأنّه خير منّي، وأحقّ بهذا الأمر منّي، فأمّا قوله: أبوه خير من أبي، فقد حاجّ أبي أباه إلى الله عزّ وجلّ، وعلم الناس أيّهما حكم له، وأمّا قوله: أُمّه خير من أُمّي، فلعمري إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) خير من أُمّي،**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤٤٩ـ٤٥٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٤، ص٢٣٥.

وأمّا قوله: جدّه رسول الله خير من جدّي، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أنّ لرسول الله فينا عِدلاً ولا ندّاً، ولكنّه إنّما أتى من قلّة فقهه، لم يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾»[1].

فقد أراد يزيد القول ـ من خلال الآية الكريمة ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ ـ: إنّ المُلك يصل إلى صاحبه بأمر الله، ويُنزَع منه بأمر الله أيضاً، وعندها لا يحقّ لأحدٍ مهما كان نسبه ومنزلته الاعتراض على الحاكم؛ لأنّه اعتراض على إرادة الله (جلّ وعلا)، حتّى قال شاعرهم مسكين الدارمي حينما دخل على معاوية بن أبي سفيان:

بَنِي خلفاءِ الله مهلاً فإنّما ... يُبوِّئها الرحمٰن حيثُ يريدُ

إذا المنبر الغربيّ خلّاه ربّه ... فإنّ أميرَ المؤمنين يزيدُ[2]

مواجهة التطبيق الخاطئ

قد أوضحت السيّدة زينب عليها السلام ـ وهي في مقام المواجهة للتفسير الخاطئ للقرآن الكريم، أمام طاغية الشام يزيد بن معاوية ـ أنّ الملك والسلطان الذي تحت يده هو حقّ أهل البيت عليهم السلام، وهم أَوْلى بالخلافة والملك على العباد من بني أُميّة، فقد قالت: «**أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا**»[3].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص٢١٢ـ٢١٣.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج٢٠، ص٢٢٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٣.

وكذلك صرّح الإمام زين العابدين عليه السلام أمام يزيد قائلاً: «**يابن معاوية وهند وصخر، لم تزل النبوّة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدّي علي ابن أبي طالب في يوم بدر وأُحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدّك في أيديهما رايات الكفّار**»(١).

إنّ المُلك بالضم هو بمعنى: القدرة والعظمة والسلطان(٢)، ولا يقال للحاكم الظالم الذي استولى على الحكم والسلطة بغير حق: إنّ الله آتاه المُلك واسترعاه الخلق، بل هو المتغلّب والغاصب لما في يده، فيقال: هذا ثوب فلان، وهذا مال فلان، وإن كان في قبضة الغاصب والظالم، وعندما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الآية الكريمة: أليس قد آتى الله عزّ وجلّ بني أُميّة المُلك؟ قال: «**ليس حيث تذهب إليه، إنّ الله عزّ وجلّ آتانا المُلك وأخذَتْه بنو أُميّة، بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر، فليس هو للذي أخذ**»(٣).

ولذا؛ ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المراد من المُلك في الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ...﴾، هو النبوّة والإمامة، فالله سبحانه وتعالى يؤتي النبوّة والإمامة مَن يشاء من عباده، وأمّا الكافر والفاسق فمهما غَلَب أو مَلَك فليس ذلك من حقيقة المُلك؛ لأنّه تعالى قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤).

وذهب العلّامة الطباطبائي في الميزان إلى أنّ إيتاء الملك يكون على وجهين:

الوجه الأوّل: «**إيتاء تكويني، وهو انبساط السلطنة على الناس، ونفوذ القدرة فيهم، سواء كان ذلك بالعدل أم بالظلم، في قال تعالى في نمرود: ﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾، وأثره نفوذ الكلمة، ومضي الأمر والإرادة**»(٥).

---

(١) المصدر السابق: ص١٣٦.
(٢) أُنظر: الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج١٣، ص٦٤٧.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٦٦.
(٤) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج٢، ص٢٧١.
(٥) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٣، ص١٤٢.

الوجه الثاني: «**إيتاء تشريعي، وهو القضاء بكونه ملكاً مفترض الطاعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾، وأثره افتراض الطاعة، وثبوت الولاية، ولا يكون إلّا العدل... والذي كان لبني أُميّة من الملك هو المعنى الأوّل وأثره...**»[1].

رابعاً: إلقاء النفس في التهلكة

من التطبيقات الخاطئة للقرآن الكريم التي حاول وعّاظ السلاطين من خلالها تبرئة يزيد بن معاوية من جريمته النكراء في قتل السبط الإمام الحسين عليه السلام، هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[2]، باعتبار أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً بشهادته حتّى قبل بداية الثورة، فهو القائل: «**كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً، وأجربةً سغباً...**»[3]، وفي نصّ آخر يُروى عنه عليه السلام قوله: «**والله، لا يَدَعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي...**»[4]، إلى غير ذلك من كلماته التي صرّح فيها بأنّه مقتول لا محالة، وعليه ألا يكون هذا إلقاء للنفس في التهلكة، وهو محرّم بنصّ الآية الشريفة؟

معنى التهلكة

التهلكة: تعني الهلاك، وقيل: «**كلّ شيء تصير عاقبته إلى الهلاك**»[5]، وقد ورد الهلاك في القرآن الكريم بمعانٍ عدّة، منها: الموت والفناء، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾[7].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) البقرة: آية ١٩٥.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٣٨.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٩٦.
(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص٥٠٦
(٦) غافر: آية ٣٤.
(٧) النساء: آية ١٧٦.

ومنها: الكفر والضلال، قال تعالى: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾[1]. ومنها: الزوال والفناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[2].

كما وردت التهلكة في الروايات الشريفة في مصاديق عدّة، منها:

١ـ الإسراف والتبذير في النفقة إلى حدّ ضياع المال، فقد جاء في الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفّق، أليس يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، يعني: المقتصدين**»[3].

٢ـ مخالفة التقية؛ لأنّ في ذلك إيقاع للنفس في التهلكة، فقد ورد عن حذيفة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، قال: «**هذا في التقية**»[4].

٣ـ اقتراف الذنوب تعريض للنفس إلى التهلكة؛ إذ إنّ الذنوب تستوجب العذاب الإلهي يوم القيامة، وقد تستوجبه في الدنيا أيضاً؛ ولذلك ورد في القرآن الكريم: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[5]، وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «**إنّما هلك مَن كان قبلكم بما عملوا من المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك**»[6].

مواجهة التطبيق الخاطئ

إنّ الآية الكريمة: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ﴾ تريد القول: إنّ الجهاد كما هو بحاجة إلى الرجال والمقاتلين، كذلك بحاجة إلى الإنفاق

(١) الأنفال: آية ٤٢.
(٢) القصص: آية ٨٨.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٣.
(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٢١٣.
(٥) الأنعام: آية ٢٦.
(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥٧.

الذي هو أعمّ من المال والسلاح والغذاء ووسائل النقل، فإذا ترك المسلمون الإنفاق في الجهاد الذي من خلاله يتمّ تأمين وسائل الجهاد من السلاح وغيره، فسوف يقعون في التهلكة، ولكن مفهوم الآية أوسع من ذلك؛ إذ يشمل موارد أُخرى، منها: قتل النفس من دون مبرّر.

وأمّا القول: إنَّ الآية الكريمة تنطبق على نهضة سيّد الشهداء عليه السلام، فهو إنّما نشأ من الجهل وعدم إدراك مفهوم الآية المباركة، أو هو قولٌ يريد التمويه على عامة الناس بأنّ الإمام عليه السلام كان مخطئاً في ثورته ضدّ النظام الأُموي.

ويمكن الجواب عن ذلك بما يلي:

ليس كلّ إتلاف للنفس هو إلقاء لها في التهلكة ومحرم شرعاً، بل الآية الكريمة إن كان لها إطلاق وشمول، فهي مخصّصة بكثير من الموارد التي لا يكون فيها إتلاف النفس وإلقاؤها في التهلكة محرّماً، نذكر منها موردين:

الأوّل: الإنسان الذي يتكلّم بكلمة حقّ أمام السلطان الجائر ويُقتل بسببها، فهو من أفضل الشهداء، بل سيّدهم، ولا يقال: إنّه ألقى نفسه في التهلكة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل تكلّم بكلمة حقّ عند سلطان جائر فقتله**»[1]، والإمام الحسين عليه السلام مصداق بارز لهذه الأحاديث، فقد نطق بكلمة الحق أمام الجائر، فهو القائل أمام والي المدينة: «**ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[2]، وقال أمام الأعداء: «**ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة**»[3].

الثاني: الجهاد والقتال في سبيل الله، فقد أثنى الله على المؤمنين في إقدامهم على القتال والجهاد في سبيله، وذلك لا ينفك عن هلاك النفوس، وسفك المُهَج، ولم يقل:

(١) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن: ج١، ص٣١٩.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٧
(٣) المصدر السابق: ص٥٩.

إنّهم ألقوا أنفسهم في التهلكة، بل وعد تعالى المجاهدين بأنّ لهم الجنّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ ...﴾[1].

إنّ إلقاء النفس في التهلكة يتعلّق بالموارد الّتي لا يكون فيها الهدف أثمن من النفس، وإلّا فلا بدّ من التضحية بالنفس والنفيس حفاظاً على ذلك الهدف المقدّس كما صنع الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ كانت وظيفته عليه السلام هي إنقاذ الإسلام من الانحراف الشديد، والضياع الذي مُنيت به الأُمّة الإسلامية، وهو ما عبّر عنه عليه السلام في قوله: «**وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[2]، فقام وضحّى بنفسه، وبذل مهجته في سبيل أثمن شيء في الحياة مطلقاً، ألا وهو دين الله وشريعة السماء، ولولا تضحياته الكبيرة لدفن الإسلام تحت ركام البدع والانحرافات التي جاء بها النظام الأُموي، فآية التهلكة لا تشمل التضحية بالنفس إذا كانت لغاية أعظم، وهدف أنبل وأشرف؛ إذ لا شكّ في تقديم مصلحة إقامة الدين وحفظه على مصلحة حفظ النفس والمال والعرض.

فالإمام الحسين عليه السلام لم يُلقِ بنفسه في التهلكة؛ بل عمل بكتاب الله عزّ وجلّ الذي أمر بالجهاد والإنفاق في سبيل الله، وهل هناك إنفاق أعظم وأغلى ممّا أنفقه الإمام الحسين عليه السلام في سبيل حفظ الإسلام؟! إذ بذل النفس والأبناء والأهل والأحبة من أجل إعلاء كلمة الله.

خامساً: مخالفة مشيئة اللّه تعالى

لقد عمدت السلطة الأُموية إلى ترسيخ بعض العقائد، ومنها نظرية الجبر، من أجل توطيد ملكهم العضوض، ولتبرير سياسة النار والحديد التي انتهجوها في الأُمّة،

(١) التوبة: آية١١١.

(٢) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص١٥.

وخاصّة لمواجهة المعارضين منهم، ومفاد هذه النظرية: أنّ الناس مجبورون على فعلهم، ومسيّرون في حركتهم، والإنسان مهما صنع فهو مجبور من قِبل الله عزّ وجلّ، وقد استُدلّ على هذه العقيدة ببعض الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقد جعلت السلطة الأُموية من قضية الجبر مرجعاً لمنهجها السياسي من أنّ الله قد أراد وقدّر أن يصلوا إلى الخلافة والحكم؛ ولذا عندما أراد معاوية بن أبي سفيان تنصيب ابنه يزيد خليفةً من بعده، اعترض عليه عبد الله بن عمر، فقال له معاوية: «... **إنّ أمر يزيد قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرةٌ من أمرهم**»[2]، وكذلك عندما اعترض عبد الله بن مطيع العدوي على عمر بن سعد لقتله للإمام الحسين عليه السلام، فقال عمر بن سعد: «**كانت أُموراً قُضيت من السماء، وقد أعذرت إلى ابن عمّي قبل الوقعة، فأبى إلّا ما أبى**»[3].

وهذا الأمر سار عليه يزيد وعبيد الله بن زياد، فقد بذلا جهداً كبيراً من أجل أن يغرسا في أذهان الناس أنّ الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام هو الله تعالى؛ ولذا لمّا ورد موكب السبايا إلى الشام، قال يزيد مخاطباً الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**يا علي، أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت**»[4]، وغيرها من الكلمات التي ستتضح في طيّات البحث.

مواجهة التطبيق الخاطئ

كان للنهضة الحسينية دور كبير في تفنيد هذه العقيدة الباطلة؛ إذ كانت خطب الإمام السجاد عليه السلام، وحرائر بيت العصمة عليهم السلام في الكوفة والشام، ومواقفهم البطولية، قد فضحت وكشفت زيف ووهن هذه النظرية، وأوضحوا للناس أنّ

(١) الصافات: آية ٩٦.
(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٦١ـ١٦٢ .
(٣) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٥، ص١٤٨.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٢.

المسؤول الوحيد عن قتل الإمام الحسين عليه السلام هو شخص يزيد وأعوانه، نشير إلى بعض تلك الخطب والمواقف:

١ـ عندما دخل الإمام زين العابدين عليه السلام على عبيد الله بن زياد في الكوفة، قال له: «**مَن أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علياً؟ فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يُسمّى علياً قتله الناس. فقال له ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾**»[1].

لقد أراد الإمام السجاد عليه السلام بالآية الكريمة أن يقول: إنّ الذي يموت موتاً طبيعياً أو قتلاً فالله تعالى هو الذي يتوفّاه ويقبض روحه؛ إذ قبض الروح راجع إليه سبحانه وتعالى، ولكنّ هذا لا ينفي المسؤولية عن مرتكبي الجريمة، فالإنسان هو الفاعل المختار المسؤول عن فعله، فإنّ سبب قتل وموت الشخص راجع إلى مرتكبه، وهو القاتل؛ ولذلك يُقتصّ منه، وإن كان المقتول قد قبضه الله حين موته.

الفرق بين الموت والقتل

الموت عبارة عن خروج الروح من جسد الإنسان[2]، بينما القتل: هو الفعل الذي يؤدّي إلى الموت، مثل الضرب، أو الرمي بالحجر، أو السم، وهو ما يُسمّى بإزهاق النفس عمداً وعدواناً[3]. والموت لايقدر عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ؛ ولذا من أسماء الله الحسنى: (المُحيي والمُميت)، أمّا القتل فهو يتمّ بفعل المتولّي لذلك، وهو القاتل، فالموت أعمّ من القتل، فقد يكون الموت طبيعياً، لبلوغ الإنسان أجله، أو بسبب المرض، أو بسقوط من مكان مرتفع، وأحياناً يكون الموت بالقتل، سواء كان القتل خطأً أم عمداً، فإنّ كلّ قتل موت، وليس العكس.

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٦.
(٢) أُنظر: قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ص٤٦٨.
(٣) أُنظر: فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص٣٢٩.

ومما يدلّ على أنّ الموت يختلف عن القتل ما ورد في القرآن الكريم، فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾[4]. فإنّ التأكيد والتكرار في لفظين يدلّ على أنّهما لا يرجعان إلى معنى واحد، ولو كان الموت هو القتل نفسه لما عطف عليه؛ لأنّ الشيء لا يعطف على نفسه.

ومما يؤيّد ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في رواية زرارة بن أعين، أنّه قال: «**كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام في الرجعة، فأقبلت مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي، فقلت: جُعلت فداك، أخبرني عمّن قُتل مات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل. قال: فقلت له: ما أحد يُقتل إلّا مات، قال: فقال: يا زرارة، قول الله أصدق من قولك، قد فرّق بينهما في القرآن، قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ﴾، وقال: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، ليس كما قلت يا زرارة، الموت موت، والقتل قتل**»[5].

٢ـ عندما خطب الإمام السجاد عليه السلام خطبته في مسجد الشام، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد من الفتنة، أمر المؤذّن أن يؤذّن حتّى يقطع على الإمام كلامه، فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، التفت الإمام عليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد، وقال: «**محمد هذا جدّي أم جدّك؟! فإن زعمت أنّه جدّك، فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي، فلِمَ قتلت عترته؟!**»[6].

٣ـ حينما أُدخل الإمام زين العابدين عليه السلام على يزيد قال له مخاطباً: «**أراد أبوك وجدّك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي أذلّهما، وسفك دماءهما**»، فأجابه الإمام قائلاً: «**... ويلك يا يزيد! إنّك لو تدري ما صنعت، وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي**

---

(١) آل عمران: آية١٤٤.
(٢) آل عمران: آية١٥٦.
(٣) آل عمران: آية١٥٧.
(٤) آل عمران: آية١٥٨.
(٥) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٢.
(٦) ابن أعثم الكوفي، أحمد، كتاب الفتوح: ج٥، ص١٣٢ـ١٣٣.

وأخي وعمومتي، إذاً لهربت في الجبال، وفرشت الرماد! ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعلي منصوباً على باب المدينة! وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جُمع الناس ليوم لا ريب فيه»[1].

فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام يؤكّد بشكل جلي وواضح أنّ الذي قتلهم وسفك دماءهم وسبى نساءهم، هو يزيد بن معاوية.

٤ـ عندما دخل الركب الحسيني إلى الكوفة، قال عبيد الله بن زياد للسيّدة زينب عليها السلام: «**كيف رأيت صُنْع الله بأخيك وأهل بيتك؟**»[2]، فالغاية من سؤاله هو التأكيد على نسبة قتل الإمام الحسين عليه السلام إلى الله تعالى، وتبرئة ساحة بني أُميّة من ذلك؛ إذ اختار لفظ (صنع)، وأضافه إلى لفظ الجلالة، والصُنع كما يقول الراغبُ: «**إجادةُ الفِعلِ، فكلُّ صُنْعٍ فِعلٌ، وليسَ كلُّ فِعلٍ صُنْعاً، ولا يُنسَبُ إلى الحيواناتِ والجمادات، كما يُنسَبُ إليها الفِعلُ**»[3].

فكان الردّ من السيّدة زينب عليها السلام كالصاعقة على رأس ابن زياد، فقد قالت: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قومٌ كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجُّ وتُخاصمُ، فانظر لـمَن الفلج يومئذٍ، ثكلتكَ أُمّك يابن مرجانة**»[4].

لقد استطاعت السيّدة زينب عليها السلام من خلال هذه الكلمات والاقتباس القرآني إبراز نقاط الضعف في منطق الإعلام الأُموي، وتفنيد ادّعاء وافتراء عبيد الله بن زياد، فقد أرادت القول: بأنّ الله تعالى كتب وقدّر على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه القتل والجهاد، فبرزوا إلى مصارعهم، وقُتِلوا باختيارهم وإرادتهم، وإلّا سقط الأجر والثواب، وكذلك لم يكتب على القاتل أن يكون قاتلاً بالجبر؛ لأنّ الله أعطاهم العقل

(١) المصدر السابق: ص١٣٢.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.
(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن: ص٢٨٦.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

والقدرة الاختيارية على ارتكاب القتل أو عدمه، وإلّا سقط القصاص والعقاب؛ ولذا صرّحت بأنّه في يوم القيامة سيجمع الله بينك وبينهم، وكلّ سينال جزاءه الذي يستحقّه.

٥ـ خطاب العقيلة زينب عليها السلام، وهي تصوّر عظم الجريمة التي ارتُكِبَت بحقّ الإمام الحسين عليه السلام وعترته الطاهرة، وهي تخاطب القوم قائلة: «**أتدرون ـ ويلكم ـ أيّ كبدٍ لمحمدٍ فَريتم، وأيّ عهدٍ نكثتم، وأيّ كريمةٍ أبرزتم، وأيّ دمٍ له سفكتم، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾**»[١].

٦ـ خطبة عقيلة الهاشميين زينب الكبرى عليها السلام في عاصمة الخلافة الأُموية، فقد أدانت فيها النظام الحاكم، وحمّلته المسؤولية الكاملة للجرائم البشعة التي اقتُرفت بحقّ أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، فقالت: «**... لعمري، لقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنّة... اللهمّ، خذْ بحقّنا، وانتقم من ظالمنا، واحلُل غضبك على مَن سفك دماءنا، ونقض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سُدولنا**»[٢].

٧ـ خطبة السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام في أهل الكوفة، وهي تكشف زيف ادّعاء الحكم الأُموي بأنّ الله قتلهم، فكان ممّا قالت: «**... وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت؛ لحقد متقدّم، قرّت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراءً منكم على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة، في كتاب من قبل أن نبرأها، إنّ ذلك على الله يسير**»[٣].

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٦٢.
(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٦.
(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٨ـ٢٩.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، علي بن الحسين المسعودي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة.

٢ـ الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق: السيّد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٣ـ أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤ـ الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥ـ الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع.

٦ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة المصحّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧ـ البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨ـ تاج العروس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٩ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

١٠ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

١١ـ تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
١٢ـ تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ـ إيران.
١٣ـ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٧هـ.
١٤ـ تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٥ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٦ـ دعائم الإسلام، القاضي المغربي النعمان بن محمد، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف بمصر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية.
١٧ـ سنن أبي داوُد، سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٨ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
١٩ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢٠ـ صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
٢١ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٢٢ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
٢٣ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٤ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
٢٥ـ الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمد بن الصباغ، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٢٦ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.
٢٧ـ الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦م.
٢٨ـ كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش.
٢٩ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
٣٠ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، نشر أنوار الهدى، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٣١ـ مثير الأحزان، محمد بن جعفر بن نما، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
٣٢ـ معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، مطبعة مطابع المدوخل، الدمام ـ السعودية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٣٣ـ معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٤ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الإصفهاني، تحقيق وتقديم وإشراف: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.
٣٥ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف لوط بن يحيى، تحقيق وتعليق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم المقدّسة ـ إيران.

٣٦ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م.
٣٧ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة.
٣٨ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٣٩ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأُسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

معالجة الشبهات حول النهضة الحسينية في ضوء القرآن الكريم

د. الشيخ أسعد علي السلمان*

المقدّمة

إنّ المتتبّع لما كُتب أو قيل حول النهضة الحسينية يرى أنّها لم تسلم ـ حالها حال أغلب القضايا الدينية ـ من التشكيك فيها، وطرح الشبهات حولها، فقبل حدوث هذه الحركة التغييرية المباركة نجد أنّ بعضاً سارع إلى التشكيك في شخصية قائدها، وبيان أنّه عليه السلام كان على خلاف مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وصولاً إلى الشبهة القائلة: بأنّه عليه السلام قد شذّ عن الأُمّة وعن أغلب الصحابة في تركه لبيعة يزيد، ثمّ توالت الشبهات حول حركته عليه السلام من خلال تصوير أنّه عليه السلام كان في هذه الحركة طالباً للرئاسة والخلافة، أو أنّه كان يسير على وفق أمر خاصّ بعيداً عن الأهداف المعلنة لحركته؛ ومن هنا انبثقت الشبهة المشهورة والبارزة حول العوامل التي أدّت بالإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج ضدّ حكومة بني أُميّة.

ثمّ تستمر الشبهات وتتوالى وصولاً إلى زماننا الحالي، فقد انبرت أقلام المشكّكين لتنال من مراسم إحياء هذه النهضة المعطاء، وذلك من خلال التذرّع بأُمور مختلفة، من قبيل: كونها بدعة في الدين، أو أنّها تحطّ من مكانة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أو أنّها تُسيء إلى سمعة الإسلام، ونحو ذلك.

---

* باحث إسلامي، وأُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

طبعاً، لم تقف أقلام المشكّكين وألسنتهم عند النماذج التي ذكرناها، بل كانت أكثر من ذلك بكثير[1].

وبما أنّنا في هذه المقالة نروم التركيز على الأجوبة القرآنية للشبهات الواردة في مجال النهضة الحسينية؛ سنقتصر لذلك على ما يتعلّق بالمقام من الشبهات، وهي ـ إجمالاً ـ عبارة عن:

١ـ شذوذ الإمام الحسين عليه السلام عن الأُمّة في ترك بيعة يزيد.

٢ـ عدم وجود أسباب وعوامل حقيقية للنهضة الحسينية، أو أنّها موجودة لكن لا تُناسب شخصية قائدها.

٣ـ إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت عبارة عن إلقاء النفس في التهلكة.

٤ـ عدم صحّة إحياء واقعة الطفّ؛ لكونها بدعة في الدين، أو أنّها تحطّ من شخصية أهل البيت عليهم السلام.

الشبهة الأُولى: شذوذ الإمام الحسين عليه السلام عن الأُمّة في ترك بيعة يزيد[2]

تتمحور هذه الشبهة حول مبدأ، وهو أنّ استقرار النظام العامّ بشكل إجمالي مقدّم على نوعية رأس الهرم السلطوي، خصوصاً فيما إذا كان هذا الرئيس والحاكم قد وافق عليه الأغلبية؛ فعلى العقلاء قبول هذا الأمر، وإن كانت الشخصية التي يتمتّع بها هذا الحاكم وسلوكيّاته الدينية والأخلاقية تخالف تطلّعاتهم ورغباتهم، والمتابع لكلمات أمير المؤمنين عليه السلام يجد ما يصبّ في هذا المعنى، بقول عليه السلام مخاطباً الخوارج: «... **وإنّه لا بُدّ للناسِ من أمير برٍّ أو فاجرٍ، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويُبلّغ الله فيها الأجل، ويُجمعُ به الفيء، ويُقاتل به العدوّ، وتأمن به السبل، ويُؤخذ به للضعيف**

(١) أُنظر: مؤسّسة وارث الأنبياء، مشروع ردّ الشبهات المثارة حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

(٢) أُنظر: التميمي، د. هادي، ردّ الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين والثورة الحسينية: ص٥٥.

من القويّ، حتّى يستريح برٌّ، ويُستراح من فاجرٍ»[1].

ويُضاف إلى ما تقدّم، أنّ غالبية الأُمّة وكبار الصحابة ـ كابن عبّاس وابن عمر ـ قد بايعوا يزيد على الخلافة، فقد نقل ابن الأثير أنّ: «**ابن عمر كان هو وابن عباس بمكّة، فعادا إلى المدينة، فلقيهما الحسين [عليه السلام] وابن الزبير، فسألاهما ما وراءكما؟ فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد، فقال ابن عمر: لا تفرّقا جماعة المسلمين، وقدِم هو وابن عباس المدينة، فلمّا بايع الناس بايعا**»[2]. وفي الصدد نفسه قال الطبري: «**وأمّا ابن عمر فقدِم فأقام أيّاماً، فانتظر حتّى جاءت البيعة من البلدان، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عباس**»[3]، إلى غير ذلك من المصادر التي تحدّثت حول هذا الموضوع[4].

الإجابة عن الشبهة

إنّ المبدأ القرآني فيما يتعلّق بالحركات الإصلاحية التي قام بها الأنبياء عليهم السلام لم يقيّد حركتهم بأنّها لا بدّ أن تكون عامّة وشاملة، بحيث تُشكّل الأغلبية في المجتمع، فنجد أنّ الآيات القرآنية قد سلّطت الضوء على عنصر الأقلّية للأتباع الذين ساروا خلف الأنبياء عليهم السلام، فنقرأ في قصّة نبيّنا نوح مثلاً قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾[5]، وهؤلاء القوم ـ مع قلّتهم ـ فقد كانوا من البسطاء، وليسوا من علية القوم؛ إذ يقول تعالى حكاية عن قوم نوح: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[6]،

(١) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح: ص٨٢.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٥٤.

(٤) أُنظر: الأمين، محسن، المجالس السنية: ج١، ص١٨٦. وأيضاً: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص١٨٥ ـ ١٨٧. وأيضاً: الشيباني، محمد بن عبد الهادي، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية: ص١٦٤، وص١٨٧، وص٣٧٦.

(٥) هود: آية ٤٠.

(٦) الشعراء: آية ١١١.

والمراد من ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ هو أنّ متّبعي النبيّ عليه السلام كانوا ذوي أعمال رذيلة ومشاغل خسيسة[1]، كما نشاهد قلّة المؤيّدين ـ أيضاً ـ في حركة نبيّنا إبراهيم عليه السلام؛ فبعد مواجهته لقومه، والموقف الذي كان له من أصنامهم، وحادثة النار، وتخليص الله تعالى له، يصف القرآن الكريم حاله في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وهذا دليل واضح على قلّة الأتباع، ونقرأ كذلك في قصّة ذي النون، أنّه عندما خرج غاضباً على قومه كان وحده، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾[3]، هذا، والمراجع لقصص الأنبياء عليهم السلام يجد أنّ هذا المعنى حاضرٌ فيها بشدّة.

والأكثر من هذا نجد أنّ القرآن اشتمل على تعبيرات عامّة تصف عنصر الأكثرية بعدم الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4]، كما أنّ المقطع القرآني: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قد تكرّر في آيات كثيرة[5]، ولم يقف الأمر عند عدم الإيمان فقط، بل إنّ هؤلاء الأكثرية يسعون إلى إضلال الآخرين، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[6].

إذاً، لمّا كان هذا حال الأكثرية تكون حينها حركات الأنبياء عليهم السلام في أقوامهم ـ بناءً على ما ورد في الشبهة ـ حركات شاذّة، وبما أنّ النهضة الحسينية تسير على الأهداف الرسالية للأنبياء عليهم السلام نفسها، فالإمام عليه السلام كان في مقام تثبيت الرسالة الإسلامية التي

(١) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٥، ص٢٩٦.
(٢) الأنبياء: آية٧١.
(٣) الأنبياء: آية٨٧.
(٤) يوسف: آية١٠٣.
(٥) أُنظر: الشعراء: آية٨، ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.
(٦) الأنعام: آية١١٦.

كانت على وشك الاندثار في عهد يزيد، وهذا ما نستشفه من كلامه عليه السلام مع مروان ابن الحكم الذي نصحه بضرورة تقديم البيعة ليزيد، لِما فيها من خير الدنيا والآخرة، فقد قال عليه السلام في مقام الردّ على ذلك: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[1]، وقد تجلّى هذا الاستشراف الحسيني فيما تمثّل به هذا الحاكم المعتوه، وهو يعيش حالة النصر الظاهري في واقعة الطفّ،؛ إذ إنّه أنشد أبياتاً لابن الزبعرى يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	**جزع الخزرج من وقع الأسلْ**
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً	**ثمّ قالوا يا يزيد لا تشلْ**
قد قتلنا القرم من ساداتهم	**وعدلناه ببدر فاعتدلْ**
لعبت هاشم بالملك فلا	**خبر جاء ولا وحي نزلْ**
لست من خندف إن لم أنتقم	**من بني أحمد ما كان فعلْ**[2]

ناهيك عن الهدف المشهور لخروجه الذي أعلنه عليه السلام في وصيّته لأخيه محمد بن الحنفية، والذي كان عبارة عن طلب الإصلاح في أُمّة جدّه محمّد صلى الله عليه وآله[3].

إذاً؛ فمع هذه المعطيات لا يمكن أن نصف حركة الإمام الحسين عليه السلام بأنّها شاذّة بسبب ذهاب أكثرية الأُمّة إلى الدخول في بيعة يزيد.

هذا، ومن المؤكّد أن حكومة يزيد لم تكن مصداقاً للإمارة التي وردت في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المتقدّمة، فإنّ المعيار المبيّن في كلامه عليه السلام هو حصول العدالة وعدم التعرّض لمعتقدات الرعية وديانـاتهم في ظلّ تلك الإمارة على الرغم من فسق الأمير وفجوره، وهذان الأمران يمثّلان المبدأ الأساس لأيّ حكومة.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٨.
(٢) المصدر السابق: ص١٠٥. أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٨، ص١٨٨.
(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩ـ٣٣٠.

فمن جانب العدالة نجد أن القرآن يوليها الاهتمام الكبير جدّاً؛ وذلك لما تمتلكه من وظيفة رئيسة في حسم مادّة النزاع وتوفير حالة الاستقرار في نظام الحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ ...﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾[2]، بل أكثر من ذلك، فهي حسم لمادّة النزاع حتّى فيما بين المؤمنين بعيداً عن جوّ الحكومة والإمرة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[3]؛ إذاً، فمع هذا التشديد القرآني على قضية العدالة من البعيد أن يقصد أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو القرآن الناطق ـ أنّ الحكومة الجائرة الظالمة ينبغي إطاعتها وعدم الخروج عليها، فهذا لعمري منطق مدرسة بني أُميّة ومن لفّ لفّهم وسار على نهجهم.

أمّا فيما يتعلّق بلزوم عدم محاربة الحكومة لما يدين به الناس، فهو من أوضح ما يستفاد من القرآن الكريم، فإنّ جميع الحركات الرسالية كما أسلفنا هي في مقام إرجاع الناس إلى الدين الحقّ، وإقامة الحجّة عليهم في ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[5]، وقال

(١) النساء: آية٥٨.
(٢) ص: آية٢٦.
(٣) الحجرات: آية٩.
(٤) الأنعام: آية٤٨ـ ٤٩.
(٥) النحل: آية٣٦.

كذلك: ﴿... إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[1]، إذاً، فمع هذه الحقيقة الواضحة كالشمس في رابعة النهار من المحال أن يقصد الإمام علي عليه السلام أنّ وجود الأمير المحارب لله ورسوله أمر راجح؛ لأنّه يحفظ النظام العام للرعية.

وعلاوةً على ما تقدّم فإنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام على حكومة يزيد لم يكن خرقاً للنواميس الاجتماعية والنظام العام، فيزيد بصريح كلامه عليه السلام هو حاكم جائر ظالم محارب للدين الإسلامي الحنيف، فتكون محاربته نصرة لهذا الدين الحقّ وتحقيقاً للعدالة في المجتمع.

الشبهة الثانية: العوامل التي أدّت إلى خروج الإمام الحسين عليه السلام

فيما يتعلّق بهذه الشبهة يوجد من الكتّاب مَن ذكر أنّ الإمام الحسين عليه السلام تحرّك على وفق عوامل لا تنسجم مع شخصيّته عليه السلام، قال الخضري: «**بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة، التي أثارها عدم الأناة والتبصّر في العواقب، فإنّ الحسين رمى بقول مشيريه جميعاً عرض الحائط، وظنّ بأهل العراق خيراً، وهم أصحاب أبيه... وعلى الجملة فإنّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا، الذي جرّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد أُلفتها إلى يومنا هذا...**»[2]، كما يصل الكاتب في نهاية حديثه حول هذا الموضوع إلى النتيجة التي ينفي من خلالها وجود أسباب حقيقية للقيام بالثورة ضدّ يزيد، فقد قال: «**كما أنّه لا بدّ أن تكون هناك أسبابٌ حقيقية لمصلحة الأُمّة بأن يكون هناك جور لا يحتمل، وعسف شديد ينوء الناس بحمله. أمّا الحسين فإنّه خائف على**[3] **يزيد، وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف**»[4].

(١) فصّلت: آية ١٤.
(٢) الخضري، محمد بك، الدولة الأُموية: ص٢٨٨.
(٣) الصحيح مراعاةً للسياق هو (خالَف) بدلاً من (خائف على).
(٤) الخضري، محمد بك، الدولة الأُموية: ص٢٨٨.

وقد نقل ابن مندة الأصبهاني عن الخُطبي أنّه قال: «**وأمّا الحسين بن علي فقد بايع له بالخلافة اثنا عشر ألفاً من أهل الكوفة على يدي مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكتبوا إليه في القدوم عليهم وهو بمكّة، فقدِم العراق لذلك فقُتل**»(١).

وفي الصدد نفسه نجد أنّ الكاتب نجف آبادي يُشير إلى أنّ القول: بأنّ العامل لحركة الإمام الحسين عليه السلام هو الذهاب إلى مقتله ومصرعه، يُعدّ من الأُمور الدخيلة على النهضة الحسينية؛ إذ يقول متسائلاً: «**فهل المطلب الذي يؤيّده: ١ـ الإمام الحسين عليه السلام، ٢ـ علماء كبار ومراجع تقليد، ٣ـ مسلم بن عقيل... (أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يُريد إعادة الخلافة إلى أهلها) أدعى إلى القبول؟ أم الفكرة التي قيلت في القرن السابع الهجري، أي: بعد تأليف كتاب (اللهوف)، وشاعت بشكل كامل بعده: (أنّ الإمام تحرّك لأجل أن يُقتَل)**»(٢).

أمّا الشهيد مطهّري فيذكر في الشأن نفسه: «**إنّ أحد العوامل التي ساهمت في تشويه واقعة كربلاء، وإخراجها من حيّز التوظيف في خدمة قضايا العامّة، وجعل بالتالي الاستفادة من تعليمات الأئمّة عليهم السلام في إحياء الذكرى، وإقامة العزاء بهذه المناسبة غير كاملة، هو ذلك التصوّر الخاطئ القائل بأنّ حركة سيّد الشهداء عليه السلام قد جاءت في الواقع نتيجة تلقّي الإمام أمراً خاصّاً(٣)، وتعليمات سرّية تخصّه شخصيّاً دون غيره، وتطلب منه القيام بتلك الحركة المعروفة**»(٤).

ومن جملة ما تقدّم وغيره يتبيّن لنا أنّه توجد هناك ضبابية حول العوامل التي أدّت

---

(١) ابن مندة الأصبهاني، عبد الرحمن بن محمد، المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة: ج٣، ص١٧.

(٢) صالحي نجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد: ص١٣١ـ١٣٢.

(٣) الأمر الخاص في المقام، هو ما ألمح إليه المؤلّف عندما نقل الحديث المعروف الذي قال الإمام الحسين عليه السلام بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبره به، وهو: «فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»؛ إذ يُفهم من ذلك أنّ الحسين عليه السلام سائر إلى مصرعه. أُنظر: صالحي نجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد: ص٧٩.

(٤) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص٧٦.

إلى نهضة سيّد الشهداء عليه السلام لدى بعضٍ. هذا، وأنّه بالإمكان معالجة عدم الوضوح هذا من خلال البحث التاريخي والروائي، ولعله تمّ الحديث مراراً وتكراراً حول هذا الموضوع، ولكن بما أنّنا انطلقنا من المعالجة القرآنية لما يُطرح في المقام من شبهات، سوف ننطلق من الآيات التي عكست عوامل نهضته عليه السلام، التي تلاها هو عليه السلام أثناء حركته، بدايةً من المدينة المنورة، وانتهاءً بيوم استشهاده، أو القضايا القرآنية التي وردت في أحاديثه، والتي كانت سبباً لحركته.

الإجابة عن الشبهة

إنّ العوامل التي أدّت إلى مجمل الأحداث التي عايشها الإمام الحسين عليه السلام أثناء ثورته ضدّ الحكومة الأُموية الظالمة المتمثّلة بيزيد، والتي آلت إلى حدوث هذه النهضة العظيمة التي هزّت الوجدان الإنساني فضلاً عن الوجدان الإسلامي كانت عبارة عن:

العامل الأوّل: رفض بيعة الظالمين والمنافقين

إنّ القرآن الكريم يذكر في آياته المباركة أنّ هناك نوعين من البيعة:

إحداهما: بيعة صحيحة وضرورية في الوقت نفسه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2]، فهذا النوع من البيعة هو من الأُمور المطلوبة التي ينبغي للمسلمين أن يؤدّوها تجاه الأنبياء عليهم السلام والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله على وجه الخصوص، وألّا يتخلّفوا عنها، وبالتبع تأتي بيعة أهل البيت عليهم السلام، وذلك بنصّ حديث الغدير.

---

(١) الفتح: آية ١٠.

(٢) الفتح: آية ١٨.

ثانيهما: بيعة غير صحيحة ولا يجوز للمسلم أن يؤدّيها، وهي بيعة الكافرين والمنافقين والدخول في طاعتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2]، وقال كذلك: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

هذا، ولو رجعنا إلى كلمات الإمام الحسين عليه السلام لوجدناه يقول: «**إنا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[4]، ويقول عليه السلام أيضاً: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[5]، ويقول كذلك: «**أَلا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين**[6]**، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حمية، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[7]

وانطلاقاً من هذه الكلمات فإنّه من الواضح جدّاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام يرى أنّ بيعة يزيد تندرج تحت القسم الثاني المتقدّم؛ وعليه فالانطلاقة الأُولى لحركة الإمام الحسين عليه السلام كانت انطلاقة قرآنية متمثّلة برفض البيعة للطغاة وحكّام الجور.

العامل الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من جملة القضايا المهمّة التي أولاها القرآن الكريم أهمّية واسعة هي قضيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خذ ـ مثلاً ـ قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

(١) الأحزاب: آية٤٨.
(٢) الفرقان: آية٥٢.
(٣) الأعراف: آية١٤٢.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٥.
(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٨.
(٦) هكذا في المصدر، والصحيح: (والمؤمنون).
(٧) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٩.

﴿ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، ففي هذه الآية بيّن الله أنّ هذه الأُمّة التي تقوم بما ذُكر في الآية تتّصف بالفلاح، هذه الصفة التي لم يطلقها الله تعالى على المؤمنين إلّا بعد تحلّيهم بمجموعة خصال[2]، والتي تكون نتيجتها هي وصول هذه الثلّة المؤمنة إلى جنّة الفردوس، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

فهذه المسألة القرآنية كانت هي إحدى العوامل الواضحة والصريحة التي نطق بها أبو عبد الله عليه السلام في بدايات ثورته ضدّ حكومة بني أُميّة، فقد قال في وصيّته لأخيه محمد ابن الحنفية عند خروجه من المدينة المنوّرة قاصداً مكّة المكرّمة: «... **وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب...**»[4].

إذاً، فكيف يتمّ التغافل عن هذا العامل القرآني المهم والمصير إلى عوامل تُبعد النهضة الحسينية عن مشروع الإصلاح الإلهي الذي سار عليه الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السلام.

العامل الثالث: نصرة المؤمنين المظلومين

إنّ مبدأ النصرة هو من المبادئ السامية في القرآن الكريم، فالمؤمن ينبغي له أن ينصر أخاه المؤمن إعلاءً لكلمة الله الحقّ، ويقف بجانبه عند مواجهة الأخطار التي تُهدّد حياته أو معتقده؛ ومن هنا نجد أنّ مبدأ النصرة هو من المبادئ المهمّة التي

---

(١) آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. المؤمنون: آية ١ـ ٩.

(٣) المؤمنون: آية ١٠ـ ١١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩ـ ٣٣٠.

أسسها القرآن في بدايات المجتمع الإسلامي بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[1]، فهذه الآية الشريفة تُقرّر ثبوت الولاية بين المهاجرين والأنصار، والولاية هنا: «**أعمّ من ولاية الميراث، وولاية النصرة، وولاية الأمن**»[2]، كما أنّ الآية الشريفة أبقت خصوص ولاية النصرة بعد أن رفعت الولاية بين المؤمنين ـ من المهاجرين والأنصار ـ وبين المؤمنين غير المهاجرين[3].

ونظراً لأهمّية هذا المبدأ السامي نجد أنّ المولى (عزّ اسمه) يجعل نصرة المؤمنين من السنن الثابتة؛ إذ يقول تعالى: ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4]، كما أنّه سبحانه يشتقّ اسم القوم الذين آووا الرسول صلى الله عليه وآله والمهاجرين من هذا المبدأ، فيُعبّر عنهم بـ(الأنصار)[5]، مبيّناً بذلك أهمّية هذا المبدأ، ودوره الأساسي في إعلاء كلمة الحقّ، من خلال مساندة أتباعه ومعتنقيه.

ومن هنا، نقول: ردّاً على ما أثارته بعض الكلمات التي وجّهت الشبهة إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام صوب الكوفة، وذلك من خلال القول: بأنّ حركة الإمام كانت استجابة لمطالبات أهل الكوفة ـ: إنّ استجابة الإمام في المقام كانت تندرج تحت هذا المبدأ القرآني المتقدّم، فهل من الإنصاف أن يترك هذه المطالبات والرسائل الكثيرة

---

(١) الأنفال: آية٧٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٩، ص١٤١.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٢.

(٤) الروم: آية٤٧.

(٥) ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ...﴾. التوبة: آية١٠٠.

ويتوجّه إلى مكان آخر لم يرده منه أيّ طلبٍ بالنصرة. إذاً؛ فحركة الإمام عليه السلام في ضوء هذا الدافع كانت صحيحة.

يبقى في المقام أنّه مع النصائح التي أبداها بعضٌ كمحمد بن الحنفية، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم للإمام الحسين عليه السلام بأن لا يتوجّه إلى الكوفة، معتمدين على أمارات قوية على غدر أهلها وعدم نصرتهم للإمام عليه السلام، كيف يمكننا في ضوئها تصحيح هذا الدافع لحركة سيّد الشهداء عليه السلام، وبعبارة أُخرى: من المؤكّد أنّ هذه الأمارات كانت حاضرة أمام الإمام الحسين عليه السلام إن لم نقل: بأنّه كان يعلم علماً يقينياً (إلهياً) بما ستؤول إليه الأوضاع في نهاية المطاف. وبناءً على هذا؛ فلا ينطبق المبدأ المشار إليه على مطالبات هؤلاء القوم، بسبب كونهم غدّارين خوّانين، وعليه فإنّ الإمام غير مُلزَم ـ في هذه الحالة ـ بالاستجابة لهم والمسير إليهم.

نقول في مقام الجواب: بعيداً عن قضية العلم اللدنّي الذي يحظى به المعصومون عليهم السلام، ومدى انعكاساته على أفعالهم وتصرّفاتهم ومواقفهم؛ وذلك لأنّ هذا البحث قد أُشبع من الناحية العقائدية، فإنّ الاعتماد على الأمارات الظنّية ـ بحسب الظاهر ـ لم يكن صحيحاً في المقام، وذلك لسببين:

أوّلهما: من القصص القرآنية المرتبطة بحياة الأنبياء عليهم السلام ومسيرتهم في الدعوى والتبليغ للدين الإلهي نجد أنّ قصّة نبيّنا يونس عليه السلام لها ارتباط بموضوع بحثنا، فهو عليه السلام بعدما يئس من هداية قومه، دعا عليهم بنزول العذاب الإلهي طبقاً لما جاء في بعض الروايات، وبعد تحديد موعد لذلك وحلول ذلك الموعد ترك يونس عليه السلام بمعية بعضٍ قومَه، وهو غاضب عليهم... إلى آخر أحداث هذه القصّة[1]، إلّا أنّ الظريف في هذه القصّة، والذي يكون شاهداً على ما نحن فيه، هو أنّه عزّ وجلّ عبّر في بعض آياته عن هذا الخروج بأنّه إباق؛ إذ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ

(١) اُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٤، ص٤٠٠.

﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾[1]، والمعنى ـ على الأقرب ـ أنّه عندما وعد الله تعالى نبيّه يونس عليه السلام بـ: «**إنزال الإهلاك بقومه الذين كذّبوه، فظنّ أنّه نازل لا محالة، فلأجل هذا الظنّ لم يصبر على دعائهم، فكان الواجب عليه أن يستمر على الدعاء؛ لجواز أن لا يهلكهم الله بالعذاب وإن أنزله، وهذا هو الأقرب؛ لأنّه قادم على أمر ظهرت أماراته، فلا يكون تعمّداً للمعصية، وإن كان الأولى في مثل هذا الباب أن لا يعمل فيه بالظنّ**»[2].

إذاً، فمع هذا التشديد الإلهي مع رُسله، وأنّهم يجب عليهم أن يستنفدوا كلّ الطاقات في مقام هداية أقوامهم، وإلقاء الحجّة عليهم، ومع ملاحظة أنّ حركة الأئمّة عليهم السلام مع معاصريهم ينبغي أن تسير على الخطى نفسها التي سار عليها الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك استناداً إلى نصوص إثبات الإمامة، وأنّها امتداد لمنصب النبوّة باستثناء مقام الوحي الرسالي؛ فمع كلّ ذلك كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام من أجل نصرة أهل الكوفة في محلّها، وأنّ ترك ذلك اعتماداً على ما ذكره بعض الأصحاب من قرائن لم يكن صحيحاً.

ثانيها: أنّه ليس جميع مَن كاتبوا الحسين عليه السلام أو بايعوه قد غدروا به، فهناك شخصيّات مهمّة قد وفت بوعدها، ونصرت الإمام في كربلاء، أمثال: حبيب ابن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، ونافع بن هلال الجملي، والعائذي، وعمر بن خالد الصيداوي، وغيرهم، كما أنّ هناك مَن لم يتمكّن من الوصول إلى الإمام عليه السلام بسبب إيداعه في السجن، كالمختار بن أبي عبيدة الثقفي، أضف إلى ذلك جملة من الشخصيّات المهمّة التي كان لها دور أساسي في حركة التوّابين بعد واقعة الطف، هذه الشخصيات التي كانت مستعدّة لنصرة أبي عبد الله عليه السلام، لكن لضعف وتلكؤ قد أصابها في تلك المدّة قد أحجمت عن القيام بواجبها، أمثال: سليمان بن صرد الخزاعي، ورفاعة بن شداد، وغيرهما.

---

(١) الصافّات: آية١٣٩ـ١٤٠.

(٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج٢٦، ص٣٥٦.

أمّا ما يتعلّق بعامّة الناس، فكانت تتبع بمجملها الجوّ الحاكم في تلك المدّة، فلو كانت الأوضاع آلت إلى الحسين عليه السلام لوجدناهم يقاتلون معه من دون أدنى شكّ؛ لأنّ حركة الإمام عليه السلام لو قُدّر أن تصل إلى الكوفة بشكلها الطبيعي، فإنّه من المظنون قوّياً أنّ النصر سيكون من نصيب هذه الثورة المعطاء، وعليه فإنّ المصير إلى الأمارات ـ التي جاءت في كلمات بعض الأصحاب ـ لم يكن صحيحاً ومقبولاً.

العامل الرابع: طلب الشهادة عند انحسار النصر

كثيراً ما ورد على لسان بعضٍ أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يسير نحو مصرعه ومقتله، ممّا حدا ببعضٍ أن يجعل هذا الأمر من الأُمور الدخيلة على القضية الحسينية[1]، أو التي ساهمت في تشويه واقعة كربلاء[2]، إلاّ أنّنا عندما نراجع الآيات القرآنية الشريفة نجد أنّه تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[3]، ومعنى هذه الآية هو: «**نحن وأنتم كلّ يتربّص بصاحبه، غير أنّكم تتربّصون بنا إحدى خصلتين، كلّ واحدة منهما خصلة حسنى، وهما: الغلبة على العدو مع الغنيمة، والشهادة**»[4]. ومن هنا، فإذا كانت الشهادة والقتل في سبيل الله تعالى هي مطلباً جهادياً يُقرّه القرآن نفسه، فما المانع من جعله واحداً من العوامل التي تحرّك الإمام الحسين عليه السلام في ضوئها للثورة على يزيد.

ومن هذا المنطلق، يمكننا تفسير كلمات الإمام الحسين عليه السلام وهو في المدينة، فتارةً يُبيّن أنّ السبب الذي أدّى إلى قيامه هو عدم صحّة البيعة ليزيد، وأُخرى يقول: أنّه قد خرج لطلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تقدّم ذكر الشواهد

(١) أُنظر: صالحي نجف آبادي، نعمة الله، الشهيد الخالد: ص١٣١ـ١٣٢.
(٢) أُنظر: مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص٧٦، وص٨٣.
(٣) التوبة: آية٥٢.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٩، ص٣٠٧.

على ذلك، وثالثةً يقول: إنّ مصيره ومصير مَن يلحق به هو الشهادة، وذلك كما في رسالته إلى أخيه محمد بن الحنفية وعموم بني هاشم، فقال عليه السلام: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومَن قِبله من بني هاشم، أمّا بعدُ، فإنّ مَن لحق بي استُشهد، ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام**»[1]، وكذلك ما جاء في قوله عليه السلام لأُمّ سلمة: «**... يا أُماه، قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مظلومين مقيّدين، وهم يستغيثون، فلا يجدون ناصراً ولا معيناً**»[2].

إذاً؛ فبناءً على الهيكلية في الهدف التي بيّنها القرآن الكريم للمجاهد (النصر أو الشهادة)، وبناءً على جمع الإمام الحسين عليه السلام لعوامل متعدّدة في كلماته المتفرّقة، وعدم اقتصاره على عامل واحد، فإنّنا نرى أنّه لا يبقى مجال للشبهات التي أحاطت بأسباب حركته ونهضته المباركة.

نعم، قد يقول قائل: إنّ حديث الإمام عن شهادته وشهادة مَن لحق به، هو حديث عن أمر واقع لا سبيل إلى تغييره، وعليه فإنّ أيّ هدفٍ آخر يُذكر فهو هدف هامشي.

وفي معرض الجواب عن ذلك نقول: إنّ الإشكال إذا كان مآله إلى طرح الشبهات المتعلّقة بعلم الإمام المعصوم، وأنّه كيف يُقدم على القتل مع علمه بذلك، فهذا خارج عن صلب البحث، وهو حديث مفصّل مجاله علم العقائد.

أمّا إذا كان الإشكال يستهدف المساس بالأهداف الأُخرى للنهضة الحسينية، وذلك من خلال القول: بأنّ المصير الذي يُخبر به الإمام عليه السلام له ولـمَن معه لا يدع مجالاً لتحقيق الأهداف الأُخرى، وعليه فإنّه عليه السلام من البداية كان يسير نحو تكليف خاصّ، فإنّنا نقول: إنّ طلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفاظ على سيرة النبي صلى الله عليه وآله، ونصرة المؤمنين، كلّها أُمور قد تتحقق على يدي الإمام عليه السلام عند

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٥٧.
(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٣١.

بقائه حيّاً وانتصاره وإمساكه بزمام الأُمور، كما أنّها قد تتحقق بعد اهتزاز مشاعر الناس وإيقاظ روح التضحية في دواخلهم، نتيجة استشهاد الإمام عليه السلام في عرصات كربلاء هو ومَن معه.

وهذا الأمر لا يعدم النظير القرآني، فإنّنا نجد ـ مثلاً ـ في قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام، أنّه عندما أقدم على انتقاد مظاهر الشرك التي كان يمارسها قومه، فإنّه لم يكن مهتمّاً بالنتيجة المترتّبة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ثمّ إنّه عليه السلام بعد هذه المحاججة قرّر القيام بعمل يُبيّن من خلاله لقومه عجز هذه الآلهة عن درء الخطر عن نفسها، ممّا يجعلها غير صالحة للعبادة والتقرّب، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[2]، وقد عرّض عليه السلام بعمله هذا نفسه للهلاك، إلّا أنّه لم يهتمّ بهذه النتيجة، بل كان همّه هو إيصال رسالة التوحيد، وإبطال ما عليه هؤلاء القوم من الشرك وعبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]. إذاً؛ فإبراهيم عليه السلام بهذه الحادثة وما تضمّنته من كيفية مُثلى قد بيّن للقوم أنّ هذه الأصنام مجرّد حجارة

(١) الأنبياء: آية ٥١ـ٥٤.
(٢) الأنبياء: آية ٥٧ـ٥٨.
(٣) الأنبياء: آية ٥٩ـ٦٧.

لا تنطق، ولا تدفع عن نفسها الضرر، وهذا الهدف اجتمع مع الحكم بإنهاء حياته، وقد تجسّد في قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

وهنا قد يعترض بعضٌ بأنّه يوجد فارق بين قضية الإمام الحسين عليه السلام وقصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام، فالأخير لم يتحقّق بشأنه الموت، بينما الإمام الحسين عليه السلام قد واجه الموت، وقد انتهت حياته بالفعل.

ونجيب على هذا الاعتراض بقولنا:

أوّلاً: إنّ مسألة علم إبراهيم عليه السلام بأنّه سوف ينجو من هذه الحادثة هذا أوّل الكلام.

ثانياً: على فرض علمه بأنّه سوف ينجو، فإنّ الأمر لا يختلف كثيراً؛ وذلك لأنّ أساس تعامل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مع الناس هو الظواهر لا بواطن الأُمور، وما قام به إبراهيم عليه السلام بحسب النظر مآله إلى التصفية الجسدية بلا أدنى شكّ، والشاهد على ذلك هو أنّ شناعة هذا العمل وقبحه بنظر قومه جعلهم يستبعدون قيام إبراهيم عليه السلام بتنفيذ تهديده والكيد لأصنامهم، وبعبارة أُخرى: «**أنّ عظمة وهيبة الأصنام في نفوسهم ربّما كانت قد بلغت حدّاً لم يأخذوا معه كلام إبراهيم مأخذ الجدّ، ولم يظهروا ردّ فعل تجاهه، وربّما ظنّوا بأنّ أيّ إنسان لا يسمح لنفسه أن يهزأ ويسخر من مقدّسات قوم تدعم حكومتهم تلك المقدّسات تماماً، بأيّة جرأة؟ و بأيّة قوّة؟!**»[2].

وبعد هذا العرض فإنّ ما نودّ الإشارة إليه هو أنّ نهضةً بهذا الحجم من التضحيات التي هزّت الوجدان الإنساني، وبما ترتّب عليها من ثمرات أذهلت الجميع، من المعيب جدّاً أن يأتي بعضٌ ويحجّمها في عامل وهدف واحد، ويغضّ الطرف عن العوامل والأهداف الأُخرى، معتمداً في ذلك على جزء من الكلمات الصادرة عن

(١) الأنبياء: آية٦٨.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٠، ص١٨٥.

قائد الثورة الإمام الحسين عليه السلام، أو يأتي بعضٌ آخر ويترك جميع تلك الكلمات ويذهب وراء رأيه وهواه، فيكيل التّهم، ويطعن بهذه النهضة، مبعداً إيّاها عن السعي إلى خدمة الدين الإسلامي الحنيف.

الشبهة الثالثة: أنّ حركة الحسين عليه السلام كانت عبارة عن إلقاء النفس في التهلكة

من الشبهات التي لا ينفكّ عنها ذهن المتابع لمجريات واقعة الطفّ لأوّل وهلة، قضية أنّ الإمام الحسين عليه السلام مع ما لديه من أنصار قليلين، كيف يقدم على مقاتلة القوم في كربلاء، وهو يعلم علم اليقين بأنّه سوف يُقتل هو وجميع مَن معه من الرجال القادرين على حمل السلاح؟! أليس هذا الفعل مخالفة صريحة لما هو موجود في القرآن الكريم، الذي جاء فيه: ﴿... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]، فعلى الرغم من ذهاب بعضٍ إلى أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ هو قتل المسلم لأخيه المسلم[2]، لا مانع من شموله لمورد إهلاك الإنسان لنفسه.

ومن الآيات الأُخرى الدالّة على حرمة إيقاع النفس في الهلاك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، والكلام في هذا الآية فيه دلالة واضحة على النهي عن إيقاع الضرر بالنفس الإنسانية[4]، ومن أبرز مصاديقه قتل الإنسان لنفسه، أو جعلها في موضع الهلاك والعطب، إلى غير ذلك من الأدلّة القرآنية والروائية الدالة على ذلك[5].

---

(١) النساء: آية٢٩ـ٣٠.

(٢) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٥، ص٥٠. وأيضاً: القرطبي، أحمد بن محمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج٥، ص١٥٦. وأيضاً: العيّاشي، محمد ابن مسعود، تفسير العيّاشي: ج١، ص٢٣٦ـ٢٣٧.

(٣) البقرة: آية١٩٥.

(٤) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص٦٤.

(٥) أُنظر: الدوخي، فلاح، حقّ الحياة والعمليات الانتحارية، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٦، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م: ص٢٩٢ـ٢٩٦.

هذا، وإنّ الشبهة المذكورة بسبب كونها من الشبهات المهمّة والقوية، قد تصدّى لبيانها والإجابة عنها كبار العلماء الشيعة، من أمثال السيّد المرتضى قدس سره الذي يقول: «**فإنّ قيل: ما العذر في خروجه عليه السلام من مكّة بأهله وعياله إلى الكوفة، والمستولي عليها أعداؤه، والمتآمر فيها من قِبل يزيد منبسط الأمر والنهي؟... ثمّ كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها، لها موادّ كثيرة؟ ثمّ لمّا عرض عليه ابن زياد الأمان وأن يبايع يزيد، كيف لم يستجب حقناً لدمه ودماء مَن معه من أهله وشيعته ومواليه؟ ولِمَ ألقى بيده إلى التهلكة؟**»[1].

وممّن ذكر هذه الشبهة أيضاً الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره، فإنّه حينما وُجّه إليه سؤال مؤدّاه بأنّه: هل كان خروج الإمام علي عليه السلام ليلة التاسع عشر من رمضان إلى مسجد الكوفة مع علمه بمقتله على يد ابن ملجم من إلقاء النفس في التهلكة؟ فإنّه قدس سره عندما أجاب عن هذا التساؤل أردف كلامه بقوله: «**ومن هذا الباب إقدام الحسين عليه السلام على الشهادة مع علمه بأنّه مقتول لا محالة**»[2]. كما أنّه في موضع آخر وعند تعرّضه إلى الإجابة عن تساؤل حول ما ذكره المؤرّخون وأصحاب السير من أنّه عليه السلام أحلّ أصحابه من بيعته في كربلاء، وأذن لهم بالانصراف عنه، فإنّه قدس سره بعد عدّة مقدّمات قال ما نصّه: «**أمّا ما أُشكل عليك من جعل الحسين ـ سلام الله عليه ـ أصحابه في حلٍّ من بيعته فليس محلّ العجب منه، وموضع السؤال وعقدة الإشكال معكوسة، وهي أنّه سلام الله عليه كيف أباح لهم الجهاد معه وهو يعلم... أنّهم لا يستطيعون دفع القتل عنه مهما جاهدوا واجتهدوا؟ إذاً، ألا يكون جهادهم معه من العبث وإلقاء النفس في التهلكة بغير فائدة...؟**»[3].

وممّا تقدّم وغيره[4] يتّضح لنا أنّ لهذه الشبهة صدىً كبيراً في أوساط الباحثين

(١) السيّد المرتضى، علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء: ص٢٢٧.
(٢) كاشف الغطاء، محمد حسين، جنّة المأوى: ص١٨٩.
(٣) المصدر السابق: ص١٩٤.
(٤) أُنظر: العبادي، علي حمود، أجوبة الشبهات المثارة حول النهضة الحسينية: ص١٥٩.

والمحقّقين، ممّا يجعلنا ملزمين ـ على الرغم من كثرة مَن أجاب عنها ـ بالتصدّي للإجابة عنها اعتماداً على المنهج القرآني المتّبع في هذه المقال.

معالجة الشبهة

إنّ الصراع قديم ومستمرّ بين الحقّ والباطل، وأنّه لم يتوقّف ولن يتوقّف، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[2]. وما دام الأمر هكذا فلا بدّ من وجود مضحّين يدفعون عن الحقّ عدوان المعتدين، ويحفظونه من عبث الضالّين المبطلين، قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، ففي هذا المقطع إشارة إلى قانون كلّي يمنع من استشراء الفساد وسرايته إلى المجتمع البشري قاطبة، وهو أنّ أصل الحرّية والاختيار لدى الإنسان في مقام اختيار طريق الخير والشرّ إذا وصل إلى حدٍّ يؤدّي إلى تعرّض العالم للفساد والاندثار بسبب طغيان بعض الطواغيت، فإنّه عزّ وجلّ سيبعث من عباده المخلصين مَن يقف أمام هؤلاء الطغاة ويكسر شوكتهم[4]، وشبيه هذا المعنى قد ورد في مقطع قرآني آخر يقول الله تعالى فيه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[5].

---

(١) البقرة: آية٢١٧.
(٢) هود: آية١١٨.
(٣) البقرة: آية٢٥١.
(٤) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢، ص٢٢٨.
(٥) الحج: آية٤٠.

نعم، إنّ الحقّ بحاجة إلى مَن يحميه ويدفع عنه، ولولا ذلك لم يكن لسدنة الشرّ أن يكفّوا عنه، ويتركوه ينتشر بين الناس، لكن قد تنتج عن المواجهة أحياناً الغلبة على العدو واستئصاله من حلبة المواجهة، بينما في أحيان أُخرى تصل الممارسات الطاغوتية الظالمة إلى درجة لا يمكن الغلبة عليها بالشكل الظاهري الطبيعي، كما أنّه يُضاف إلى قهرها واستبدادها خطرها الكبير الذي يؤدّي ـ إذا بقيَ من دون علاج ـ إلى محو الدين الإلهي، وإرجاع الناس إلى جاهليتهم العمياء، وفي هذه الحالة قد يشعر المتصدّون للشأن الديني بأنّهم بحاجة إلى إرخاص النفوس والتضحية بكلّ عزيز وغالٍ يتوقّف عليه حفظ هذا الدين الحنيف.

وهذا المعنى نجده يتجلّى بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1]، فما يستفاد من هذه الآية هو أنّ هناك مَن «**باع نفسه من الله سبحانه، لا يريد إلّا ما أراده الله تعالى، لا هوى له في نفسه، ولا اعتزاز له إلّا بربّه، ولا ابتغاء له إلّا لمرضاة الله تعالى، فيصلح به أمر الدين والدنيا، ويحيى به الحقّ، ويطيب به عيش الإنسانية، ويدرّ به ضرع الإسلام... فإنّ وجود إنسان هذه صفته من رأفة الله سبحانه بعباده؛ إذ لولا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل رجال آخرين صفتهم ما ذُكر من النفاق والإفساد لانهدمت أركان الدين، ولم تستقرّ من بناء الصلاح والرشاد لبنة على لبنة**»[2].

وانطلاقاً من هذا المعنى، فإنّه من الحمق أن تُدرَج بعض التضحيات التي قدّمها حماة الدين تحت مفهوم التهلكة؛ وذلك لكونها خارجة عن الفهم العرفي الذي تغيب عنه ـ وإن بلغ صاحبه درجة عالية من المعرفة في بعض الأحيان ـ المصالح الدينية الكبرى، ويقيس ما يحصل على أرض الواقع بمقاييس مادّية بحتة وقصيرة الأمد،

(١) البقرة: آية٢٠٧.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص٩٨.

فكيف يمكن إلصاق تهمة إلقاء النفس في التهلكة بالإمام الحسين عليه السلام، سواء على مستوى نفسه الشريفة، أم على مستوى نفوس أهل بيته وأصحابه، وهو القائل في معرض وصفه لحكومة يزيد: «**وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[1]، فهل يا ترى تكون التضحية التي تستلزم فضح هذا الكيان المخرّب في جسد الدين الإسلامي ـ وإن كان على المدى البعيد ـ من مصاديق إلقاء النفس في التهلكة المنبوذ شرعاً وعرفاً؟ أوَ ليس هذا المفهوم العام ينطبق على الموارد التي لا يكون فيها الهدف أثمن ـ من الناحية الدينية ـ من الحفاظ على النفس؟[2].

ومن هنا وبناءً على هذه المعطيات؛ فإنّ المبدأ القرآني المشار إليه في الآية المتقدّمة يُشير بوضوح تام إلى كون فعل الإمام عليه السلام في واقعة الطف ليس من الإلقاء في التهلكة بشيء، بل أزيد من ذلك فهو أفضل معاملة مربحة مع الله تعالى الذي يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

الشبهة الرابعة: عدم صحّة إحياء واقعة الطفّ

من الشبهات القديمة الحديثة ما يدور حول مسألة إحياء مراسم عاشوراء من قِبل الشيعة في أيّام المحرّم من كلّ عام، هذه الشبهة التي تتعامل مع حادثة عاشوراء كأيّ حادثةٍ تاريخية ينبغي أن لا يتجاوز صداها المدّة التي حصلت فيها، أو الأوقات المتاخمة لها طبعاً.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٨.
(٢) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢، ص٣٥.
(٣) التوبة: آية١١١.

هناك عدّة مبرّرات للتصدّي لإحياء هذه الذكرى الأليمة، نحاول التعرّف عليها من خلال نقل كلمات الباحثين الذين ذهبوا إلى هذا الرأي، وقد أرتأينا أن ننقل هذه العبارات بالنصّ، حتّى نحافظ على الأمانة العلمية في مقام نسبة الآراء إلى قائليها.

فمّمن ذهب إلى عدم صحّة ذلك ابن كثيرالذي يقول ما نصّه: «**ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كُسفت يومئذٍ حتّى بدت النجوم، وما رُفع يومئذٍ حجر إلّا وجد تحته دم... وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها، فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء... ويظهر الناس الحزن والبكاء**»[1].

كما ذكر الصلابي الذي يقول في هذا الصدد: «**لقد غلت الشيعة في مقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ غلوّاً مفرطاً، فجعلوا يوم استشهاده ـ رضي الله عنه ـ العاشر من محرّم مأتماً وحزناً ونياحةً يكرّرونه في كلّ عام إلى يومنا هذا... [إلى أن يقول] إنّ الحسين ـ رضي الله عنه ـ بريء من تلك الأفعال المذكورة؛ لأنّ الإسلام الذي جاء به جدّه عليه الصلاة والسلام لا يجوّز تلك الأفعال، فقد قال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: ليس منّا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية، وقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: النائحة إذا لم تتبْ قبل موتها تقام القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب، وقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: أنا بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقّة**»[2].

ومن الأصوات الأُخرى الداعية إلى ترك إحياء واقعة الطفّ ما ورد في مقال نشرته جريدة الأوقاف العراقية الصادرة في عددها (١٦٦١)، فإنّها: «**بعد أن ذكرت اعتياد الجعفريين في هذه الأيّام ـ أي: في العشرة الأُولى من محرّم الحرام ـ على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المخترقة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفّق**

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢١٩ـ٢٢٠.
(٢) الصلابي، علي بن محمد، الدولة الأُموية: ص٤٩٤ـ٤٩٧.

الجماهير عُراة الصدور حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [قالت]: وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام حفظهم الله تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم الله من عقل راجح غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السيّئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها، وينهون عنها»[1].

وقد أشار إلى هذه الشبهة السيّد محسن الأمين، مبيّناً أنّها ممّا يُثيره بعضٌ علينا، فيقول ما نصّه: «**والأمر الذي دعانا إلى تأليف هذا المجموع، أنّ جملة من الناس قد يعيبونا بهذه المآتم، أو يرون أنّه لا لزوم لها، أو يقولون: إنّ أمراً وقع قبل ألف ومئات السنين ما معنى إعادة ذكره كلّ عام؟... وقد يقول آخر: إنّ الأمر الفظيع لا ينبغي إعادة ذكره، بل ينبغي تناسيه، وبعضٌ يرى أنّ في إعادة ذكره حطّاً من مقام أهل البيت عليهم السلام الذين جرت معهم تلك الفظاعة، وربّما عدّ ذلك بعضهم بدعة في الدين**»[2].

وممّا ورد في كتاب (سيماء الصلحاء) للشيخ عبد الحسين صادق العاملي حول الموضوع ذاته، ولكن بمبرّر مختلف نوعاً ما: «**قالوا: من الإسراف والتبذير المحظورين شرعاً إنفاق الشيعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في سبيل تعزية الحسين على أنحاء شتّى... فهلّا أنفقوا ما أنفقوه في سبيل تعمير مدارسهم الطامسة، وتعليم ناشئتهم الجاهلة، وتلقينهم فنون العلوم العصرية والمعارف الزمنية؛ لينشلوا خضراء أُمّتهم الأُميّة وطائفتهم الهمجية من حضيض السفالة، ومستنقع الجهالة؟**»[3].

ومن خلال مطالعتنا للكلمات السابقة يمكننا أن نقف على المبرّرات الآتية للقول بعدم صحّة إحياء مراسم واقعة الطفّ، وهي:

١ـ إنّ إقامة مجالس استذكار أحداث مأساة كربلاء والبكاء واللطم، وإظهار حالة الجزع والحزن المتواصل والمستمرّ في كلّ عام على مصيبة أهل البيت عليهم السلام في كربلاء

(١) مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية: ج١، ص١٧٢.
(٢) الأمين، محسن، إقناع اللائم على إقامة المآتم: ص٣٠.
(٣) مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية: ج٢، ص١٢٨، وص١٢٩.

هي بدعة في الدين، وأنّه لم يُعهد إقامة هذه الأُمور على فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وكبار الصحابة.

٢ـ الأدلّة الروائية عن الرسول صلى الله عليه وآله على الضدّ من هذه المراسم.

٣ـ إنّ هذه المراسم تُعيد إلى الذهنية البشرية المأساة الفضيعة التي وقعت في يوم الطفّ، بينما كان المفترض تناسي مثل هذه الحوادث، فقد يحطّ استذكارها من مكانة مَن وقعت في حقّهم.

٤ـ إنّ إقامة مثل هذه المراسم يُسيء إلى سمعة الإسلام في العالم.

٥ـ إنّ المبالغ التي تُصرف على هذه المراسم تدخل تحت طائلة التبذير والإسراف المحظورين، وأنّ هناك مجالات مهمّة في حياة الناس أوْلى لصرف هذه المبالغ فيها.

معالجة الشبهة

استكمالاً للأجوبة القرآنية عن الشبهات المطروحة في هذا المقال، فإنّنا نقول: إنّه على الرغم من أنّ الشبهة لها أجوبة وردود روائية وعقائدية ونفسية واجتماعية، إلّا أنّنا سوف نقصر الحديث على الأجوبة القرآنية؛ سيراً على المنهجية التي قرّرناها في بداية البحث، ومن هنا فإنّنا سنقدّم مناقشات قرآنية للمبرّرات التي استند إليها القائلون بعدم صحّة إحياء ذكرى عاشوراء، هذه المناقشات التي يتوقّف عليها حكمنا على الشبهة المذكورة في المقام.

أمّا فيما يتعلّق بالمبرّر الأوّل فإنّ البعد القصصي في القرآن له دلالة واضحة على أنّ استذكار قصص الماضين والاعتبار بها من الأُمور المهمّة الواقعة في مسير الهداية الإلهيّة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ومن البديهي أنّ استذكار ما وقع على أبي عبد الله الحسين عليه السلام هو استذكار

(١) يوسف: آية١١١.

لقيم إلهية ومعانٍ دينية وأخلاقية سامية: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب الإصلاح، ونصرة المؤمنين، والوفاء، والشهادة في سبيل الله تعالى، وغير ذلك، وعليه فإنّنا نأخذ الدروس والعِبر من تذكّر هذه الواقعة كلّ عام.

ثمّ إنّ الاستذكار لأحداث ماضية لا ينفكّ عن المشاعر، فمَن يتذكّر أحداث مفرحة وسعيدة سوف يلتذّ بها ويشعر بالسعادة، وعلى العكس من ذلك فإنّ الشخص يتألّم وتظهر عليه آثار الحزن إذا تذكّر مواقف مؤلمة وحزينة، قال تعالى حكاية عن خطاب أبناء يعقوب عليه السلام مع أبيهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[1]، فإنّ تذكّر يعقوب لفراق ولده يوسف كان مدعاة لحزنه الشديد وبكائه الكثير الذي سوف يوصله ـ بحسب نظر أبنائه ـ إلى الهلاك.

هذا، وإنّ ما وقع على الإمام الحسين عليه السلام ـ وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته ـ وعلى أهل بيته أهل العفّة والطهارة ليس بالشيء الهيّن الذي ينبغي أن يطوي عنه التاريخ كشحاً، أو أنّ استذكاره ينبغي أن يكون خالياً من أيّ مظهر من مظاهر التفجّع والحزن. نعم، حدّ إظهار الحزن يرجع إلى التحديدات الشرعية المذكورة في علم الفقه، وهو خارج عن إطار دراستنا هذه.

ثمّ إنّه بعد ثبوت عدم البدعة في مجال إحياء مراسم عاشوراء، وذلك لوجود النظير له في الآيات القرآنية، فإنّه لا يحتج علينا بأنّ الصحابة لم يفعلوا هذه الأُمور بحقّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أو غيره من الصحابة، فهو على الرغم من كونه ليس دليلاً على الحرمة، فإنّ الزهراء عليها السلام بحسب المصادر التاريخية والروائيّة[2] ظلّت تبكي وتندب الرسول صلى الله عليه وآله وعمّها حمزة حتّى ماتت.

---

(١) يوسف: آية٨٥.

(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ص١٧٧. وأيضاً: القمّي، عباس، بيت الأحزان: ص١٧٧ـ١٨٣. وأيضاً: السيّد شرف الدين، عبد الحسين، النص والاجتهاد: ص٣٠١ـ٣٠٢. وأيضاً: السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا: ج٣، ص٩١٨.

فضلاً عن أنّ الفعل الذي قامت به السيّدة الزهراء عليها السلام بنفسه يكون معارِضاً لما طُرح في المبرّر الثاني القائل: بأنّ الأدلّة الروائية عن الرسول صلى الله عليه وآله على الضدّ من إقامة هذه المراسم، وبعبارة أُخرى: إنّ الأدلّة الروائية ليست مجمعة على حرمة البكاء على الميت وندبه، وعليه فلا بدّ عند الحكم في المقام من إقامة دراسة فقهية اجتهادية، فلا يُكتفى بإطلاق عِنان العبارات من دون مراجعة وتدقيق وإعمال نظر[1].

أمّا فيما يتعلّق بالمبرّر الثالث وأنّ إحياء واقعة الطفّ يحطّ من مكانة أهل البيت عليهم السلام، فهذا كلام واهٍ لا ينبغي الاستماع إليه، فإنّ تذكّر الظلامات والابتلاءات التي عانت منها بعض الشخصيات المرموقة يزيد من مكانتها، ويعلي من شأنها، فإنّ المواقف الصلبة والثبات الذي واجهت به تلك الشخصيات المعاناة، هو أدلّ دليل على حقّانية مطالبها.

وهذا الأمر له مصاديق كثيرة في القرآن الكريم، فنجد ـ مثلاً ـ أنّه عزّ وجلّ ينقل لنا معاناة نوح مع قومه في تلك الفترة الطويلة التي قضاها معهم، والتي دعته إلى الدعاء عليهم بأن لا يبقي لهم الله امتداداً على الأرض، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[2]، فإنّ دعاءه عليه السلام كان «**عندما يئس من هدايتهم بعد المشقّة والعناء في دعوته إيّاهم، فلم يؤمن إلّا قليل منهم**»[3].

---

(١) هذا، ونحن عند مراجعتنا إلى كلمات الفقهاء وجدنا أنّ آية الله العظمى السيّد الخوئي قدس سره ـ مثلاً ـ يقول في مقام استدلاله على الحكم بجواز النوح على الميت نظماً ونثراً بما لم يتضمّن الكذب، ما نصّه: «للأصل والسيرة كما تقدّم في المسألة السابقة؛ ولأنّ النياحة لو كانت محرّمة لوصلت إلينا حرمتها بالتواتر، بل ورد أنّ فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ناحت على أبيها صلى الله عليه وآله، وأوصى الباقرُ الصادقَ عليهما السلام بأن يُقيم عليه النياحة في منى عشر سنوات». الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى (كتاب الطهارة): ج٩، ص٣٤٣. كما أشار أحد الباحثين إلى أنّ هذا الحكم هو موضع اتّفاق بين المحشّين على العروة الوثقى من المراجع العظام. اُنظر: الهاشمي، هاشم، حوار مع فضل الله حول الزهراء عليها السلام: ص٢٣١.

(٢) نوح: آية٢٦.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٩، ص٦٨.

أمّا فيما يتعلّق بالسبب الذي دعا نوحاً عليه السلام إلى التفوّه بهذا الدعاء الشديد، فهو كما حكاه عزّ وجلّ عن لسانه عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1]، والمعنى هو: «**أنّ دعاء الأنبياء ومن بينهم نوح عليه السلام لم يكن ناتجاً عن الغضب والانتقام والحقد، بل إنّه على أساس منطقي، وأنّ نوحاً عليه السلام ليس ممّن يتضجّر ويضيق صدره لأوهن الأُمور، فيفتح فمه بالدعاء عليهم، بل إنّه دعا عليهم بعد تسعمائة وخمسين عاماً من الصبر والتألم والدعوة والعمل المضني**»[2]، فإنّ ذكر هذه المحنة الصعبة التي عانى منها نوح مع قومه، والتي كلّفته سنوات متمادية من التبليغ من دون جدوى، لم يحطّ من قيمة هذا النبيّ الجليل قيد أنملة، إن لم يكن على العكس من ذلك.

ومن المحن العظيمة التي عانى منها الأنبياء عليهم السلام، ما جرى على نبي الله إبراهيم عليه السلام في قضيّة ذبح ابنه إسماعيل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[3]، فإنّ هذه المحنة من أشدّ المحن التي يمرّ بها الإنسان، ومع ذلك فالقرآن ذكر الحادثة، ولم يأخذ بعين الاعتبار أنّ هذا الموقف يحطّ من مكانة النبيّ، بل على العكس من ذلك، فقد تعزّزت شخصية النبيّ عليه السلام بعد هذه الحادثة وغيرها من الابتلاءات، ممّا جعله يحصل على مكانة أكبر، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

والمثال الثالث هو الأحداث المأساوية التي جرت على نبي الله يوسف عليه السلام، والتي بدأت بالحسد، هذه الرذيلة الأخلاقية السيئة التي تغلغلت في نفوس إخوة يوسف تجاه أخيهم ـ وهم جميعاً أبناء نبيّ من أنبياء الله عليهم السلام ـ وجعلتهم يفكّرون في قتله،

(١) نوح: آية٢٧.
(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٩، ص٦٩.
(٣) الصافات: آية١٠٢ـ١٠٣.
(٤) البقرة: آية١٢٤.

وبعد أنّ دبّ الخلاف بينهم حول ذلك قرّروا في نهاية المطاف أن يُلقوه في البئر، بُغية التقاطه من بعض القوافل المارّة، والتخلّص منه إلى الأبد، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[1]، إلى غير ذلك من التفاصيل الحسّاسة التي وردت في هذه القصّة.

فهل يتفوّه عاقل بأنّ ذكر هذه الأحداث كان فيه حطّ من مكانة نبيّ الله يوسف عليه السلام، أوَ ليست هذه الأفعال التي قوبل بها هذا النبيّ عليه السلام كانت دليلاً قويّاً على ضرورة الصبر على المحن والإغراءات؟

إذاً؛ فمع هذه الأمثلة القرآنية لا يبقى مجال للقول: بأنّ ذكر الأحداث المروّعة التي حصلت في واقعة عاشوراء يؤدّي إلى المساس بمكانة أهل البيت عليهم السلام والحطّ من قدرهم.

أمّا فيما يتعلّق بالمبرّر الرابع، فإنّ ما يتمّ التعليق به في المقام هو أنّ فريضة الحجّ ـ التي هي من العبادات القرآنية المهمّة، والتي بلغت أهميّتها حدّاً بأنّ يُخيّر فيه منكرها بين الموت على الدين اليهودي أو النصراني، كما عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**مَن مات ولم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحجّ، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً**»[2] ـ هذه الفريضة من أعمالها رمي الجمرات الثلاثة بالحصى، فقد ورد في الكتب الفقهية الاستدلالية: «**لا خلاف بيننا، بل بين المسلمين كافّة، في وجوب رمي الجمار الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر**»[3].

---

(١) يوسف: آية٧ـ١٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٢٦٨.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، المعتمد في شرح المناسك (تقرير بحث الخوئي للسيّد رضا الخلخالي):

ومع ملاحظة هذا الوجوب المتّفق عليه ربّما يرى الناظر لأوّل وهلة أنّ هذا الفعل خالٍ من الداعي العقلائي، وعليه فإنّه يوجب الوهن في منظومة الدين، كيف لا؟ وأنّ ما يقارب مليوني شخص سنوياً يقومون بهذا الفعل لعدّة أيّام في موسم الحجّ، يُصوّبون حصيّاتهم نحو ثلاثة مواضع، هي: الجمرة الأُولى، والوسطى، وجمرة العقبة، لكلّ واحد من هذه المواضع سبعة حصيّات، فلعلّ الناظر بدواً يستشكل، بل يسخر من هذا الفعل، ويصف الدين الذي يأمر بذلك بأنّه دين غير عقلائي، خصوصاً مع ملاحظة أنّ رمي الجمرات «**يُعتبر واحداً من أهمّ مشكلات الحجاج، سيّما في عيد الأضحى؛ حيث يندفعون لرمي جمرة العقبة، وفي أكثر السنين تحدث خسائر كبيرة بالأرواح، ويُقتَل الكثيرون في أطراف الجمرات، أو يجرحوا**[1]، **وغالباً تتعرّض رؤوسهم أو وجوههم أو عيونهم لصدمات وأضرار بالغة**»[2].

ونحن لو أردنا التعرّف على الحكمة التي من أجلها تمّ تشريع ذلك، فإنّنا نجد بعض الروايات أشارت إلى أنّ المسلمين يقومون بهذا الفعل تأسياً بما قام نبيّ الله إبراهيم عليه السلام بسبب تمثّل الشيطان له عندها[3]، وبعبارة أُخرى: إنّ رمي الجمرات يرمز إلى مسألة في غاية الأهمّية ينبغي أن يعيشها المسلمون في وجدانهم، وأن لا ينسوها دائماً، وهي ضرورة وعي الخطر الذي يهدّد به الشيطان بني البشر، والتصدّي لمواجهته بشكل عملي وعلني، مضافاً إلى إضفاء روح المواجهة الجماعية لخطر هذا العدو اللدود، الذي أقسم على إضلال البشر وحرفهم عن جادّة الحق، قال تعالى حكاية عن إبليس عليه اللعنة: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[4]، ومع ملاحظة هذه الحكمة يتّضح للمستشكل على هذه الشعيرة

ج٥، ص٣٩٧.

(١) هكذا جاءت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح فيها: يجرحون.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الجمرات بين الماضي والحاضر: ج١، ص٥.

(٣) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج٢، ص٤٣٧.

(٤) ص: آية٨٢ـ٨٣.

مدى عقلانيّتها وانسجامها مع الدين الإسلامي، وعدم إساءتها له.

إذاً؛ الفعل الديني الصادر من الناس إذا كانت تكمن خلفه أغراض إسلامية توعوية وتصحيحية، وكانت هذه الأهداف مشخّصة وواضحة لدى الجميع، فإنّ هذا الفعل لا يمكن أن يكون مسيئاً إلى سمعة الإسلام ـ طبعاً ـ ما لم تحصل مجموعة من الظروف الموضوعية التي تؤدّي إلى اشتماله على عنوان الإساءة إلى سمعة الإسلام، أو الإضرار بالنفس، أو الإخلال بالنظام، أو غير ذلك من العناوين الثانوية.

ونحن عند مراجعتنا للعوامل التي أدّت إلى حدوث النهضة الحسينية المباركة ـ والتي تعتبر في الوقت نفسه أهدافاً سامية لقائدها: كعدم قبول كون رأس الهرم الحكومي متّصفاً بالظلم والتهتّك، وطلب إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسنّته بين الناس، ونصرة المظلومين، مضافاً إلى عدم ترك القيم الأخلاقية، كالمروءة والعطاء والعفّة وغيرها حتّى في أحلك الظروف، وصولاً إلى التضحية بالنفس وبكلّ عزيز من أجل حفظ الدين الإسلامي وعدم ضياعه ـ نجد أنّ مراسم إحياء هذه النهضة المباركة المشتملة على هذه الأهداف، سواء عن طريق إقامة مجالس الوعظ والرثاء، أم تسيير المواكب، أم إقامة المشاهد الدرامية المجسّدة لما جرى فيها من وقائع وأحداث، أم غير ذلك، لا تكون مؤثرة في سمعة الإسلام، بل على العكس من ذلك ستكون هذه المراسم ـ مع المحافظة على عدم لحوقها بالعنوان الثانوي المتقدّم ـ عاملاً قويّاً في ترسيخ المفاهيم الدينية والقيمية في المجتمع الإسلامي.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، ومفردة الشعائر في هذه الآية على الرغم من دلالتها على مناسك الحج، «**إلّا أنّ من الواضح مع كلّ هذا احتفاظ الآية بمفهوم شمولي لجميع الشعائر الإسلامية، ولا دليل على**

(١) الحج: آية ٣٢.

اختصاصها ـ فقط ـ بالأضاحي، أو جميع مناسك الحجّ... ويمكن القول: إنّ شعائر الله تشمل جميع الأعمال الدينية التي تذكّر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته، وإنّ إقامة هذه الأعمال دليل على تقوى القلوب»[1].

والكلام نفسه يمكن أن نذكره جواباً للمبرّر الخامس، فإنّ المصارف الكبيرة التي تُصرف في موسم الحجّ يمكن أن تجمع وتنفّذ فيها عدّة مشاريع تخدم الحياة العامّة للناس، إلّا أنّ الغرض الأسمى الذي يترتّب على الاجتماع السنوي في هذا الموسم يفوق أضعاف المرّات الأهمّية التي تترتّب على الموارد الأُخرى.

كما أنّه ليس كلّ مصرف يُعدّ إسرافاً وتبذيراً، فإنّ المعيار الذي يُقرّره القرآن لتحديد ما يكون مصداقاً لذلك من غيره هو كون المصارف التبذيرية تؤدّي إلى الكفر بأنعم الله تعالى، وذلك من خلال وضعها في غير موضعها[2]، وقد استفيد هذا المعنى من جعل المبذّرين قرناء للشياطين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[3]، ومن الواضح أنّ المصارف التي تُنفق في مجال إحياء النهضة الحسينية ليست من الإنفاق في الفساد، أو في السفاسف واللذّات التي تكون مرضية للشيطان (عليه اللعنة)[4].

وبعد مناقشة جميع المبرّرات الخمسة المتقدّمة لا يبقى حينئذٍ مجال للتشكيك في صحّة إحياء ذكرى واقعة الطفّ، خصوصاً مع ملاحظة الثمار الدينية، والثورية، والتوعوية، والأخلاقية المترتّبة على ذلك.

وبهذا نكون قد أنهينا الحديث عن الإجابات القرآنية التي عرضناها بين يدي

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل: ج١٠، ص٣٤٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٨، ص٤٥٣.
(٣) الإسراء: آية٢٧.
(٤) فقد ورد عند بعض المفسّرين ذكر هذه الموارد الثلاثة كمصاديق للتبذير الوارد في الآية المذكورة أعلاه. أُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ج١٤، ص٦٥ـ٦٦.

القارئ الكريم بشأن جملة من الشبهات التي طالت النهضة الحسينية، والتي اخترنا منها أربع شبهات دار الكلام فيها حول التشكيك في أصل هذه النهضة المباركة وأسبابها وشرعيتها والثمار المترتّبة عليها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أجوبة الشبهات المثارة حول النهضة الحسينية، علي حمود العبادي، العتبة الحسينية المقدّسة، كربلاء المقدّسة ـ العراق، الطبعة الأُولى، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٢ـ إقناع اللائم على إقامة المآتم، محسن الأمين، تحقيق: جواد الصافي الموسوي النجفي، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ترجمة وتلخيص: محمد علي آذرشب، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.

٤ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦ـ بيت الأحزان، عباس القمّي، دار الحكمة، قم ـ إيران، الطبعة الجديدة الأُولى، ١٤١٢هـ.

٧ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتصحيح ومراجعة: نخبة من العلماء والأجلّاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٨ـ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٩ـ تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ـ إيران.
١٠ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الفخر الرازي، إعداد: مكتب تحقيق إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١١ـ تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
١٢ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٣ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق وتقديم: إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٤ـ الجمرات بين الماضي والحاضر، ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.
١٥ـ جنّة المأوى، محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٦ـ الدولة الأُموية.. عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، علي بن محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
١٧ـ الدولة الأُموية، محمد بك الخضري، تحقيق: محمد العثماني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ـ لبنان.
١٨ـ ردّ الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام والثورة الحسينية، هادي التميمي، مركز

الدراسات الحسينية ـ قسم الشؤون الفكرية، الطبعة الأُولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
١٩ـ رسائل الشعائر الحسينية، مجموعة من العلماء، جمع وتحقيق: محمد الحسون، مؤسّسة الرافد للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
٢٠ـ الشهيد الخالد الحسين بن علي عليه السلام، نعمة الله صالحي نجف آبادي، ترجمه وعلّق حواشيه: سعد رستم، الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠١٣م.
٢١ـ علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
٢٢ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح: علي أكبر غفاري، ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٢٣ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، تحقيق: جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٤ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
٢٥ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، أنوار الهدى، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٦ـ لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين العاملي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران، ١٣٣١هـ.
٢٧ـ المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٢٨ـ المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن مندة الإصفهاني.
٢٩ـ مشروع ردّ الشبهات المثارة حول الإمام الحسين عليه السلام، اللجنة العلمية في قسم

ردّ الشبهات عن النهضة الحسينية، مؤسّسة وارث الأنبياء، الطبعة الأُولى، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.

٣٠ـ المعتمد في شرح المناسك، أبو القاسم الخوئي، برنامج جامع فقه أهل البيت عليهم السلام.

٣١ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو المؤيّد الموفق محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: محمد السماوي، أنوار الهدى، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٣٢ـ الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، تعريب: محمد صادق الحسيني، الدار الإسلامية.

٣٣ـ مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، محمد بن عبد الهادي الشيباني، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣٤ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٣٥ـ النص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق وتعليق ونشر: أبو مجتبى، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ.

٣٦ـ نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣٧ـ وفاء الوفا، علي بن أحمد السمهودي، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

المجلات

٣٨ـ مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد٦، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، حقّ الحياة والعمليات الانتحارية (مقال)، فلاح الدوخي، مركز الدراسات الحسينية، النجف الأشرف.

القرآن وأهل البيت عليهم السلام يمثلان النظرية والتطبيق

الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

الشيخ عبد الرزاق الندّاوي*

المدخل

كان وما يزال الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة يتعرّضان لحملات التشويه والتسقيط؛ وذلك لعدّة أسباب لعلّ من أهمّها:

١ـ إنّ النّصب كان وما يزال وسيبقى يدور في فلك بغض أهل البيت عليهم السلام، ونقد ورفض كلّ ما يصدر عنهم.

٢ـ تلميع صورة مَن خاصمهم وجاهدهم، وهم رموز السلطة الأُموية الغاشمة وعلى رأسهم الطاغية يزيد عليه اللعنة والعذاب.

٣ـ إقصاء الحسين عليه السلام والقيم التي حملها ودافع عنها في الساحة الإسلامية، فهو عليه السلام مَن أسّس الثورة والانتفاضة على الطغاة وحكّام الجور، وعليه؛ فإنّ بقاء ذكره يعني بقاء وهج الثورة والانتفاضة على كلّ ظالم.

٤ـ إبعاد المسلمين عن خطّ أهل البيت عليهم السلام عموماً، وعن الحسين عليه السلام على وجه الخصوص، وتوجيههم إلى الخطّ الآخر الذي انحرف وابتعد عن الصراط المستقيم بجميع مظاهره.

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

هذه الأسباب وغيرها جعلت الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة عرضة وغرضاً لسهام الطعن والتشويه من قِبل الأقلام والألسن المأجورة، من لحظة استشهاده إلى يومنا هذا.

وقد ازدادت هذه الحملات في المدّة الأخيرة، خصوصاً مع كثرة الفضائيات وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، وارتفاع صوت التشيّع، وانتشاره في العالم، ساعية من وراء ذلك إلى الضرب على وتر أنّ الحسين عليه السلام كان مُخطئاً في خروجه وحركته، وذلك بزعمهم:

أولاً: إنّه خرج على إمام زمانه المتمثّل بيزيد بحسب وجهة نظرهم؛ وذلك لأنّ الإمام تصحّ إمامته ـ عندهم ـ حتّى لو نزا على ظهر الأُمّة، أو صرعها بالسوط أو السيف[1]. وقد جاء هذا المعنى في صحاحهم؛ إذ رووا عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «**يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتُطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**»[2].

ثانياً: لأنّه لم يحقّق ما كان يصبو إليه من الإطاحة بحكومة يزيد؛ وذلك لأنّهم يفترضون أنّ الهدف من حركته هو هذا الأمر.

---

(١) نقل القاضي أبو بكر الباقلاني بأنّ الجمهور يذهب إلى أنّ الإمام لا ينخلع بفسقه وظلمه، وبغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرّمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه، وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله. واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظاهرة عن النبي (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) وعن أصحابه في وجوب طاعة الأئمّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال. اُنظر: القاضي الباقلاني، محمد بن الطيّب، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ص٤٧٨. كما قيل في هذا الصدد أيضاً: «إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة، فجاء آخر، فقهره، انعزل الأوّل، وصار القاهر الثاني إماماً». النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين: ج٧، ص٢٦٧.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٦، ص٢٠.

ثالثاً: إنّه شقّ عصا المسلمين، وجرَّ الويلات على الأُمّة الإسلامية، بعد أن كان أمرهم مجمعاً وكلمتهم واحدة، ويتفرّع عليه أنّ مَن يفرّق أمر الأمّة يجب قتله، فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إنّه ستكون هنات وهنات، فمَن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً مَن كان**»[1].

رابعاً: إنّه تسبّب في قتل أهل بيته وسبي نسائه، وهم عائلة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أنّه لم يقم بهذه الحركة لم تحصل هذه المضاعفات.

خامساً: إنّه أضعف الدولة الإسلامية على طول الخطّ؛ لأنّه أسّس للتمرّد على الجهاز الحاكم فيها، وكانت حركته بداية لكلّ الحركات المناوئة للحكومات التي حصلت فيما بعدُ.

هذه وغيرها من الترّهات التي يسوقونها ويحتطبونها للتدليل على أنّ حركة الحسين عليه السلام كانت غير صحيحة وغير موفّقة، بل غير موافقة للشريعة والعياذ بالله تعالى، متناسين بذلك عشرات الآيات والروايات التي تمجّد بآل محمد عليهم السلام، وتوجب اتّباعهم والاقتداء بهم وبسنّتهم.

ولسنا هنا في صدد استعراض واستقراء هذه الترّهات، والردّ عليها واحدة واحدة، وهل قائلها إلّا كحاطب ليل لا يدري ما يجمع في حزمته؟! فهي أقلّ من أن تستحقّ الردّ، ويكفي لإسقاطها جميعاً إثبات أنّ النهضة الحسينية المباركة كانت نهضة قرآنية موافقة ومطابقة لتعاليم الله تعالى وشريعة الخاتم صلى الله عليه وآله، فإذا استطعنا أن نُثبت ذلك، فسوف ينهار هذا الهرم الذي بناه على شفا جرف هار بنو أُميّة وأقلامهم ومنابرهم بالزيف والأكاذيب والمغالطات.

وسنرى ـ بعونه تعالى ـ من خلال هذه السطور أنّ النهضة الحسينية المباركة منسجمة تماماً مع الكتاب العزيز، فهي قرآنية من حيث منطلقاتها وأهدافها، وهي

(١) المصدر السابق: ج٦، ص٢٢.

من القرآن وإلى القرآن، ففيها قد تجلّت القيم القرآنية بأنصع معانيها، كما نسمع في الزيارة الشريفة: «**أشهد لقد طيّب الله بك التُّراب وأوضح بك الكتاب**»[1].

القرآن وأهل البيت يمثّلان النظرية والتطبيق

هدف الدين على طول خطّ النبوّات عموماً والإسلام على وجه الخصوص هو صناعة (الإنسان الكامل)، هذه الفكرة التي كانت محطّ اهتمام الباحثين، وتكلّم بها فلاسفة الشرق والغرب؛ وما ذاك إلّا لأهميّتها في حركة الإنسان تجاه مَثَله الأعلى، وسنقف هنا قليلاً وبشكل خاطف على أهمّ النظريات التي عرضت لهذه الفكرة، ثمّ ننتهي إلى النظرية الإسلامية التي قدّمت لنا الإنسان الكامل تنظيراً وتطبيقاً، وإن شئت قلت: مفهوماً ومصداقاً[2].

النظرية الأُولى (نظرية القوة): أصحاب هذه النظرية يقولون: إنّ الأكمل هو الأقوى، وهم لا يرون للضعفاء مكاناً في هذه الحياة، وفي هذا الصدد يرى (نيتشه) الفيلسوف المعروف بأنّه: ليس من حقّ الضعيف أن يعيش، بل إنّه يستحقّ أن تصكّه بحجر فتقضي عليه. ويرى أيضاً بأن المرأة: ليس لها إلّا أنّ تكون نزوة للرجل، وليس لها إلّا أن تُنجب له الأبطال. والمهم أنّ فكرة هذه النظرية تقول: إنّ الإنسان الكامل هو القوي، فيجب الوصول إلى القوة بأيّ وسيلة كانت.

النظرية الثانية (نظرية الاستمتاع الدنيوي): أصحاب هذه النظرية يقولون: إنّ أكمل الناس هو الذي يستطيع أن يستمتع بأكبر قدر ممكن من ملاذّ هذه الحياة، فيجب ـ من وجهة نظرهم ـ الوصول إلى أنواع اللذائذ بأيّ طريقة ووسيلة.

وهاتان النظريتان ـ الأُولى والثانية ـ من متبنّيات الفكر الغربي المادّي، ومن الواضح

(١) القمّي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان: ص٥٢٠.

(٢) أُنظر: مطهّري، مرتضى، الهدف السامي: ص٤٩ وما بعدها. وكتابه الآخر: الإنسان الكامل: ص٨٦ وما بعدها.

أنّهما يُقرّان بمبدأ (الغاية تبرّر الوسيلة)، وهذا مبدأ خطر؛ لأنّه يحوّل الحياة إلى شريعة غاب، هذا أولاً، وثانياً: إنّ مبدأ القوّة وإن كان من المبادئ الجيّدة، فالإسلام ـ مثلاً ـ يرى أنّ المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف[1]، ولكن على أن لا يكون ذلك على حساب الضعفاء، ولا على حساب منعهم من الحياة، ولا يعني ذلك امتهان حقوق الناس وكراماتهم، وتحقير المرأة وجعلها سلعة يتوصل بها إلى الغاية الدنيئة.

النظرية الثالثة (نظرية الاستمتاع الأُخروي): أصحابها يقولون: إنّ الإنسان الكامل هو الذي سوف يستمتع أكثر بالآخرة ونعيمها وقصورها وحورها وثمارها وأنهارها، والقائلون بذلك هم الصوفيون والزهّاد، وهم يرون أنّ الوصول إلى هدفهم لا يتمّ إلّا بالزهد عن لذائذ هذه الدنيا، والاعتزال والتقشّف؛ ليجزيهم الله على ذلك ـ حسب نظرهم ـ بالنعيم المقيم.

والخلل الرئيس في هذه النظرية هو أنّها تدعو إلى العزلة والإعراض عن الساحة وعدم المبالاة بما يحصل في المجتمع من فساد. أمّا مسألة الزهد ومناقشتها فلها مجال آخر لا نستطيع الخوض فيه الآن، ولكن نقول ـ هنا على نحو الإجمال ـ: إنّ الزهد نوعان: مندوب، ومفروض؛ أمّا المندوب فلعامّة الناس، والغاية منه الترويض على البُعد عن الحرام والشبهات، وقطع طريق الشيطان من الوصول إلى النفس الأمّارة بالسوء، الجامحة والطامحة لكلّ الامتيازات، وأمّا المفروض، فيختصّ بأئمّة العدل، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله تعالى فرض على أئمّة العدل أن يُقدِّروا أنفسهم بضعفة الناس؛ كيلا يتبيَّغ[2] بالفقير فقره**»[3]، فلا يمكن لأيّ حاكم أن يدّعي لنفسه العدل ما لم يساوِ نفسه بالفقراء؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يشدّان حجر المجاعة على بطنيهما، ويبيتان طاويين مواساةً للفقراء.

(١) أُنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم: ج٨، ص٥٦.
(٢) التبيُّغ: الهيجان والغلبة. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٨، ص٤٢٢.
(٣) نهج البلاغة، (خطب أمير المؤمنين عليه السلام): ص٣٢٥.

النظرية الرابعة (نظرية المحبّة): وهي (نظرية الهنود)، فإنّهم بنوا فكرتهم على مبدأ المحبّة؛ إذ يرون أنّ الإنسان الكامل هو الذي يحبّ كلّ ما حوله بلا استثناء. وهذا الكلام ليس دقيقاً وإن كان جميلاً؛ لأنّ الحياة لا تقوم على مبدأ المحبّة وحسب، كما أنّ هناك مواطن لا يسعُ المرء أن يقف منها إلّا موقف البغض والكره، فإنّك لا يسعُك أن تحبّ الطغيان والاستبداد والظلم ونحو ذلك.

النظرية الخامسة (نظرية الفلاسفة): يرى هؤلاء أنّه لا كمال إلّا بالفلسفة، فالإنسان الكامل هو الفيلسوف الذي ارتسمت في ذهنه صورة لهيكل الوجود عن طريق الاستدلال والمنطق والبرهان، وعليه؛ فإنّهم يرون أنّ الحكم يجب أن يكون بأيدي الحكماء، وأيّ حكم غير حكمهم باطل، ومهما بلغ الإنسان من مزايا دون الفلسفة فهو ليس بكامل.

والخلل في هذه النظرية واضح، فقد جعل أصحابها الفلسفة غايتهم، والحقّ أنّها وسيلة من وسائل الوصول إلى الكمال وليست هي عين الكمال.

هذه بعض أهمّ النظريات التي تتحدّث عن مقولة الإنسان الكامل عرضناها بشكل مبسّط مع بعض المناقشات البسيطة، والآن نسأل ما هو رأي الإسلام في هذه المسألة ومَن هو الإنسان الكامل في نظر الإسلام.

النظرية السادسة (النظرية الإسلامية): الحقيقة أنّ الإسلام يرى أنّ الإنسان الكامل هو الذي تجتمع فيه الصفات التي تفرّقت في مجموع هذه النظريات، والتي كانت بعيدة عن الإشكالات؛ فالإنسان الكامل هو الذي يسعى للقوّة ولكن ضمن الحدود المشروعة؛ لأجل حماية نفسه ومَن بمعيته، لا لأجل الاعتداء والهيمنة على الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾[1]؛ كما يجوز له أن

(١) الأنفال: آية ٦٠.

يستمتع بالملاذّ الدنيوية ولا يعزف عنها، ولكن ضمن الحدود الضرورية المعقولة، قال تعالى: ﴿... وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]، والإنسان الكامل هو الذي يفوز بالآخرة ونعيمها؛ لأنّه من أهل العطاء والتضحية في سبيل الله والطاعة له سبحانه، فيكرمه الله بالنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[2]، وهو الذي لا يرضى بالجهل، بل يسعى للعلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3]، كما أنّه لا يقبل بالعزلة، بل ينفتح على الواقع، وعلى الحياة بكلّ أبعادها ويتفاعل معها إيجاباً، ويسعى لتغيير ما هو سلبي، وخير شاهد على ذلك الآيات القرآنية الكثيرة جدّاً، التي بيّنت أنّ جميع الأنبياء كانوا يمارسون دورهم الإيجابي في إصلاح حياة الناس، سواء على المستوى الفردي أم المجتمعي، كما أنّ الإنسان الكامل هو الذي يندفع حبّاً وعطفاً لعباد الله الذين هم أهلٌ لذلك، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾[4].

المثل الأعلى للإنسان الكامل

وممّا تقدّم يتبيّن أنّ هذه الأُمور التي ذكروها في الحقيقة هي وسائل وليست أهدافاً، فالإنسان الكامل هو الذي تجتمع فيه الفضائل ومحمود الصفات، وفي الوقت نفسه يكون منزّهاً عن الرذائل ومذموم السمات، فإن كان كذلك كان هو الإنسان الكامل.

وأمّا الهدف الحقيقي فهو (الله) تبارك تعالى، والسعي لإرضائه تعالى، ولا يكون كذلك إلّا إذا دخل في حرب لا هوادة فيها مع النفس الأمّارة بالسوء، بحيث يكون

(١) الأعراف: آية٣١.
(٢) الكهف: آية١٠٧.
(٣) المجادلة: آية١١.
(٤) الفتح: آية٢٩.

رائده في الحرب عقله الذي منّ الله به عليه، وإلى ذلك يشير بعض أهل المعرفة، فيقول: «**اجعل نفسك عدواً تحاربه، وعقلك نبيّاً تتّبعه، وقلبك بيتاً تسكنه، وربّك هدفاً تطلبه**»[1].

وقد تقول: إذا اجتمعت الفضائل في شخص فهو كامل، فلماذا يشترط أن يجعل الله تعالى هدفاً له في مسيرته وكدحه؟

وجوابه: إنّ الله تعالى هو الكمال المطلق، والهدف اللامحدود، فإذا كان هدف الفرد غير محدود فإنّ مسيرته لن تتوقّف؛ إذ كلّما قطع مسافة انفتحت أمامه مسافات أُخرى، وعلى العكس من ذلك فيما لو كان الهدف محدوداً ـ أيّ هدف تفترضه ـ فإنّ المسيرة سوف تتوقّف عند بلوغ ذلك الهدف، والوقوف يعني النقصان وعدم الحركة؛ فمَن رام شهادة في العلم ـ مثلاً ـ توقّفت حركته بنيل تلك الشهادة، ومَن رام معشوقاً انطفأت نار الشوق بالوصول إليه، ونحو ذلك.

والإنسان ـ في الحقيقة ـ لا يقرّ قراره ولا يهدأ باله ولو نال المال، والجاه، والمناصب، وأعلى المراتب، وأعلى الشهادات؛ لأنّه يبحث عن المطلق، والمطلق هو الله تعالى، ولن يقرّ قراره إلّا بذاك، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2]، كما أنّ رغبته بالخلود والعزّة، والخلود لا يتحقق إلّا من خلال الارتباط بالخالد العزيز الذي هو الله عزّ وجلّ، وعليه ينبغي أن يكون هو سبحانه هدفه ومثله الأعلى، فإنّ منه يستمدّ كلّ معاني الخير وصفات الكمال والفضائل اللامحدودة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

(١) نسب هذا القول إلى السيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره.
(٢) الرعد: آية٢٨.
(٣) النحل: آية٦٠.

كيفية عرض الإسلام لمقولة الإنسان الكامل

نظراً لكون الإسلام يمتاز بصفة العالمية والشمولية لجميع البشر، فهو يحرص دائماً على إيصالهم إلى شاطئ الأمان، وإسعادهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة؛ ومن هنا فإنّه بُغية إيصال أكبر قدر ممكن من البشرية إلى الكمال والفلاح والنجاح، نراه يعرض مقولة الإنسان الكامل بطريقين:

الطريق الأول (النظري): قدّم الإسلام الكثير من التعاليم والأوامر والنواهي والمواعظ، من خلال الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة، ودعا بل شدّد على الالتزام بها؛ لأنّ الثمرة من ذلك هو الصعود في سلّم الكمال. فكلّما كان الإنسان أكثر التزاماً بالتعاليم الدينية ترقّى وتكامل، وكلّما ابتعد عنها انحدر وتسافل.

الطريق الآخر (العملي) أو (التطبيقي): هو تقديم النموذج للإنسان الكامل، وجعله أُسوةً وقدوةً، والحثّ بل التشديد على اقتفاء أثره، واتّباع سنّته وسيرته. وفي هذا المجال كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو القمّة، وهو الرقم الأعلى كمثال وقدوة، وما ذاك إلّا لأنّه جسّد تلك التعاليم النظرية تجسيداً حياً وكاملاً، كما كانت تقول عنه بعض أزواجه أنّه صلى الله عليه وآله «**كان خلقه القرآن**»[1].

وفي هذا المجال يأتي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالدرجة الثانية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فقد رُوي عنه صلى الله عليه وآله: «**علي مع القرآن والقرآن معه**»[2]، وكذلك عبرّ عنه صلى الله عليه وآله حينما برز يوم الخندق لمواجهة عمرو بن عبد ودّ العامري بقوله: «**برز الإيمان كلّه**»[3]، أضف إلى ذلك قوله عليه السلام بحقّ نفسه: «**أنا القرآن الناطق**»[4].

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٦، ص٩١.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٤٦٠.
(٣) الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد: ص١٣٧.
(٤) البروجردي، حسين، تفسير الصراط المستقيم: ج٣، ص١١٨.

حديث الثقلين أوضح تطبيق لهذه الفكرة

ويمكن الاستدلال على فكرة أنّ (القرآن وأهل البيت يمثّلان النظرية والتطبيق) بعشرات الأحاديث، المروية عن النبي صلى الله عليه وآله، ولكن أجلى وأوضح مثال لتطبيق هذه الفكرة هو حديث الثقلين، فقد قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، وجعلهم عِدلاً له، كما جاء في صحيح مسلم[1]، وروته عشرات المصادر، وأخرجه الحفّاظ وأئمّة الحديث من كلا الفريقين، فهو من الأحاديث المتواترة. هذا، وأنّ عبارة (كتاب الله وسنّة نبيّه)، لم ترد في الصحاح، وإنّما رواه مالك في الموطأ مرسلاً[2]، فهو ضعيف من هذه الناحية، ولكن من المؤسف أنّ منابر بعض المسلمين وأقلامهم ـ وعلى مدى تاريخ طويل ـ أعرضوا عن الصحيح المتواتر، وهتفوا بالضعيف المرسل؛ لحاجة في نفوسهم قضوها. وحتّى لو قلنا بصحّة العبارة المذكورة فبالجمع بينها وبين العبارة التي ذكرت (العترة) تكون النتيجة أنّ السنّة إنّما تؤخذ من آل محمد عليهم السلام.

ولسنا هنا بصدد الدخول في مساجلات حول هذا الموضوع، إلّا أنّ هذا الأمر يُعدّ مؤشّراً على أنّ الحرب على أهل البيت عليهم السلام ما زالت قائمة، ولم تضع أوزارها. ويبدو لي أنّ الإصرار على الإعراض عن لفظ (كتاب الله وعترتي) من قِبل القوم مسبب عن خطورة دلالاته؛ إذ إنّ هذا الحديث يدلّ على عصمتهم عليهم السلام؛ لمساواتهم بالقرآن، وهو ما قرّره السيّد الأمين في كتابه (أعيان الشيعة)[3].

وقد صرّح أهل البيت عليهم السلام في أكثر من نصّ بأنّ القرآن نزل فيهم، ومنها على سبيل المثال: ما في الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «**نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام**»[4].

(١) أُنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٣.
(٢) أُنظر: ابن أنس، مالك، الموطأ: ج٢، ص٨٩٩.
(٣) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٣٧٠.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٢٨.

وفيه أيضاً: عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام**»[1].

وقد تقول: أَلا يُعدّ هذا من التعارض؛ إذ تقول بعض الروايات: نزل فينا ربع القرآن، وأُخرى تقول: ثلثه؟

وجوابه:

أوّلاً: لا منافاة بين هذه الأخبار؛ وذلك لأنّ التقسيم المذكور ليس مبنياً على التسوية الحقيقية، ولا على التفريق من جميع الوجوه، فلا بأس باختلافها بالتثليث والتربيع[2].

ثانياً: إنّ اختلاف التقسيم قد يكون ناشئاً من اختلاف اللحاظ أو الاعتبار، وهذا من قبيل: الإناء الذي يكون نصفه مملوءاً ونصفه فارغاً، فتارة يلحظ النصف المملوء، فيقال: هذا الإناء نصفه مملوء، وأخرى يلحظ النصف الفارغ، فيقال: هذا الإناء نصفه فارغ.

ثمّ إنّنا نعتقد بصحّة قولنا: إنّ القرآن كلّه نزل في آل محمد عليهم السلام؛ وذلك لأنّ الآيات إن ذكرت محمود الصفات، فهم عليهم السلام أعلى مصاديقها، كآيات المؤمنين والمخبتين والمتّقين، وإنّ ذكرت ذميم الصفات، فهي تنطبق على عدوهم أجلى انطباق، كآيات المنافقين والمخادعين والمكذّبين، وإنّ تعرّضت للفرائض والأحكام، فهم عليهم السلام خير مَن طبّقها وعمل بها، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، وإنّ تعرّضت للسنن والأمثال، فإنّ

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٦٢٧.
(٢) أُنظر: الفيض الكاشاني، محسن، التفسير الصافي: ج١، ص٢٤.
(٣) النور: آية٣٧ ـ ٣٨.

خير مَن استفاد منها وتفكّر بها هم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[1].

وخير شاهد على ما ذهبنا إليه، ما رُوي عن محمد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**يا محمد، إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأُمّة بخير، فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممَّن مضى، فهم عدونا**»[2]. وهذا بحث طويل لا يسعه المقام.

الإمام الحسين عليه السلام والقرآن

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام صنو القرآن بكلّ ما في هذه الكلمة من معنى، فإنّك حين تقرأ سيرة هذا الإمام العظيم يتبيّن لك حضور القرآن في سلوكياته، وكلماته، وحركاته، وسكناته، حتّى يخيّل إليك بأنّك تشاهد قرآناً ـ بدم ولحم ـ يتحرّك على الأرض، فليس هناك اثنينية لتقول عنه: بأنّه إنسان يجسّد القرآن، بل إنّه القرآن بعينه، وليس في ذلك أدنى مبالغة.

ولا يمكننا ـ بحسب طبيعة هذا البحث المختصر ـ الوقوف على المفردات الغزيرة التي يتحرّك فيها القرآن مع الحسين عليه السلام في حياته كلّها، ولكنّ ذلك لا يعفينا من قطف بعض الرياحين من واحة سيرته العذبة؛ وممّا لا ريب فيه فإنّ أهمّ حادث في حياته عليه السلام هو واقعة الطف الأليمة؛ ولذا سيكون لنا وقفة مع هذه الواقعة من ناحيتين:

الأُولى: مشروعية هذه النهضة قرآنياً.

الثانية: حضور القرآن في هذه النهضة إعلامياً وعملياً.

هذا، بعد أن نمرّ بشكل خاطف على بعض الومضات القرآنية من سيرته عليه السلام.

---

(١) العنكبوت: آية٤٣.

(٢) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج١، ص١٣.

ومضات قرآنية من السيرة الحسينية

الومضة الأُولى: القرآن وسلوكياته عليه السلام

١ـ قال أنس: «كنت عند الحسين عليه السلام، فدخلت عليه جارية بيدها بطاقة ريحان، فحيّته بها، فقال لها: أنتِ حرّة لوجه الله تعالى. [وبُهر أنس فانصرف يقول] فقلت: جارية تحيّيك بطاقة ريحان لا حظّ لها ولا بال فتعتقها؟! فقال عليه السلام: كذا أدّبنا الله، أَما سمعت قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾[١]، وكان أحسن منها عتقها»[٢].

٢ـ «مرّ الحسين بن علي عليهما السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم، فألقوا عليه كسراً، فقالوا: هلمّ يابن رسول الله، فثنى رجله ونزل، ثمّ تلا: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٣]، ثمّ قال: قد أجبتكم فأجيبوني. قالوا: نعم يابن رسول الله، وقاموا معه حتّى أتوا منزله، فقال للرباب: أخرجي ما كنت تدّخرين»[٤].

الومضة الثانية: من كلماته عليه السلام في القرآن

للإمام الحسين عليه السلام الكثير من الكلمات القيّمة في مختلف المواضيع القرآنيّة، جُمعت في كتاب (موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام)، نقتبس منها هذه الكلمة القيّمة والمتعلّقة بكتاب الله المجيد: قال عليه السلام ـ بحسب ما جاء في الرواية ـ: «كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوامّ، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»[٥].

---

(١) النساء: آية٨٦.

(٢) ابن الصبّاغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٦٨.

(٣) النحل: آية٢٣.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٣٠٠ـ ٣٠١.

(٥) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٦٦٢.

وهذه الكلمة من أعمق الكلمات التي قيلت في القرآن الكريم، وواضح جداً أنّها تتماها مع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطن، إلى سبعة أبطن**»[1].

الومضة الثالثة: أدعية الإمام الحسين عليه السلام وعلاقتها بالقرآن

سجّل المحدّثون والرواة مجموعة معتداً بها من الأدعية عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولكن يبقى دعاء يوم عرفة هو الأهمّ من بينها؛ لخصوصية الزمان الذي يُقرأ فيه، ولعمق المضامين التي وردت فيه، ومَن يقرأ هذا الدعاء يجد أنّ الإمام عليه السلام ضمّن الكثير من الآيات الشريفة فيه، وقد يضمّن أحياناً مضمون آية وليس نصّها، فجاء التناصّ (Intertextuality) بديعاً في عرضه، منسجماً في ربطه، ونحن بطبيعة الحال لا يمكننا الوقوف على ما ورد في ذلك الدعاء جميعه، وإلّا سنخرج عن الغاية، وإنّما سنقتصر على مقطع واحد.

جاء في الدعاء: «...**وإن تَعْفُ عنّي فبحلمك وجُودك وكرمك، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من الظَّالمين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من المستغفرين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من الموحّدين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من الخائفين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من الوجلين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من الرَّاجين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من الرَّاغبين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من المهلِّلين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من السَّائلين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من المسبِّحين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك إنّي كُنتُ من المكبِّرين، لا إله إلاّ أنت سُبحانك ربّي وربُّ آبائي الأوّلين...**»[2].

فقد وظّف عليه السلام في صدر كلامه في العبارة أعلاه ـ بحسب الرواية ـ المقطع الوارد

(١) الوحيد البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع: ج١، ص٢٨.
(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤١٩.

في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، ووظّف مضمون قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[2] في العجز، وبين الصدر والعجز، جاء النسج على نمط الآية الأُولى، ليشكّل منظومة من قيم العبودية المركوزة في الحقيقة الإنسانية المتمثّلة بالضعف والحاجة، بين يدي الواحد القهّار، معترفاً له بالوحدانية، مقرّاً بين يديه بعشر صفات ـ علاوةً على صفة الظالمين المذكورة في الآية ـ وكلّها تشي بالتواضع والذوبان أمام الملك الجبار، فهو من: (الظالمين، المستغفرين، الموحدين، الخائفين، الوجلين، الراجين، الراغبين، المهلّلين، السائلين، المسبّحين، المكبّرين).

ثمّ إنّه ممّا لا ريب فيه: أنّ هذه الصفات لم ترتّب بهذا النسق اعتباطاً، وإنّما هي مقصودة الاختيار والترتيب، فالظلم هو الذنب أو التقصير عموماً أمام الله تعالى، وهو ما يستدعي التوبة والاستغفار، وهو لا يكون إلّا بعد الاعتراف لله بالوحدانية، (الظالمين، المستغفرين، الموحدين)، ويبقى العبد مع ذلك بين الخوف والرجاء، الخوف والوجل من احتمال الطرد وعدم القبول، والرجاء والرغبة بالعفو والرضا، (الخائفين، الوجلين، الراجين، الراغبين)؛ وحتّى تكون حوائجه منَجَّزة، لا بدّ له أن يكون ذاكراً مرطّباً لسانه بالتهليل والتسبيح، وما بينهما سؤال، (المهلّلين، السائلين، المسبّحين)، وتهليله عزّ وجلّ هو الفزع إليه في الأهوال، كما ورد: «**أعددتُ لكلّ هولٍ لا إله إلاّ الله...**»[3]، وتسبيحه هو تنزيهه من كلّ عيب ونقص يخطر في الذهن أو يظهر على اللسان. وبعد هذا التسبيح تصل النوبة إلى صفة (المكبّرين)، أي: إنّ الله تعالى

(١) الأنبياء: آية٨٧.

(٢) الدخان: آية٨.

(٣) الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل: ج٥، ص٣٧٩.

أكبر من أن يوصف كما في بعض الروايات[1]، وأكبر من كلّ ما يخطر في الذهن، أو يتصوّره الخيال، وممّا يُرى وممّا لا يُرى. وأخيراً، ذيّل الإمام عليه السلام كلامه بالاعتراف بربوبية الله تعالى له ولآبائه الأوّلين عليهم السلام.

حضور القرآن في النهضة الحسينية

قلنا فيما مضى من البحث: إننا سنتناول هذا المحور من ناحيتين:

الأُولى: مشروعية النهضة الحسينية قرآنياً.

الثانية: حضور القرآن فيها إعلامياً وعملياً.

الناحية الأُولى: مشروعية النهضة الحسينية قرآنياً

اعلم أنّه لم يُشرّع القتال والجهاد في الشريعة الإسلامية إلّا لأجل أهداف مقدّسة ونبيلة، أهمّها وأبرزها ثلاثة:

الأوّل: الدفاع عن النفس، قال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

لاحظ أنّ الآية لا ترضى بالردّ على الاعتداء إلّا بمقدار المثل؛ من دون أيّ زيادة؛ لأنّ الزيادة سوف تكون من مصاديق الظلم.

وهذا الردّ يكون له شكلان كما لا يخفى:

الشكل الأوّل: الدفاع الفردي ـ إنّ صحّ التعبير ـ الذي يحصل عندما يتعرّض الفرد ومَن بمعيته ـ من المال والولد والأهل ـ للاعتداء.

الشكل الثاني: الدفاع الجماعي، وذلك فيما لو تعرّضت الأُمّة الإسلامية للاعتداء.

الثاني: حماية المظلومين والمستضعفين والدفاع عنهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١١٨.

(٢) البقرة: آية١٩٤.

﴿نُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1].

الثالث: إزالة الموانع التي تقف في طريق هداية الناس، ومنها الطواغيت والفراعنة الذين يستعبدون الأُمم، ويمنعون من وصول الهداية إلى المجتمعات، أو يُخرجون الناس من دينهم بالنار والحديد. لاحظ ماذا يقول فرعون لجماعته كما يحكي عن ذلك قوله تعالى: ﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[2]، فهذه الظاهرة الفرعونية يحاربها الإسلام ويسقطها، قال تعالى: ﴿... فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[3]، لكي يتنسّم المجتمع نسيم الحرية، ويترك بعد ذلك الخيار للأفراد والمجتمعات في اعتناق الدين الذي يريدونه؛ لأنّ الإسلام من حيث المبدأ لا يُجبر أحداً على اتّخاذه ديناً، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ...﴾[4].

وفي اصطلاح الفقهاء يُسمّى القسم الأوّل والثاني بالجهاد الدفاعي، والقسم الثالث بالجهاد الابتدائي.

وإذا تأمّلنا في هذه الأقسام نجدها ـ كلّها ـ يمكن أن تصلح كغطاء شرعي لحركة سيّد الشهداء عليه السلام؛ أمّا القسم الثالث، فإنّ ممّا لاريب فيه أنّ بني أُميّة اختطفوا الخلافة والإمامة السياسية خطفاً من يد الخليفة الشرعي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خصوص الشام، ومن بعده من الإمام الحسن عليه السلام في عموم الدولة الإسلامية، وحوّلوها إلى ملك عضوض كالقيصرية والكسروية، يتوارثها الأبناء والأحفاد من الآباء والأجداد، وهم مع ذلك غير أكفاء، بل عاثوا في الأرض الفساد، وحلّلوا الحرام،

(١) النساء: آية٧٥.
(٢) غافر: آية٢٩.
(٣) التوبة: آية١٢.
(٤) البقرة: آية٢٥٦.

وحرّموا الحلال، ونشروا التحلّل والسقوط الأخلاقي، وهجروا الكتاب والسنّة، واتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً.

إذن؛ كانت حركت الحسين عليه السلام أوّلاً وبالذات دفاعاً عن بيضة الإسلام، وكيان المسلمين الذي كاد أن ينهار على يد بني أُميّة.

وأمّا القسم الثاني ـ الدفاع عن المظلومين ـ فإنّه ممّا لا ريب فيه أنّ ظلم بني أُميّة قد عمّ المسلمين جميعاً في طول وعرض رقعة البلاد الإسلامية، وهم بذلك يريدون تدجين المجتمع الإسلامي وإخضاعه بسلطة النار والحديد، وبالفعل فقد تمّ تحويل المجتمع في الغالب إلى ظالم ومظلوم، فالظالم هو السلطة، وأركانها، وأعوانها، ومرتزقتها، والمظلوم هو عموم المسلمين الذين مورست ضدّهم سياسة التجويع، والتهجير، والتقتيل، فكان الواجب على الإمام الحسين عليه السلام أن يتحرّك لإنقاذ الوضع، «**وعلى هذا الضوء تتميّز الألوان، ونفهم سرّ قبول الحسين عليه السلام لدعوة الكوفيين، فإنّ ذلك القبول كان وفق تكليفه الظاهري الذي لو تخلّف عنه لأُشكل عليه ألف مشكل بما معناه: إنّ الحسين دعته الأُمّة للإمامة، وندبته لمناجزة الطغاة، ولكنّه قعد عن واجبه، وترك الأُمّة ترزح تحت سياط الطغاة**»[1].

وأمّا القسم الأوّل، فيتّضح من كون الحسين عليه السلام ـ من حيث المبدأ والمنتهى ـ لم يكن لديه حركة عسكرية مسلّحة ضدّ السلطة آنذاك، ولو كان الأمر كذلك لحشّد ما استطاع أن يحشّد لمواجهتها، وإنّما امتنع من البيعة للسلطة فقط لينزع عنها ثوب الشرعية، ولكنّهم لم يتركوه ـ كما ترك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الجماعة الذين تخلّفوا عن بيعته ـ وإنّما خيّروه بين البيعة والقتل، أو كما قال عليه السلام: «**بين السلّة والذلّة**»[2]، والذلّة (الناجمة عن البيعة) تعني نقض عرى الإسلام بتسلّط يزيد، كما قال عليه السلام: «**وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[3].

(١) النداوي، عبد الرزّاق، أهداف نهضة سيّد الشهداء في كلمات الفقهاء: ص٢٧٨.
(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٣.
(٣) المصدر السابق: ج١، ص٥٨١.

ولمّا لم يترك بنو أُميّة الإمامَ عليه السلام وشأنه، ونصبوا له الكمائن وحاولوا قتله، خرج بضعينته دفاعاً عن نفسه وعياله، هذا كلّه بناءً على الشكل الأوّل.

وأمّا على الشكل الثاني (الدفاع الجماعي)، فقد تبيّن من مجموع ما تقدّم، خصوصاً مع ملاحظة أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد عُرضت عليه ـ بحسب الكتب التي وردت عليه من أهل الكوفة ـ قيادة هذه الحملة الجهادية ضدّ مَن أراد القضاء على بيضة الإسلام.

الناحية الثانية: حضور القرآن في النهضة الحسينية إعلامياً وعملياً

إنّ المتتبّع لحركة سيّد الشهداء عليه السلام، يجد أنّ القرآن الكريم كان حاضراً في جميع مفاصل هذه النهضة، منذُ انطلاقتها الأُولى يوم خروجه عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله، وإلى لحظة مصرعه على صعيد الطفّ، بل وحتّى بعد ذلك، فقد روت مصادر الفريقين أنّ رأسه الشريف عليه السلام كان يتلو القرآن في أكثر من مناسبة. وسيتبيّن للقارئ العزيز هذا الحضور الواسع لكتاب الله المجيد من خلال استعراضنا شبكة الآيات التي تخلّلت تلك الحركة المباركة[1].

* فيوم خرج من المدينة المنوّرة تلا قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

* ودخل مكّة المكرّمة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾[3].

* وعند خروجه منها قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[4].

* وفي الطريق ـ وبعد وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام ـ عندما بلغ منزل

(١) للوقوف على المواقف التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام، والآيات الكريمة التي تلاها في هذا الاستعراض. أُنظر: المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٥٣ـ ٣٠٣.

(٢) القصص: آية٢.

(٣) القصص: آية٢٢.

(٤) الأحزاب: آية٣٨.

الثعلبية، أتاه رجل فسأله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[1]، فقال عليه السلام: «**إمام دعا إلى هدى فأجابوا إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوا إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾**»[2].

* وبعد لقائه بالحرّ بن يزيد الرياحي خطب عليه السلام خطبتين، وممّا جاء في الخطبة الثانية منهما: «**وقد أتتني كتبكم وقدِمت عليّ رُسلكم ببيعتكم أنّكم لا تسلّموني ولا تخذلوني، فإن أتممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم... وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم... فحظّكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، (ومَن نكث فإنّما ينكث على نفسه)[3]، وسيُغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»[4].

* وفي عذيب الهجانات وافاه خمسة رجال خارجين من الكوفة، وهم عمرو ابن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله المذحجي، ونافع بن هلال، ودليلهم الطرمّاح، فسألهم عليه السلام عن حال الكوفة، وكان من جملة ما سألهم عن حال رسوله إليهم (قيس بن مسهر الصيداوي) فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد، فأمر به، فأُلقي من أعلى القصر فمات، فترقرقت عينا الحسين عليه السلام، وقرأ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[5].

(١) الإسراء: آية ٧١.
(٢) الشورى: آية ٧.
(٣) هذا المقطع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾. الفتح: آية ١٠.
(٤) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٧.
(٥) الأحزاب: آية ٢٣.

* وفي قصر بني مقاتل التقى بعبيد الله بن الحرّ الجعفي، ودعاه لنصرته، إلّا أنّه اعتذر عن ذلك خوف الموت، وأراد أن يهدي الإمام عليه السلام فرسه السريعة المسمّاة بـ(المُلحِقة)، فقال له عليه السلام: أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1].

* وقُبيل وصوله عليه السلام قرى الطفّ، سمعه ابنه علي الأكبر عليه السلام يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، مع قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، فسأله عن ذلك، فقال: خفقتُ برأسي فعنَّ لي فارس يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا.

* وفي جوابه عليه السلام على كتاب[4] عبيد الله بن زياد الذي أرسله إليه عند نزوله عليه السلام إلى كربلاء، قال للرسول: ما له عندي جواب؛ لأنّه حقّت عليه كلمة العذاب.

أقول: وقد ورد مضمون هذه الآية في الكتاب العزيز في موضعين:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[5].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6].

* وفي كربلاء زحفت الجيوش ليلة العاشر نحو خيامه عليه السلام، فطلب من أخيه

---

(١) الكهف: آية٥١.

(٢) البقرة: آية١٥٦.

(٣) الأنعام: آية٤٥.

(٤) ونصّ الكتاب هو: «أمّا بعد، يا حسين، فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية: أن لا أتوسّد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو أُلحقك باللطيف الخبير، أو تنزل إلى حكمي وحكم يزيد. والسلام». المقرّم عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٩٦.

(٥) الزمر: آية١٩.

(٦) الزمر: آية٧١.

العباس عليه السلام أن يذهب إليهم ويستمهلهم تلك العشية، وقال: «**لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار**...[وقد سُمع عليه السلام تلك الليلة يتلو قوله تعالى:] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ...﴾[1]»[2].

* وفي صبيحة اليوم العاشر، أقبل القوم يجولون حول البيوت، فيرون النار تضطرم في الخندق الذي حفره الحسين عليه السلام وأصحابه خلف الخيام؛ ليقاتلوا من جهة واحدة، فصاح شمر: «**يا حسين، تعجّلت بالنار قبل يوم القيامة، فقال الحسين عليه السلام: مَن هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجوشن! قيل: نعم. فقال عليه السلام: يابن راعية المعزى، أنت أَوْلى بها منّي صلياً**»[3].

ومن الواضح أنّه عليه السلام ضمّن كلامه هنا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾[4].

* وخطب الإمام الحسين عليه السلام أكثر من خطبة صبيحة عاشوراء، فجاء في خطبته الأُولى: «**أيّها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو يحقّ لكم عليّ، وحتّى أُعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم** ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[إلى أن يقول عليه السلام منادياً:] **يا عباد الله، (إنّي عُذت بربّي وربّكم أن ترجُمون)**[5]، **(أعوذ**

(١) آل عمران: آية١٧٨ـ١٧٩.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١ ـ ٩٤.
(٣) البياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص٣٠٥.
(٤) مريم: آية٧٠.
(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ الدخان: آية٢٠.

بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب)[1]»[2].

* وفي الخطبة الثانية فإنّه عليه السلام بعدما استحلفهم بكتاب الله، وعرّفهم بنفسه، واستشهدهم على ذلك، وأنّبهم، قال لهم: «**أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريثما يُركب الفرس حتّى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله**، ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[3]، ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[4].

ثمّ رفع يديه نحو السماء، وقال: اللهمّ احبسْ عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف، يُسقيهم كأساً مصبرة، فإنّهم كذّبونا وخذلونا، و(أنت ربّنا عليك توكّلنا وإليك المصير)[5]»[6].

* وحين حمي الوطيس كان كلّ مَن أراد الخروج من أصحابه عليه السلام يودعه بقوله: السلام عليك أوْلى رسول الله، فيجيبه عليه السلام: وعليك السلام، ونحن من خلفك، ثمّ يقرأ[7]: ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[8].

* وحين برز علي الأكبر ترقرقت عينا الإمام عليه السلام بالدموع، «**ثمّ رفع سبابتيه نحو**

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾. غافر: آية٢٧.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧ ـ ٩٨. اُنظر: المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٢٧ ـ ٢٢٩.

(٣) يونس: آية٧١.

(٤) هود: آية٥٦.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾. الممتحنة: آية٤.

(٦) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٨١.

(٧) الموجود في المصدر: «ثمّ يقرأ: ومنهم مَن قضى نحبه ومنهم...»، ولعلّ هذا التبديل وقع بسبب سهو القلم الشريف للكاتب أو اشتباه الراوي.

(٨) الأحزاب: آية٢٣.

السماء وقال: اللهمّ كن أنت الشهيد عليهم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس برسولك خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وكنّا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيّك نظرنا إليه، اللهمّ فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]»[2].

* ومن ذلك قوله لأُخته العقيلة زينب عليها السلام ليلة العاشر: «**أُختاه، اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، و﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾**[3]... **ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أُسوةٌ**»[4].

هذا ما سنح لنا رصده ونقله من النصوص المنقولة عن أبي عبد الله عليه السلام، وهو فهرسة سريعة للآيات التي تلاها عليه السلام في تلكم المواقف، وربّما مع زيادة البحث يمكن العثور على أكثر من ذلك، هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار النقاط الآتية:

النقطة الأُولى: إنّ هناك الكثير من كلمات الإمام الحسين عليه السلام التي أُدرجت فيها مضامين لآيات شريفة، أعرضنا عنها صفحاً؛ لأنّ المقام سيطول بنا، منها على سبيل المثال قوله لأخته العقيلة زينب عليها السلام في ذيل الكلمة السابقة: (وليّ ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة حسنة).

ومن الواضح أنّ هذا هو مضمون قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5].

(١) آل عمران: آية٣٣ـ٣٤.
(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٦٩.
(٣) القصص: آية٨٨.
(٤) البياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص٥٣.
(٥) الأحزاب: آية٢١.

النقطة الثانية: علاوة على ما ذُكر من نصوص الآيات، فإنّه توجد جملة من أسماء الأنبياء عليهم السلام، وقصص الأُمم السالفة، التي وردت في القرآن، جرى ذكرها على لسان أبي عبد الله عليه السلام، كيوسف، ويعقوب، وناقة صالح، وأصحاب السبت، ومؤمن آل فرعون، وقوم سبأ، وغير ذلك.

النقطة الثالثة: وإذا ضممنا إلى ذلك الآيات التي استشهد بها وتلاها أصحاب الحسين عليه السلام، صار الكمّ كبيراً نسبياً، مثلاً: قال المؤرّخون: وتقدّم حنظلة بن سعد الشبامي بين يدي الحسين عليه السلام، فنادى أهل الكوفة: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ * مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ * وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ * يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[1].

ومن الطبيعي أنّنا نأخذ بالآيات التي تلاها الأنصار ونجعلها بمصافّ كلمات الحسين عليه السلام، وذلك للاستدلال التالي:

إنّ جملة من أصحاب الحسين عليه السلام يُعدّون من أهل الفضل في الدين، ومن قرّاء وحفظة القرآن الكريم، وهم قوم أولو بصائر، كما شهد لهم العدو بذلك؛ وذلك لمّا أكثروا القتل في العدو، صاح عمرو بن الحجّاج بأصحابه: «**أتدرون مَن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين**»[2].

النقطة الرابعة: لا يخفى أنّ الرأس الشريف لأبي عبد الله عليه السلام قد تكلّم في أكثر من مناسبة، والروايات التي نقلت ذلك منها ما رُويت في مصادر الفريقين، ومنها ما تفرّدت به مصادر الإمامية، ومن جملتها: ما يُروى عن زيد بن أرقم (الصحابي) أنّه

(١) غافر: آية ٣٠ـ٣٣.

(٢) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٩٠.

قال ما مضمونه: بعد أن أمر ابن زياد بأن يُطاف برأس الحسين عليه السلام في سكك الكوفة، كنت في غرفة لي فمروا عليَّ بالرأس، وهو يقرأ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[1]، قلت: والله يابن رسول الله، رأسك أعجب وأعجب[2].

النقطة الخامسة: ويُضاف إلى ذلك كلّه أنّنا يمكننا رصد الكثير من القيم القرآنية التي تجسّدت في هذه النهضة المباركة، منها على سبيل المثال: أنّه عليه السلام حافظ على العهد والميثاق الذي قطعه أخوه الإمام الحسن عليه السلام في معاهدة الصلح طالما كان معاوية حيّاً، قال تعالى: ﴿... وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

ومنها: أنّه عليه السلام رفض الركون إلى الظالمين مطلقاً، وهذا ينسجم مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ... ﴾[4].

ومنها: أنّه عليه السلام حاول جاهداً تجنّب الصدام العسكري وإراقة الدماء، منذُ رفضه للبيعة وإلى أن حانت ساعة الصفر؛ ويشهد لذلك: أنّ أحد أصحابه أراد أن يقتل الشمر، فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال[5]. وهذا أوّلاً: احتياط في الدماء، وثانياً: لأنّ المعركة وقعت في الشهر الحرام، وهو ما ينسجم مع قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[6].

---

(١) الكهف: آية٩.
(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٧.
(٣) الإسراء: آية٣٤.
(٤) هود: آية١١٣.
(٥) أُنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٢٣.
(٦) البقرة: آية١٩٤.

ومنها: أنّنا نجد أنّه عليه السلام يُثني على أصحابه حين يذكّرونه بحلول الزوال الذي هو أوّل وقت الصلاة، فيترك القتال، ويستعدّ هو ومَن بقيَ من أصحابه لإقامتها والسهام تنزل عليهم كرشق المطر، وهو تطبيق لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1].

وليس باستطاعتنا ـ في هذه العجالة ـ استقصاء جميع القيم القرآنية التي تجسّدت في حركة سيّد الشهداء عليه السلام، فهناك الكثير الكثير من قيم الشرف والبطولة والرجولة والصبر والإيثار والمواسات والتضحية والرضا والتسليم؛ ممّا يُعدّ من قيم الجمال كما رأته العقيلة زينب عليها السلام حين سألها الطاغية ابن مرجانة: كيف رأيتِ فعل الله بأهل بيتك؟ فقالت عليها السلام: ما رأيت إلا جميلاً...[2]. فكأنّها عليها السلام أرادت أن تقول: إنّ لواقعة الطفّ وجهين: وجه جميل تجسّدت فيه القيم القرآنية التي ظهرت في أفعال أهل بيتي، ووجه آخر قبيح تجسّدت فيه الخسّة، والنذالة، والضعة، والقسوة، والنفاق، والارتداد، وغير ذلك، وهو الذي تجسّد في فعلك يابن مرجانة، وفعل أزلامك، وأنتج هذه المأساة العظمى، ولذلك غضب لعنة الله عليه؛ لأنّه فهم لحن الكلام.

عوداً على بدء

بعد استعراض كلّ ما تقدّم نقول وبضرس قاطع: إنّ كلّ ما حِيك من مقولات باطلة ضدّ سيّد الشهداء عليه السلام ـ التي تقدّم ذكرها في مطلع البحث ـ لتخطئته وتخطئة نهضته المباركة، إنّما هو نسيج باطل أوهن من بيت العنكبوت، يعود على أهله بالوبال، وإنّ القائلين به إنّما كشفوا عن عوراتهم، وأظهروا بذلك جهلهم، فكيف يقاس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبطه، وسيّد شباب أهل الجنّة، بالطاغية مُلاعب القرود، وشارب الخمور، ومرتكب الفجور، وإن تعجب فعجب قولهم: إنّ

(١) البقرة: آية٢٣٨.

(٢) أُنظر: المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٤٠٤.

يزيد إمام الزمان، والحسين عليه السلام خارج عليه، مالكم كيف تحكمون؟! وبأيّ وجه لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحشر تلاقون، وبأيّ عذر تعتذرون؟! ﴿... كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2].

والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة (خطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، جمع: الشريف الرضي، تحقيق: صبحي صالح، الطبعة الأُولى، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢ـ أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٣ـ الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٤ـ الإنسان الكامل، مرتضى مطهّري (ت١٤٠٠هـ)، منشورات مؤسّسة البعثة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥ـ أهداف نهضة سيّد الشهداء في كلمات الفقهاء، عبد الرزّاق النداوي، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(١) غافر: آية٣٥.

(٢) غافر: آية٥٢.

٦ـ التفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٣٧٤ش.
٧ـ تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
٨ـ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد بن الطيّب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ـ مؤسّسة الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسّسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٩ـ روضة الطالبين، يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٠ـ صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١١ـ تفسير الصراط المستقيم، حسين البروجردي (ت١٣٤٠هـ)، تحقيق: غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.
١٢ـ الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمد المالكي، المعروف بابن الصبّاغ (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.
١٣ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨/ ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.
١٤ـ كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي (ت٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ش.
١٥ـ لسان العرب، محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ)، منشورات أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

١٦ـ لواعج الأشجان، محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة، ١٣٣١هـ.
١٧ـ مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٢٢٠هـ)، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت ـ لبنان.
١٨ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان.
١٩ـ مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع، محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة العلامة المجدّد الوحيد البهبهاني رحمه الله، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ.
٢٠ـ مفاتيح الجنان، عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، مكتبة العزيزي، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش.
٢١ـ مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزّاق المقرّم (ت١٣٩١هـ)، انتشارات الشريف الرضي رحمه الله.
٢٢ـ مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزّاق المقرّم (ت١٣٩١هـ)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٢٣ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٢٤ـ الموطأ، مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٢٥ـ الهدف السامي، مرتضى مطهّري (ت١٤٠٠هـ)، قسم العلاقات الدولية ـ منظمة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
٢٦ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

السنن الإلهيّة في آيٍ نَطَقَ بها الرأس الشريف

الشيخ حيدر العريضي*

مقدّمة

لقد تميّزت حركات الإصلاح الإلهي عن غيرها من الدعوات، وامتازت عليها بسمات الثبات، والشمول، والديمومة، ولا غلو في القول: إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحيّة كانت من بينها كالكوكب الدريّ في أُفق التحرر من نير الاستعباد وظلم المستكبرين. إنّ إمعان النظر غوراً في أسرار هذه الشخصيّة الفذّة، يكشف عن أنّ كراماته في حياته وبعد شهادته كأنّهما سيّان في الدهشة والانبهار، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلُّ على حقيقة حياة الشهداء وخلودهم، لا سيّما سيّدهم الوتر الذي ما يزال عطاؤه ثرّاً يجود به للراغبين، كأنّه حاضر في جميع الميادين، يرفد المواقف البطوليّة ويتابع الأحداث حيّاً غير منظور ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، والتصديق بمضمون الآية المباركة قد يكون متعذّراً عند ضعاف الإيمان، مع الإبقاء على فهم هذه الأسرار حكراً على أُولي الألباب الذين اختارهم الله لتحمّل وحيه.

إنّ المصاديق المظهرة لغيب هذه الآية قد تجسّدت في كرامات نطق بها رأس الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته، كما كان الحال مع معجزة النبيّ يحيى من قبلُ، ومعطيات هذه الكرامات كثيرة، سواء أكانت على مستوى الدلالة الموضوعيّة، أم الإشارات

---

* باحث إسلامي، من العراق.

(١) آل عمران: آية١٦٩.

العقليّة، فالإشارات العقليّة تُنبئ عن انتصار مبدأ الحقّ على هوى الباطل، بغض النظر عن النتائج المنظورة على أرض الواقع، فللظالم جولة وللحقّ دولة، وإن طال الزمن فسينتصر دم الأتقياء على سيف الأرجاس، ولا بدّ لهذه الثورة أن يدوم صداها وتحيا شعائرها جيلاً بعد جيلٍ، تستمد نورها من نبراس أبي الأحرار الذي لم يسكته القتل وقطع الرأس، بل قطع رأسه الشريف بذلك النطق أكذوبة الفناء بعد الموت حتّى خلّده الله حيّاً ينطق بين أعدائه، وأثبت أنّهم هم الأموات.

أمّا الدلالة الموضوعيّة لآي الذكر الحكيم التي نطق بها الإمام الحسين عليه السلام، فهي تستبطن المضامين العالية التي وردت فيها من قوانين إلهيّة عامّة، سأتناول بعضها في هذا المقال المقتضب.

المبحث الأول: مسائل تمهيدية

أولاً: التعريفات

يحوي عنوان البحث مفردتين لا بدّ من بيان معناهما اللغويّ والاصطلاحيّ؛ لكي يتسنّى للمتتبع سهولة الولوج في موضوع البحث، مع تسليط الضوء على أنواع السنن الإلهيّة وخصائصها.

١ـ (آية)

لغةً: تعني السمة والعلامة، وقد تعني الجمع من الأشياء أو الناس[١].

اصطلاحاً: الآية من التنزيل في القرآن الكريم، وسُمّيت آية لأنّها علامة على انتهاء كلام من آخر، ولأنّها مجموعة من حروف القرآن[٢].

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٤، ص٧٦.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.

٢ـ (السُّنن)

لُغةً: هي الطرق أو القواعد أو السير[١].

اصطلاحاً: هي «**التصوّر المستنبط من فهم القرآن وفلسفته في فهم الحياة وتفسير الظواهر الاجتماعية والتاريخية والكونيّة، وهو الدعامة الرئيسة لتحقيق الوقاية الحضارية والتجديد والتدافع الحضاري**»[٢]. وبكلمة أُخرى: هي الطريقة المتّبعة في معاملة الله تعالى للبشر، والنظام الثابت الذي أقام عليه الكون والحياة، والقوانين التي بثّها في هذا الوجود وأخضع لها جميع مخلوقاته.

وترتبط السنن بالاعتبار العملي، فلا جدوى من تعقّل السنن بلا اعتبار عملي، فالمعتبر يقرن دائماً بين الشيء وأمثاله، ولا يمكن الاعتبار من غير نظر في الأحداث السابقة، ثمّ يُقايس على ما حصل حتّى يتولّد الاعتبار من تنبُّؤ حدث مشابه يقع لا محالة مستقبلاً. وهذا القياس يجري وفقاً للسنن والقوانين الإلهيّة التي تخبرنا بالنتائج قبل وقوعها[٣]، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٤].

ويمكن القول: إنّ السنن الربانيّة هي عبارة عن: (قوانين المجتمعات والحياة البشرية) التي لا تتخلّف ولا تتبدّل، بل هي ماضية بأمر الله تعالى وقدره. والتي أخفقت العلوم الاجتماعية الوضعية والتجريبية الحديثة في التوصل إليها، رغم مرور ما لا يقل عن مائة عام من تأسيس معظمها، بل إنّ بعض هذه العلوم الاجتماعية الحديثة أُسّست منذ أكثر من (٢٠٠) سنة، كعلم الاقتصاد الغربي الذي عجز عن حلِّ الأزمات الماليّة والاقتصادية العالمية. كما أنّ علم الاجتماع الحديث ينظر بعين

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج١٣، ص٢٢٠.

(٢) كُهُوس، رشيد، علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي: ص٧.

(٣) أُنظر: المنجد، محمد صالح، مقدّمات في السنن الإلهيّة: ص٧، مقال على الموقع: https://almunajjid.com/courses/lessons /179.

(٤) يوسف: آية١١١.

العجز إلى المشكلات الاجتماعية المعاصرة كالجرائم، وتفكّك الأُسرة، وغياب النظام، والمخدّرات، والعنف، وغيرها الكثير[1].

كما تتسم السنن الإلهية ببعض الخصائص أهمّها: إنّها ذات قوانين محدّدة، وتتصف بأنّها دائمة خالدة، وثابتة غير متغيّرة، ومستمرّة غير متحوّلة، تشمل الأوّلين والآخرين، كما تتسم بالصدق، والعدل، والعلو والرفعة، والقول الفصل. وهذا منهاج الله تعالى في قرآنه كما صدح في آيات كثيرة[2]، منها قوله سبحانه: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[3].

وتتّخذ السنن الإلهية أشكالاً عدّة وتجري في جملة من الأقسام أهمّها:

١ـ السنن الكونية (آيات الآفاق).

٢ـ السنن الإنسانية، ويتفرّع عنها: السنن الاجتماعية، والسنن التاريخية، وسنن الهداية (التشريعية)، وسنن التأييد الإلهي، وسنن التكامل[4].

وما يستحقّ التركيز عليه في هذا البحث هو السنن الإنسانية؛ لتناسبها مع موضوع آيات معجزة نطق الرأس الشريف.

ثانياً: الإثبات التاريخي لكرامة نطق الرأس الشريف

تضافرت الأخبار التاريخية والمرويات من مصادر معتبرة ـ من العامّة والخاصّة ـ على نقل حقيقة نطق الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام بعد مقتله، وحمله على رأس الرمح من كربلاء إلى الشام.

---

(١) أُنظر: الحمصي، جمال، مراجعة السنن الإلهيّة: ص٢، مقال في مجلّة المقر، بتاريخ ١٥/ نوفمبر/ ٢٠١٨م.

(٢) أُنظر: الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط: ج٢، ص٩٥٠. وأيضاً: كُهُوس، رشيد، علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي: ص٣٣.

(٣) الأحزاب: آية٦٢.

(٤) أُنظر: السبحاني، جعفر، الإلهيات: ص٥٣٦ ـ ٥٤١. وأيضاً: جمعة، علي، السنن الإلهيّة: ص٤، مقال في الموقع الإلكتروني للدكتور علي جمعة/ جامعة الأزهر.

لقد اكتسبت هذه الأخبار الاعتبار التاريخي، وليس الاعتبار الذي عليه المدار في الأخبار التي يُستنبط منها الأحكام الشرعية، كالأخبار الصحيحة أو الموثّقة، فتأريخ الطبري كتاب معروف عند المؤرخين، وكذا تاريخ ابن الأثير، ويكفي في هذا المعنى من الاعتبار للخبر أن ينقله بطرق مختلفة، مثل العلّامة المجلسي في البحار، والطريحي في المنتخب، فضلاً عمّا رواه الشيخ المفيد في الإرشاد، والسيّد ابن طاووس في اللهوف، ونظراؤهم.

بعض هذه الأخبار تؤكّد أنّ الرأس الشريف تكلّم بكلام فصيح وبليغ من غير القرآن، أو تعقيباً لتلاوة آيات القرآن الكريم، كما ورد في خبر المنهال بن عمرو الأسدي الذي شاهده بقوله: « **أنا والله، رأيت رأس الحسين بن علي حين حُمل وأنا بدمشق، وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف، حتّى بلغ قوله تعالى:** ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾، **قال: فأنطق الله الرأس بلسان ذرب، فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي**»[1].

وقد وثّق المنهالَ الكثيرُ من علماء الحديث، ونقل عنه الكثير من المؤرخين هذه الرواية، وعمل الباحث الشيخ إسكندر الجعفري على جمع بقيّة الروايات التي ذكرت نطق الرأس الشريف، وقام بتحقيقها وتنقيح مطالبها في بحث قيّم وموضوعي من مصادر الفريقين، والظاهر أنّ هذه الرواية قد رُويت في مصادر السنّة ومصادر الشيعة من طرقٍ مختلفةٍ وموثقة، وهذا ممّا يُعزز شهرتها، ويؤكِّد حصول مضمونها[2].

والظاهر من التحقيق الشامل لروايات هذه الكرامة التي بلغت بمجموعها خمس عشرة رواية، فمنها: ست روايات نقلت نطق الرأس الشريف بغير القرآن الكريم، إمّا تعقيباً لقراءته، أو ذكراً لاسم الله تعالى وصفاته، أو وعظاً وإرشاداً، أو

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٠، ص٣٧٠.

(٢) أُنظر: الجعفري، إسكندر، تكلّم الرأس الشريف في مصادر الفريقين، مقال في مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد السابع: ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

وعيداً وتنكيلاً[1]. ومنها تسع روايات أخبرت بنطق الرأس الشريف لآي من الذكر الحكيم.

ثالثاً: الآيات التي نطق بها الرأس الشريف

إنّ عدد الآيات التي نطق بها الرأس الشريف قد تكرر بعضها في موارد مختلفة ليكون مجموعها ست آيات، اثنان منها في سورة الكهف وتقعان في سياق واحد، فيكون تفسيرهما في مبحث واحد، يُضاف إليه مبحثان، يختصّ أحدهما بالآية الأُخرى، والآخر يتعلّق ببقيّة الآيات المتناسبة في موضوعها وهي ثلاثة.

إذاً؛ المباحث الثلاثة الآتية تتعلّق بتفسير خمس آيات مباركة كلٌّ حسب موضوعها، سأتناول مضمونها وهي كما يلي:

الآية الأُولى

ورد تكلّم الرأس الشريف في خبر زيد بن أرقم رضي الله عنه أنّه قال: «**مُرَّ به** [أي: رأس الحسين عليه السلام] **عليَّ، وهو على رمح، وأنا في غرفة، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ فقفّ والله شعري، ونوديت: رأسك والله يابن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب**»[2].

وفي السياق نفسه ورد نطق الرأس الشريف بآية من السورة نفسها، وتقع في سياقها، كما جاء في خبر أبي مخنف عن الشعبي: «**أنّه صُلِبَ رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في الكوفة، فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، فلم يزدهم ذلك إلّا ضلالاً**»[3]. والغريب أنّ الرأس الشريف قد

(١) المصدر السابق: ص٢٠١ـ٢١٧.

(٢) المرعشي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحقّ: ج١١، ص٤٥٢، نقلاً عن مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ص١٤٥. وأيضاً: ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، الثاقب في المناقب: ص٣٣٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢١٨.

تكلّم في مكان عامّ مزدحم، يسمعه كلّ مَن حضر من الناس، ومع أنّه قد أثار الانتباه من خلال التنحنح ونطقه بالآية، إلّا أنّه لم يؤثّر فيهم شيئاً، وهذا يُفيد أنّ أغلب الناس وقتها كانوا ممّن قست قلوبهم، كما هو الحال في زمن النبيّ يحيى عليه السلام، لقول الراوي: «**فلم يزدهم ذلك إلّا ضلالاً**».

إذاً، سيكون محور السنّة الإلهيّة في هذا السياق القرآني من قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[2].

الآية الثانية

في رواية ابن عساكر بسند متّصل عن سلمة بن كهيل، قال: «**رأيت رأس الحسين عليه السلام على القنا، وهو يقول:** ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾»[3].

والمقطع ذيل آية كريمة لا بدّ من تدبّرها كاملة، فيكون محور السنّة الإلهيّة في الآية الثانية هو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

الآية الثالثة

روى الشيخ البحراني مرسلاً: «**أنّ عبيد الله بن زياد (لعنه الله) بعد ما عُرِض عليه رأس الحسين عليه السلام، دعا بخولي بن يزيد الأصبحي (لعنه الله)، وقال له: خذ هذا الرأس حتّى أسألك عنه. فقال: سمعاً وطاعة. فأخذ الرأس وانطلق به إلى منزله... فخرجت امرأته في الليل، فرأت نوراً ساطعاً من الرأس إلى عنان السماء، فجاءت إلى الإجانة**

(١) الكهف: آية٩.
(٢) الكهف: آية١٣.
(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٢، ص١١٧.
(٤) البقرة: آية١٣٧.

فسمعت أنيناً، وهو يقرأ إلى طلوع الفجر، وكان آخر ما قرأ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾»[1].

والمقطع ذيل آية كريمة ستكون محوراً للسنّة الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

الآية الرابعة

ما رواه سهل بن سعيد الشهرزوري (سهل الساعدي)، عندما رأى السبايا تدخل من باب الساعة في الشام: «**وقلت: واحزناه، للأبدان السليبة النازحة عن الأوطان، المدفونة بلا أكفان، واحزناه، على الخدّ التريب والشيب الخضيب، يا رسول الله، ليت عينيك ترى رأس الحسين في دمشق يُطاف به في الأسواق، وبناتك مشهورات على النياق مشققات الذيول والأزياق، ينظر إليهم شرار الفسَّاق، أين علي بن أبي طالب يراكم على هذا الحال؟... وكان معي رفيق نصراني يريد بيت المقدس، وهو متقلّد سيفاً تحت ثيابه، فكشف الله عن بصره، فسمع رأس الحسين وهو يقرأ القرآن ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾... فقد أدركته السعادة، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. ثمّ انتضى سيفه وشدَّ به على القوم، وهو يبكي وجعل يضرب فيهم، فقتل منهم جماعة كثيرة، ثمَّ تكاثروا عليه فقتلوه**»[3].

ومع تكملة الآية المباركة سيكون محور السنّة الإلهيّة هو من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[4].

(١) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز (معاجز آل البيت): ج٤، ص١٢٤.
(٢) الشعراء: آية٢٢٧.
(٣) الطريحي، فخر الدين، المنتخب: ص٢٨٢.
(٤) إبراهيم: آية٤٢.

الآية الخامسة

رواية بسند متّصل، عن الحارث بن وكيدة، قال: «**كنت فيمَن حمل رأس الحسين عليه السلام، فسمعته يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشكّ في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: يابن وكيدة، أَما علمت أنّا معشر الأئمّة أحياء عند ربّنا نُرزق؟! قال: فقلت في نفسي: أسرقُ رأسه؟ فنادى: يابن وكيدة، ليس لك إلى ذلك سبيل! سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييرهم رأسي، فذرهم فسوف يعلمون** ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾»[1].

والآية متّصلة سياقاً بما قبلها من آية كريمة، ليكون محور السنّة الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[2].

المبحث الثاني: سُنّة الهداية التشريعيّة والتكامل

من قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[3].

إنّ القانون الإلهي يقضي بهداية المؤمنين وزيادة تكاملهم الروحي؛ لأنّه وعد الله الحقّ الذي لا يُخلفه، وقد تكفّل بحفظ دين التوحيد بإنماء المؤمنين ـ كمّاً ونوعاً ـ ومباركة جهودهم، فكما حفظ أصحاب الكهف مئات السنين، وهداهم السبيل القويم بعد أن فرّوا بدينهم تاركين زينة الحياة إلى كهف ناءٍ، فقد رجعوا إلى الحياة

(١) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص٧٨.
(٢) غافر: آية ٧٠ـ٧٢.
(٣) الكهف: آية ٩، ١٣.

وتحققت أُمنيتهم في رؤية حكم أهل التوحيد والإيمان[1]. إنّ قدرة الله تعالى المطلقة كفيلة في تحقق وعده سبحانه، ولو من خلال الرجعة إلى الحياة الدنيا بعد الموت كما أشار الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**وقد رجع إلى الدنيا ممَّن مات خلقٌ كثير، منهم أصحاب الكهف، أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث؛ ليقطع حجتهم وليريهم قدرته؛ وليعلموا أنّ البعث حق**»[2].

وهكذا كان أمر الإمام الحسين عليه السلام أعجب من أمر أصحاب الكهف، فبعد القتل الفعلي وقطع رأسه الشريف ظلّ يتكلّم وينطق بذكر الله تعالى؛ تمهيداً لإنجاز وعده بالنصر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3]، وهذا القانون الإلهي ما هو إلاّ سنّة قائمة لا تبديل فيها ولا تغيير إلى يوم القيامة، «**فما آية أصحاب الكهف ببدع عجيب من بين الآيات، بل هي متكرّرة جارية ما جرت الأيّام والليالي على الإنسان**»[4].

يظهر من النصوص الشرعيّة أهمّية الهداية وضرورتها في التمهيد لاستحقاق التأييد الإلهي، وأنّ النصر يترتب ترتباً عِليّاً على الإيمان بالله تعالى والتوكل عليه، بيقينٍ راسخٍ يربط القلب بشدةٍ تمنع من التزلزل والشك، فإذا وضع الإنسان خطواته في طريق الله ونهض لأجله، فإنّ الإمداد الإلهي سيشمله ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، وما على المؤمن إلّا أن ينتظر تحقق وعد ربّه بلطفه ورحمته، فعندما يجاهد الإنسان من أجل إعلاء كلمة الله، فإنّ الله يهديه إلى طريق الحقّ لا محالة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5]، فوعد الله تعالى حقٌّ في تأييد عباده ونصرتهم في

(١) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج٦، ص٣١٥.
(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٨٨.
(٣) الأنبياء: آية١٠٥.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٣، ص١٤٥.
(٥) العنكبوت: آية٦٩.

مواجهة المصاعب وعبور العقبات[1]. وهذا التأييد معلول للإيمان ومترتب عليه بنظام العليّة، «**أنّ ما أكرمهم الله به من العناية إنّما كان تأييداً لهم لأجل إيمانهم**»[2].

من خلال ما تقدّم يظهر جليّاً أنّ العناية الإلهيّة لا تقتصر على تأييد المؤمن في حال حياته، وحفظ بدنه حال وجوده في دار الدنيا، بل تتسع وتمتد في رفدها للأولياء إلى ما بعد الدنيا وإن كانت أجسادهم بلا روح أو كانت مغيّبة عن الأنظار، فتصير أبدانهم محلاً للبركات، ومركزاً للهبات، وآية عظمى تبهر العقول وتجذب النفوس؛ ميلاً للتقوى، ويقيناً بوعد الله تعالى بعاقبة النصر والتمكين في الأرض، فالدروس والعبر من قصّة أهل الكهف تذكّر المؤمن بحقيقة «**أنّ الأئمّة**عليهم السلام **يمثّلون الرعاية الإلهية لإنسانية الإنسان، من خلال الاعتراف بواقعية وجوده المادي، ثمّ الانطلاق بهذا الواقع بالذات، والسمو به إلى المطلق، إلى رحاب الله سبحانه، من خلال الإمداد الغيبي، حيث يكون ذلك ضرورياً، وإكرامه بالكرامات الظاهرة، واكتنافه بالألطاف الإلهية الخفية اللا محدودة**»[3].

فهنا ينقضي العجب من صنيع الله تعالى بأصحاب الكهف بعد الجواب عن السؤال المجازي: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾؟! والمعنى المراد كما يُنقل عن ابن إسحاق: «**قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك**»[4]. ولقد أنجز الله سبحانه وعده لأصحاب الكهف أن أراهم دولة التوحيد وزوال دولة الشرك بعد رقدتهم الأُولى، ولكنّ هذه الدولة لم تكن مكتملة المعالم وغير سالمة من شوائب الشرك والظلم (غير معصومة القيادة)؛ لذا صاروا إلى رقدتهم الثانية حتّى آخر الزمان؛ إذ كتب الله تعالى لهم أن يستيقظوا

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٩، ص٢١٢ـ٢١٣.
(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ج١٥، ص٢٦٥.
(٣) العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: ج١، ص٢٤.
(٤) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبويّة: ج١، ص١٩٨.

في دولة الإمام المهدي عليه السلام، فيجدوا العدل المطلق والتوحيد الخالص، ويعيشوا في حياةٍ إسلاميّة ناصعة[1]، وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «**أصحاب الكهف أعوان المهدي**»[2]. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لهم الحظوة أيضاً من باب أوْلى بنصرته عجل الله فرجه، ومَن شايعه وبايعه في حياته وبعد شهادته، اعترافاً منهم بحقّ ولايته، وإيماناً بصدق دعوته، وفوزاً بوعد الله تعالى أن يملأ بهم الأرض قسطاً وعدلاً.

إنّ نطق الرأس الشريف بهذه الآيات المباركة يدلُّ على استمرار منهج الإصلاح الحسيني في هداية الناس إلى سبيل الإسلام المحمدي الأصيل، وهذا ما أكّدته العقيلة في جوابها لابن زياد حين سألها شامتاً عن صنع الله تعالى في قتل الإمام الحسين عليه السلام، فقالت: «**ما رأيت إلّا جميلاً...**»[3]، أي: إنّ هذه الدماء الزكيّة ستهز عروش الظالمين، وتُحيي قلوب المؤمنين بالهداية، ثمّ أضافت صرخةً أُخرى دوّت قصر الطاغية يزيد بقولها عليها السلام: «**فو الله ما فريت إلّا جلدك، ولا حززت إلّا لحمك...** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾»[4].

وخلاصة القول: إنّ نطق الرأس الشريف بآيات من سورة الكهف يُذكّر الناس أنّ تضحية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته تشبه ثورة أصحاب الكهف، بل هي أعجب، فحين أراد الكفار بهم سوءاً حتّى يكونوا عبرةً لـمَن يجرأُ على تحدّي سلطتهم، تركوا الدنيا وملاذها واعتزلوها إلى عبادة ربّهم، وفي نفوسهم أُمنية رؤية الناس على دين التوحيد والعدل، وزوال دولة الشرك والظلم، فظنّ الكافرون انتصارهم وبلوغ مرادهم، ولكنّ أمر الله غالبٌ بسُنّتِهِ ومنجزٌ لوعد المؤمنين، فأهلك الله سبحانه

(١) أُنظر: ابن جبر، زين الدين علي، نهج الإيمان: ص٢١٥ ـ ٢١٦.
(٢) الأندمشكي، محمد الصالحي، القرآن وفضائل أهل البيت عليهم السلام: ص٢٩٣.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠ـ١١.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٥.

الظالمين وأعاد الحياة لأوليائه؛ ليحقّق أُمنيتهم ويزيد من يقينهم كمالاً لهدايتهم وتثبيتاً لحقيقة المعاد وأنّه تعالى لا يُخلف الميعاد.

إنّ سُنّة الله تعالى جرت مصاديقها أيضاً في هداية الأُمّة الإسلاميّة وتكاملها بعد واقعة الطف، فكانت منعطفاً كبيراً كشف وجه الزيف الأُموي وأبدلته بالوجه الإسلامي الأصيل، وهذا الوعي لدى الأُمّة هو الأساس في هداية أبنائها وسرّ تكاملهم، وحقّاً ما قيل فيها: إنّ الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.

المبحث الثالث: سُنّة التأييد والنصرة للمؤمنين

قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

ومعنى الآية المباركة يدلُّ على أنّ طريق الحقّ واحد وسبيله مستقيم بالدين الإسلامي القويم، فمَن آمن به وصدّق بنبيّ الإسلام وأوصيائه، فقد سلك طريق الحقّ المفضي إلى دار السلام، وفي الآية المباركة تحذير لـمَن يتخذ غير هذا السبيل الأوحد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]، فكل دين لا يمثّل الإسلام الحقيقي هو دين ضلال وباطل اتّباعه، ومَن رفض سبيل الحقّ عناداً فقد سلك طريق الضلال، وصار في شقٍّ آخر مناوئ للمؤمنين ومعادٍ للدين القويم، ظانّاً أنّ هذا العداء سيُلحِق بالمؤمنين المصاعب والأذى حتّى يتركوا دينهم أو أن يُقتلوا ـ إمّا السلّة أو الذلّة ـ فيأتي هنا المدد الإلهي بالكفاية والحفظ من شرِّ الأعداء عند الإخلاص والثبات[3].

---

(١) البقرة: آية١٣٧.

(٢) آل عمران: آية٨٥.

(٣) أُنظر: الكاشاني، الملا فتح الله، زبدة التفاسير: ج١، ص٢٤٨ـ٢٥٠. وأيضاً: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١، ص٤٠٦ـ٤٠٨.

مهما تكن هذه الحرب مؤلمة للمؤمنين وشديدة عليهم، بما في ذلك القتل في سبيل الله تعالى، ما يُصيبهم من نوائب، فإنّ الوعد الإلهي لا يُخلف ولا يتخلّف في ضمان حفظ هذا الدين وتأييد أنصاره[1]، ومثلما أصاب المؤمنين فإنّه ينزل على الكافرين من المصاعب والنوائب نكالاً بهم وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2]. فأمل المؤمنين بوعد الله تعالى كبير، وهو ذخرهم، وبلسم جراحهم، وسرّ حفظهم وغلبتهم وإن طال الزمان بهم، فمَن استُشهد منهم فهو في روح وريحان حيث جنّات النعيم، وفي مقابل ذلك مَن قُتِلَ من الكافرين فهو في عذاب جهنّم، ومَن بقيَ منهم ينتظر العذاب الأُخروي وله في الدنيا خزي وعذاب كبير وإن حكم أغلب أرجاء المعمورة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[3]، وكلّما ازدادت المؤامرات على هذا الدين وأهله ازداد الدعم الإلهي بالحفظ لهم والتنكيل بعدوهم ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[4].

والمستفاد من كل ما تقدّم أنّ الظفر الحقيقي هو دار الخلود لا دار الفناء، وقد تكفّل المولى سبحانه بسعادة أوليائه في الآخرة ونصرتهم بحفظ دينه إلى يوم القيامة، فـ«**قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وعد لرسول الله بالنصرة عليهم، وقد أنجز وعده وسيتم هذه النعمة للأُمّة الإسلامية إذا شاء**»[5].

ومن هذا المنطلق رفع الإمام الحسين عليه السلام شعار رسالته بقوله: «**أمّا بعدُ، فإنّه مَن**

(١) أُنظر: الحائري، مير سيّد علي، تفسير مقتنيات الدرر: ج١، ص٣٢١.
(٢) النساء: آية١٠٤.
(٣) آل عمران: آية١٩٦ـ١٩٧.
(٤) المائدة: آية٦٤.
(٥) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١، ص٣١٢.

لحق بي منكم استُشهد، ومَن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح، والسلام»[1]، فقد قرن عليه السلام بين شهادته والفتح في سياق شعار ثورته المباركة، فلا يمكن معها أن نحمل معنى الفتح على النصر العسكري، بل لا بدّ من حمله على النصر المعنوي والأُخروي، وما يؤيده قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[2]، فاليوم الذي لا ينفع فيه الإيمان ولا العمل هو يوم القيامة لا محالة دون أيّام الدنيا، وأنّ هذا الفتح هو الذي سيزيل جميع العقبات التي وضعها أعداء الدين والإنسانية في طريق الحقّ؛ لأنّ جذوة نار شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره قد توقّدت في قلوب المؤمنين، ولن تنطفئ حتّى يتحقق أمل المستضعفين في إقامة دين الإسلام على وجه الأرض[3].

إنّ عصارة ما ينفع المتدبّر في هذه الآية المباركة التي نزلت تنكيلاً بالتعصّب الأعمى والإصرار على الباطل، هي أنّ سرّ نزولها «**لتؤكّد على انحراف هؤلاء وأنّهم في شقاق، ثمّ تُثبت الآية على قلوب المؤمنين وتبعث فيهم الثقة والطمأنينة بالقول: فسيكفيكهم الله، وهو السميع لأقوالهم، العليم بمؤامراتهم**»[4]. والتي تؤكّد للمؤمن حقيقة أنّ السنّة الإلهية لا تتخلّف، كما أنّها لا تختلف عبر الأزمان، وأنّ وعد الله حقّ في تثبيت المؤمنين وكفايتهم شرَّ الأعداء مع كثرتهم وفي ظلّ ولايتهم[5]. وتلك سنّة ثابتة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[6]، وينصر

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٨.
(٢) السجدة: آية٢٨ ـ ٣٠.
(٣) أُنظر: الربيعي، جميل، الفتح الحسيني: ص١ـ٢، مقال في موقع الصراط.
(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١، ص٣٩٤.
(٥) أُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج١، ص٧٤١.
(٦) غافر: آية٥١.

الله تعالى مَن آمن بالرسل وأوصيائهم ـ في حضورهم أو غيبتهم ـ ما داموا متآزرين على نصرة الدين الحنيف، وهو وعد مشروط بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، والشرط عدم بعدم شرطه، والأمر متعلّق بتوافر الشروط اللازمة في القاعدة الجماهيرية المؤمنة.

إنّ سنّة التأييد بالحفظ والكفاية من شرّ الأعداء، يجدها المتتبع حاضرةً في وصايا الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً ما أكّده عليه السلام في وداعه الأخير لعياله بقوله: «**استعدوا للبلاء، واعلموا أنّ الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسيُنجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويُعذّب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة**»[2]، فالإمام الحسين عليه السلام كما كان على يقينٍ من شهادته مع أهل بيته وأصحابه، فقد كان على يقينٍ من انتصار حركته المباركة في آجل الأيّام ومستقبل الأعوام؛ إذ يستجيب الله تعالى له دعاءه: «**اللهمّ، إن حبست عنّا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا**»[3]، وأنّ الدماء الطاهرة لن تذهب سدى، بل تروي شجرة الإسلام الأصيل لتثمر جيلاً واعياً يحقّق الله تعالى بهم وعده بتأييد نصرتهم على عدوهم وكفاية أمرهم.

وخلاصة القول: إنّ نطق الرأس الشريف بآية الكفاية يدلّ على اتّكال الإمام الحسين عليه السلام على السنّة الإلهية القاضية بنصرة حركته المباركة، وحفظ سلالة النبوّة والدين الإسلامي بعد شهادته، وأنّ النصر الحقيقي إنّما يأتي بالتضحيّة والفداء؛ لأجل إحياء كلمة التوحيد. هذه الآية المباركة تُعتبر مستند المؤمنين ومصدر ثباتهم في مواجهة الكافرين مع قلّة العدّة والعدد.

---

(١) محمد: آية٧.

(٢) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج٢، ص١٣ـ١٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٧.

المبحث الرابع: سنّة اللّه في الانتقام من الظالمين (تنبيه وتسلية)

الآية الأُولى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

إنّ الآية المباركة فيها تهويل عبر تحذير الظالمين من عاقبة غصب الحقوق وانتهاك الحرمات، وترك بيان شكل العاقبة مهملاً. إنّ التذكير بسنّة الله تعالى في الظالمين من قبلُ، وإخفاء بيان جنس العقاب، كان لإثارة قلق السامعين للوعيد، ويشمل الوعيد مطلق الظالمين الذين تسببوا بأذى المؤمنين، سواء بأقوالهم أم بأفعالهم العدوانية[2]. إنّ إحالة إدراك السامع بخفاء سوء عاقبته وحاله المستقبلي إلى مجهول غامض في حدوده، له دلالة بلاغيّة، وقد جاء في صياغة أدبيّة بديعة جمعت بين الاستقبال ووقوع المحذور لا محالة، وهو ما فيه من «**تهديد شديد بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأمّلين، ولا أصدع لأكباد المتدبّرين، وذلك لما في ﴿وَسَيَعۡلَمُ﴾ من الوعيد البليغ، وفي ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الإطلاق والتعميم، وفي ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ من الإبهام والتهويل**»[3]، وسرُّ حذف العاقبة يكشف عن فخامة أمرها، «**لا يحيط به أفهام الناس؛ لاشتماله من الأسرار الإلهية على ما لا يطيقونه، وإنّما تسع عقولهم ما ذكر من غاياته وهو الإنذار؛ والعلم بوحدانيته تعالى، والتذكر، فهم ينذرون بما ذكر فيها من مؤاخذته تعالى الظالمين عاجلاً وآجلاً، وتتم عليهم الحجّة بما ذكر فيها من آيات التوحيد، ويتذكر المؤمنون منهم خاصّة بما فيها من المعارف الإلهية**»[4].

إنّ هذا المنقلب وتلك العاقبة غير منحصرة بيوم القيامة، ولا مقيّدة بساحة الحساب، بل هي مطلقة في إشارتها إلى جميع ما لحق بالكافرين من هزائم في المعارك

(١) الشعراء: آية٢٢٧.
(٢) أُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج١٩، ص٢١٣ـ٢١٤.
(٣) الكاشاني، الملا فتح الله، زبدة التفاسير: ج٥، ص٦٨.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٢، ص٩٠.

الحربيّة والكلاميّة، وما تعرّضوا له من مخازٍ وذلّة على أيدي المؤمنين، بالإضافة إلى ما سيصيبهم من عذاب يوم القيامة[1]. وما يعضده الكثير من الخطاب القرآني المبين كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، وكما فصّله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام تأويل هذه الآيات المباركة جرياً وانطباقاً على مَن ظلم أهل بيت النبوّة وغصب حقّهم الذي حباهم الله تعالى به[4]، ويجري هذا الأمر بحسب القاعدة على كل مَن ظلم شيعة أهل البيت عليهم السلام وعاداهم إلى يوم القيامة.

وممّا تقدّم يستشعر المتأمل سرّ نطق الرأس الشريف بهذه الآية المباركة، وما فيها من دلالات وعِبر كثيرة، فقد حذّر الإمام الحسين عليه السلام هؤلاء الظلمة من سوء العاقبة، والدواهي التي تنتظرهم في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وفعلاً قد خسر هؤلاء القتلة الدنيا التي باعوا دينهم لأجلها، ثمّ أصابهم الخزي والعار جرّاء ما ارتكبوه من أبشع جريمة بحقّ أهل بيت النبوّة عليهم السلام، وما هي إلّا سنين معدودة عاشوها حتّى أدركهم القصاص قتلاً وتنكيلاً على أيدي المؤمنين في ثورة التوّابين وثورة المختار، ولعذاب الآخرة أشدُّ عقوبةً، ولهم فيها السوء والعذاب الأليم، وهذه الآثار هي نتائج حتميّة وفقاً لسنّة الله تعالى في الظالمين، واستجابة حتميّة لدعاء المظلومين، كما ورد على لسان السيّدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد قائلة: «**اللّهمّ خُذْ لنا بحقّنا، وانتَقِمْ ممَّن ظَلَمَنا، وأحلِلْ غضبَك بمَن سفك دماءنا وقتَلَ حُماتَنا... وحَسْبُك بالله حاكماً، وبمحمّدٍ** صلى الله عليه وآله

(١) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١١، ص٤٨٥.
(٢) السجدة: آية٢١.
(٣) البقرة: آية١١٤.
(٤) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٢، ص١١٣.

خَصيماً، وبجبرئيل ظَهيراً، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً... ولئن اتّخَذْتَنا مَغْنَماً، لَتجِدَنّا وشيكاً مَغْرماً، حين لا تجدُ إلّا ما قدَّمْتَ يداك، وما ربُّكَ بظَلّامٍ للعبيد... وهل رأيك إلّا فَنَد، وأيّامك إلّا عَدَد، وجمعك إلّا بَدَد، يوم ينادي المنادي: أَلا لَعنةُ الله على الظالمين»[1].

لقد كانت هذه الصرخة إعلان انتصار الحقّ على الباطل، وانتصاف المظلوم من الظالم، وهي كلمة عظيمة عند الله تعالى حتّى صارت امتداداً للجهاد الحسيني المبارك.

الآية الثانية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2].

هنا خطابٌ إلهيّ فيه تذكير للمؤمنين وتسلية بوعد الله تعالى وسنّته القاضية بالاقتصاص من الظالمين ولو بعد حين، ومن خلال نهي أفراد الأُمّة المظلومة بمجرد ظنّهم بالله تعالى السهو أو الإهمال من إنجاز ذلك الوعد المحتوم[3]، وقد جاء هذا الخطاب الكريم «**لتأكيد الحجّة، قال:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، **وفي هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم، ومعناه: ولا تظنّن الله ساهياً عن مجازاة الظالمين على أعمالهم. وقيل: إنّ تقديره: ولا تحسبنّ الله لا يعاقب الظالمين على أفعالهم، ولا ينتصف للمظلومين منهم**»[4].

وفي هذا البيان دفع توهّم ضعاف الإيمان، الحاصل من ازدياد قوة أهل الباطل ورفاهيتهم بالرغم من ظلمهم لأهل الإسلام، فلربما يتوهّم بعضٌ أنّ لو كان الإسلام حقّاً من عند الله تعالى لما أمهل الله تعالى الكافرين، ولماذا لا يعجّل عقوبتهم؟ أهو في غفلة عنهم؟ أم هو مخلف وعده رسله بالنصر؟[5] فيجيب المولى سبحانه على

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٨١ـ١٨٢.
(٢) إبراهيم: آية٤٢.
(٣) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٦، ص٣٠٢.
(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٦، ص٨٨.
(٥) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٢، ص٨٠.

ذلك من أنّه تعالى ليس غافلاً عنهم أبداً؛ «**لأنّ عدم عقابهم مباشرة هو أنّ هذا العالم محلّ الامتحان والاختبار وتربية الناس، وهذا لا يتم إلّا في ظلّ الحرية، وسوف يأتي يوم حسابهم، إنّما يؤخّرهم ليوم القيامة**»[1].

إنّ أنواع الظلم المشار إلى قبحها في الآية المباركة يتخذ مستويات عدّة، منها: الشرك، والكفر بالله تعالى، والاعتداء على حقوق الآخرين ـ ماديّاً أو معنويّاً ـ قليلاً كان أم كثيراً، ويتأكد القبح إن كان المظلوم ضعيفاً أو قاصراً، ويشترك في الظلم مَن أعان ظالماً أو سكت عنه مع قدرته على الردّ عليه أو التشهير به[2].

بعد هذا البيان للآية المباركة ينكشف للمتدبّر روعة استشهاد الرأس الشريف بهذه الآية لما فيها من دروس وعبر جليلة، فالسامع للرأس الشريف ـ سابقاً ومستقبلاً ـ إمّا أن يكون مؤمناً فتنفع في تسليته وتثبيته، وإمّا أن يكون ظالماً أو عوناً للظالمين فتعمل على تهديده وتنبيهه لسوء عاقبته، وتُذكّر الناس أنّ وعد الله حقّ لا ريب فيه، وحقيقة ذلك الحقّ ودليله هو أعجوبة نطق الرأس الشريف بتلك الآية المباركة، فتلك كرامة عظيمة يندهش لها القاصي والداني.

ومن آيات غضب الله تعالى العاجل على قتلة الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا، هو التأثّر الكوني العظيم لهول مصاب أبي الأحرار تمهيداً للانتقام من الظالمين، وقد أشارت السيّدة زينب عليها السلام إليه في الكوفة أمام الناس بقولها: «**أتدرون ـ ويلكم ـ أيّ كبدٍ لمحمّد صلى الله عليه وآله فرثتم؟! وأيّ عهدٍ نكثتم؟! وأيّ كريمةٍ له أبرزتم؟! وأيّ حرمةٍ له هتكتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾... أفعجبتم أن تمطر السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون**»[3].

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧، ص٥٤٣.
(٢) أُنظر: مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ج٤، ص٤٥٤.
(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣١.

الآية الثالثة: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[1].

إنّ السنّة الإلهية في عباده قائمة على نظام العليّة، فأعمال العباد في الدنيا تخطُّ مستقبلها الواقع لا محالة بحبر مواقفها وعقائدها، فمَن تجرد عن أغلال الجهل والظلم في الحياة الدنيا، وتخلّى عن ربقة سلاسل الكذب والافتراء، فقد تحرّر من ربق المعاصي وآثارها الوخيمة، وكان مرضياً عند خالقه كما مدحه الله تعالى في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]، ويناسبه قول الشاعر المتنبي:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفّة فلعلّة لا يظلم[3]

وهذه الثلّة من المؤمنين التي ذكرتها الآية هم الذين وُضع عنهم ـ أي: أزالوا عن أنفسهم وبكامل إرادتهم ـ تلك الأغلال والقيود التي كانت عليهم في حياتهم الدنيا، فطاروا بأنفسهم إلى جنّة المأوى بعد عبورهم عقبات جهنّم، وأمّا مَن أوثق نفسه بقيود الجهل والعناد، وجادل بحقيقة النبوّة والبعث، وكذّب بما هو حقّ، فإنّ وعيد الله تعالى ناجزٌ بحقّه، حيث يجد نفسه في الآخرة مغلولاً في عنقه بما كذّب، ومسحوباً بسلاسل مرائه وتحدّيه[4].

فالذين رفضوا أن يؤمنوا بالمعاد، ويُصدّقوا بالحساب في الآخرة هم في جهنّم،

(١) غافر: آية ٧٠ـ٧٢.
(٢) الأعراف: آية ١٥٧.
(٣) ابن سِيدَه، علي بن إسماعيل، شرح المشكل من شعر المتنبي: ج١، ص٤٥.
(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج٢٤، ص٢٠١ـ٢٠٢.

وأنّهم سوف يُطوَّقون بجميع أنواع أهوائهم وأعمالهم السيئة التي طوَّقوا أنفسهم بها سابقاً في حياتهم الدنيا، وأنّ الأغلال التي جعلها الله في أعناقهم في الآخرة هي جزاؤهم بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا، تلك الأعمال هي الأغلال التي وضعوها بأنفسهم على أنفسهم في أعناقهم، وتطوّقوا بها بكامل إرادتهم عندما كانوا يعيشون حياتهم، وهذا يعني ـ وفقاً لنظريّة تجسّم الأعمال ـ أنّ أعمالهم السيئة في هذه الأرض هي أغلالهم التي سوف يُطوّقون بها، فيُحاسبون بها وعليها في الآخرة؛ لأنّهم رفضوا أن يؤمنوا بما هو حقٌّ فيتحرّروا منها، وهو ما سيعلمه غداً الظالمون، «﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ **تفريع على مجادلتهم وتكذيبهم وتهديد لهم، أي: سوف يعلمون حقيقة مجادلتهم في آيات الله وتكذيبهم بالكتاب وبالرسل**»[1].

إنّ التأييد الغيبي لثورة الإمام الحسين عليه السلام هو أحد أسرار خلود تلك الفاجعة الأليمة، وقد أنبأ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عن حال مَن قاتل هذا السبط الشهيد بقوله: «**ولدي الحسين يُقتل ظلماً وعدواناً، أَلا ومَن قتله يدخل في تابوت من نار، ويعذَّب بعذاب نصفِ أهل النار، وقد غُلّت يداه ورجلاه، وله رائحة يتعوّذ أهل النار منها، هو ومَن شايع وبايع أو رضي بذلك، كُلَّما نضجت جلودهم بُدِّلوا بجلود غيرها ليذوقوا العذاب، لا يفتر عنهم ساعة، ويُسقون من حميم جهنّم، فالويل لهم من عذاب جهنّم**»[2].

وفي رواية أُخرى تصف القاتل أنّه خفيف الميزان، في إشارة إلى مدلول الآية المباركة: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[3]، وقد حذّر الإمام الحسين عليه السلام أعداءه يوم العاشر ـ رأفة بهم وإشفاقاً ـ من ارتكاب حماقة تُفضي بهم إلى نار جهنّم وبئس المصير، وذكّرهم برسائلهم ووعودهم بنصرته والانقياد لأوامره، وأنّ الكذب والنكث للعهد عاقبته سيّئة، فقال لهم عليه السلام: «**تباً لكم**

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٧، ص٣٥٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٢١.
(٣) المؤمنون: آية١٠٣.

أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، شحذتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوكم وعدونا فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم... فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا، تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن... لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون»[1].

إنّ الحجّة البالغة على أعداء الإمام الحسين عليه السلام والموعظة لهم فيها أحسن الدروس والعبر، ولكن قست القلوب ورانت بذنوب لم يتداركوا التوبة منها والأوبة إلى بارئهم عزّ وجلّ، فلقد تعدّدت سبل توجيه المواعظ والإرشادات عند الإمام الحسين عليه السلام، فلم تقتصر على مخاطبة الآخرين من خلال مخاطبة الذات؛ إذ نجده أحياناً يُخاطب العدو بصورةٍ مباشرة، وأحياناً يخاطب الأجيال عبر كراماته؛ لتتحقق الأهداف المرجوّة من هذه المواعظ، فقد يحمل الخطاب معنى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو ربّما يكون الغرض منه إلقاء الحجّة على المتلقّي الذي استبدّ به العناد والتعنّت والغي، فهذا الرأس الشريف ينطق صارخاً بآية مباركة تُحذر كل مَن سوّلت له نفسه ظلم المؤمنين واغتصاب حقوقهم فضلاً عن قتلهم وسبي عيالهم؛ إذ يعرض الرأس الشريف لهم صورة من صور العذاب الأُخروي ترهيباً لهم وردعاً لانتهاكهم الحرمات وتماديهم في الغيّ، فالأسلوب الإصلاحي يقتضي استثمار كلّ ما يُرهب النفس ويردعها عن ارتكاب المعاصي والآثام.

وخلاصة القول: لقد انطلق منطق الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام في هذه الآية المباركة من حقيقة راسخة مفادها: أنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر إذا ما أُدّيت على أُصولها ستصلح شؤون الأُمّة كلّها ويتحقق الأمن المجتمعي، فيُنتصر للمظلوم ويُردع الظالم. لقد تصدّى الإمام الحسين عليه السلام ـ حيّاً وشهيداً ـ إلى هذه

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين: ص٣١٨ـ ٣١٩.

المسؤولية الشرعيّة بصورة جليّة، إذ تجسّدت على أرض الواقع بالقول والفعل، ولم تكن الغاية من تبنّي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين عليه السلام إلّا الإصلاح، وإقامة العدل، ونصرة المظلوم من خلال الترهيب من عذاب الآخرة.

النتائج

١ـ الآيات التي نطق بها الرأس الشريف تضمّنت نحوين من السنن الإلهيّة، هما:

الأول: ترغيبي ـ لـمَن آمن والتزم التقوى ـ متمثّلاً بسنن الهداية والتكامل والتأييد الإلهي والوعد بحسن العاقبة.

الثاني: ترهيبي ـ لـمَن كفر وعاند في الغيّ والضلال ـ متمثّلاً بسنن الانتقام الإلهي والوعيد بالعذاب وسوء العاقبة.

٢ـ إنّ السنّة الإلهيّة تجري بصورة مطّردة على جميع المؤمنين كلٌّ بحسب درجته في الهداية، وتكامل معرفته في سُلّم الكمالات الروحيّة.

٣ـ إنّ الوعد الإلهي لعباده المؤمنين، والتسلية لهم في حفظ كيانهم، والمبدأ الذي ساروا عليه نافذ ومتحقّق لا محالة وإن طال بهم العهد.

٤ـ تكثيف الوعيد الإلهي للظالمين يحمل رسائل تنبيه وتحذير، فإن أصرّوا على كفرهم وإجرامهم فإنّ عقوبتهم الذلّ والخزي في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

٥ـ إنّ الترهيب في السنن الإلهيّة يخاطب النفوس الراغبة في الخلود الأبدي، وهو أُمنية كل إنسان في حبّه للبقاء منعماً، فجاء الترهيب منصباً على هذه الغريزة على أن يتجنب الإنسان ما يُثير سخط ربّه، ويتودد إليه بما يحبّه ويرغب في امتثاله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة على خير خلقه وآله المعصومين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الشريف الرضي، شريعت، الطبعة الأُولى، ١٣٨٠هـ.

٢ـ الإلهيّات جعفر السبحاني، تقرير: حسن محمد مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٣ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة أهل البيت عليهم السلام.

٤ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، طبعة بيروت، ١٤١٥هـ.

٦ـ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٧ـ ترجمة الإمام الحسين، علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.ق.

٨ـ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٩ـ تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

١٠ـ الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة.

١١ـ التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٢ـ تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.

١٣ـ تفسير مقتنيات الدرر، مير سيّد علي الحائري، طبعة طهران، ١٣٣٧هـ.ش.
١٤ـ الثاقب في المناقب، عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي، تحقيق: نبيل رضا، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، الطبعة الثانية،١٤١٢هـ.
١٥ـ دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي الصغير، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.
١٦ـ زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، مؤسسة المعارف، إيران ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.
١٧ـ السيرة النبويّة، عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة القاهرة، ١٣٨٣هـ.
١٨ـ شرح إحقاق الحقّ، شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: إبراهيم الميانجي.
١٩ـ شرح المشكل من شعر المتنبي، علي بن إسماعيل بن سِيدَه.
٢٠ـ الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي، مكتب التبليغ الاسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ.
٢١ـ علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي، أبو اليسر رشيد كُهُوس، تقديم: قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، مركز جمعية الماجد القافية، الرباط، الطبعة الأُولى، ١٤٣٦هـ.
٢٢ـ القرآن وفضائل أهل البيت عليهم السلام، محمد الصالحي الاندمشكي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤٢٥هـ.
٢٣ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، طبعة بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٤ـ اللهوف في قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن طاووس، الطبعة الأُولى، قم المقدّسة،١٤١٧هـ.
٢٥ـ مدينة المعاجز (معاجز آل البيت عليهم السلام)، هاشم البحراني، مؤسسة النعمان، طبعة بيروت، ١٤١١هـ.

٢٦ـ معالي السبطين، محمد مهدي الحائري، مؤسسة النعمان، طبعة بيروت، ١٩٨٦م.
٢٧ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب، تصحيح: لجنة أساتذة حوزة النجف، طبعة النجف، ١٣٧٥هـ.
٢٨ـ المنتخب، فخر الدين الطريحي النجفي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ.
٢٩ـ نهج الإيمان، زين الدين علي بن جبر، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

المجلات والمواقع الإلكترونية

١ـ مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد السابع، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
2- https://www.draligomaa.com.
3- http://al-serat.com.
4- https://maqar.com/archives/294840.
5- https://almunajjid.com/courses/lessons/179.

صورة الشعائر الحسينية في دائرة المعارف القرآنية

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي*

المقدّمة

استقطبت قضيّة الإمام الحسين عليه السلام وإحياء ذكره اهتمام وأنظار العديد من الباحثين والكُتّاب، وأصبحت حقيقة لا يستطيع المشهد العلمي ـ مهما كان انتماؤه ـ أن يغضّ الطرف عنها، وكلّما تطوّرت وسائل البحث العلمي ازداد الحديث عنها وتركّز أكثر.

وقد لفت نظري وجود بعض النصوص المتعلّقة بسيّد الشهداء عليه السلام في دائرة المعارف القرآنية، فتشوّقت لتتبّع كلّ ما جاء في هذه الموسوعة عن أبي عبد الله عليه السلام، والتعليق عليه بشكل مختصر، فتمخض عن ذلك المقال الذي بين يدي القارئ الكريم.

وقد جاء الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام في مناسبات متعدّدة في هذه الموسوعة، بعضها عامّ على نحو الإشارة، ككونه عليه السلام من أصحاب الكساء، والآخر يتمحور حول الشعائر تقريباً، وهذا ما شكّل عنوان المقال.

وقد بذلت قصارى جهدي لفهم النصّ الإنجليزي، وقدّمت تعريفاً بكاتب كلّ نصّ، وعلّقت على كلّ نصّ إن كان هناك مجال للتعليق أو النقد.

نبذة عن دائرة المعارف القرآنية (ليدن): Encyclopaedia of the Quran (EQ)

تعتبر هذه الموسوعة أحدث موسوعة أنتجها المستشرقون في الدراسات

---

* دكتوراه في الاستشراق والدراسات القرآنية، من العراق.

الإسلامية، وأكثر دوائر المعارف الاستشراقية تخصّصاً، صدرت في (لايدن) ونشرتها (مؤسسة بريل).

أشرفت على هذه الموسوعة السيّدة الأمريكية (جين دمن مك أوليف) الأُستاذة فى (جامعة جورج تاون) في واشنطن، وقد اشترك في تأليفها كتّاب من ديانات وبلدان مختلفة، وصدرت في ستّة أجزاء، متضمّنة ألف مدخل، (٧٥٠) منها مستقل، و (٢٥٠) إحالة إلى مداخل أُخرى.

بدأ التخطيط لدائرة المعارف في سنة (١٩٩٣م)، حتّى تمّ إصدار آخر جزء منها، وهو الجزء السادس، عام (٢٠٠٦م).

وتمثّل الأسماء الآتية أعضاء هيئة التحرير الأصليين لهذه الموسوعة:

١ـ السيّدة (جين دمن مك أوليف)، أُستاذة التاريخ والأدب العربي في (جامعة جورج تاون) في واشنطن، وهي رئيسة التحرير.

٢ـ (كلود جيليو) من (جامعة ايكسان پراونس).

٣ـ (ويليام گراهام) من (جامعة هارفارد) الأمريكية.

٤ـ (وداد القاضي)، أُستاذة الأدب العربي القديم في (جامعة شيكاغو).

٥ـ (آندرو ريبين) من (جامعة فكتوريا).

واشترك أيضاً كلّ من (مونيك برناردز)، و(جون نواس) بصفتهما مساعدين في التحرير.

بالإضافة إلى هيئة استشارية ضمّت اثنين من الكُتّاب المسلمين، هما: (نصر حامد أبو زيد)، و(محمد أركون).

النصوص ذات الارتباط بالشعائر الحسينية

سيتمّ استعراض خمسة نصوص مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالشعائر الحسينية، وهذه

النصوص لم ترد في مقالات مختصّة بالشعائر أو القضية الحسينية، وإنّما جاءت في سياق مقالات ذات ارتباط بالموضوعات القرآنية بالدرجة الأُولى، وتمّ التطرّق فيها إلى القضايا ذات الارتباط بالنهضة الحسينية بشكل جانبي. ومن خلال تتبّعنا وجدنا أنّ كُتّاب تلك المقالات مرّوا بالمسائل الحسينية في خمسة أماكن، وبذلك يكون مجموع النصوص في هذا المقال خمسة.

النصّ الأوّل

ذكرت (فاليري هوفمان)[1] كاتبة مقال:festivals and commemorative days (الأعياد والمناسبات) عنواناً فرعيّاً في مقالها أسمته: Commemorating husans martyrdom (إحياء ذكرى شهادة الحسين)، قالت فيه ما يلي:

«إحياء ذكرى شهادة الحسين من بين كلّ المناسبات الإسلامية تبدو المراسم الوحيدة التي لها جنبة تذكارية مباشرة، إحياء الشيعة الاثني عشرية لشهادة الحسين سبط النبيّ في العاشر من الشهر الإسلامي محرم، أي: مراسم عاشوراء.

(١) بروفيسورة، ورئيس قسم الدراسات الدينية في (جامعة إلينوي) الأمريكية، حصلت على الشهادة الجامعية الأُولى (البكالوريوس) من (جامعة بنسلفانيا) الأمريكية عام (١٩٧٥)، والشهادة الجامعية الثانية (الماجستير) من جامعة شيكاغو (١٩٧٩)، والدكتوراه عام (١٩٨٦) من الجامعة نفسها.

متخصّصة في الفكر الإسلامي، قامت بدراسة جوانب متعدّدة عن الإسلام من عصر النبيﷺ حتى المدّة المعاصرة، وأجرت دراسات نصّية وأُخرى ميدانية، وقامت بعملين ميدانيين رئيسين في مصر، تناولت في الأوّل منهما الحياة الدينية للنساء المصريات في مصر المعاصرة (١٩٨٠ـ١٩٨١)، وفي الآخر الصوفية في مصر الحديثة (١٩٨٧ـ١٩٨٩)، ثمّ درست السواحلية، وقضت صيفين في زنجبار، وقضت عاماً دراسياً (٢٠٠٠ـ٢٠٠١) في عمان وحضرموت، وتخصّصت بالأباضية في الإسلام، وهي ـ حسب وصفها ـ طائفة قديمة وصغيرة، ليست سنّية ولا شيعية، تُمارس في عمان وجيوب صغيرة في شمال أفريقيا، ومنذ أن كتبت أوّل دراسة باللغة الإنجليزية في العقيدة الأباضية أصبحت متخصّصة بالأباضية في العصر الحديث، وبخاصّة في عمان وزنجبار. أُنظر: https://www.iicss.iq/?id=14&sid=2648.

إنّ وفاة الحسين لا ينظر إليها بصفتها شهادة أو تضحية مأساوية لأعضاء بيت النبوّة الأطهار فحسب، بل يُنظر إليها على أنّها ذات أثر غفراني للذين يحبّون الحسين، ويحزنون أيّام شهادته، ويريدون المشاركة في مصيبة الحسين وأهل بيته، فكما ضحّى المسيح بنفسه على الصليب لينجي البشرية قَبِل الحسين أن يكون مقتولاً في سهل كربلاء؛ ليطهّر المجتمع الإسلامي من الذنوب»[1].

وتشتمل مراسم العزاء على الذكر الشفهي لمصائب الحسين، مع مسيرات العزاء العامة والشبيه[2]، ومواكب اللطم التي أُدخلت في القرن السادس عشر بواسطة الصفويين؛ إذ منحت التشيّع مجموعة شعائر مميّزة، لعبت دوراً هامّاً في ترسيخ الهوية الجماعية، وكذلك تأكيد تمايز الشيعة عن السنّة، وفي مصر ـ البلد السنّي ـ تُحيا وفاة الحسين، ويُحتفل بحبّه، لكنّ مراسم الشيعة تختلف؛ للتفاعل الشديد مع مصائبه، وإقامة الحداد العامّ[3].

---

(١) عنايت، حميد، الفكر السياسي الإسلامي المعاصر: ص١٨٣، Enayat. Political Thought. P. 183.
حميد عنايت (١٩٣٢-١٩٨٢) كاتب ومترجم إيراني، حصل على بكالوريوس العلوم السياسية من جامعة طهران عام (١٩٥٤)، والماجستير عام (١٩٥٨)، والدكتوراه عام (١٩٦٢) من جامعة لندن، كان في شبابه عضواً في الحزب الشيوعي (توده)، وفي عام (١٩٦٠) ساهم في تأسيس اتحاد الطلاب الإيرانيين في أوروبا، وكان سكرتيراً له، وبعد قضاء عام بعنوان أُستاذ زائر فى جامعة الخرطوم في السودان (١٩٦٦-١٩٦٥)عاد عنايت إلى مسقط رأسه، فعُيِّن أُستاذاً للعلوم السياسية في جامعة طهران، وفي عام (١٩٨٠) اختارته (جامعة اكسفورد) بصفته محاضراً في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، وزميلاً لكلية سانت أنطوني بالجامعة ذاتها حتى وفاته. كان عنايت يُجيد الإنجليزية، ويعرف العربية والفرنسية والألمانية، وله بعض الإلمام بالروسية واليابانية، صدرت ترجمته لكتاب السياسة لأرسطو عام (١٩٥٨). أُنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/حميد_عنايت.

(٢) أُنظر: chelowski.Taziya.

(٣) أُنظر: Encyclopaedia of the Qur'an, Vol 2. P.208.

النصّ الثاني

تطرّقت (فاليري هوفمان) في مقال الشفاعة ـ الذي كتبته أيضاً ـ إلى الإمام الحسين عليه السلام، فقد قالت: «**يعتقد المسلمون المصريون أنّ الحسين والسيّدة زينب ـ حفيد النبيّ وحفيدته ـ والشافعي (١٥٠ـ ٢٠٤) إمام أحد المذاهب السنّية الأربعة ـ يدبّرون المحكمة السماوية التي تقرّر شؤون الحوادث الأرضية. يزور الناس مراقد هؤلاء ـ ظاهراً قبورهم ـ في القاهرة، ويطلبون الشفاعة منهم**»[1].

الأُمور الإيجابية في النصّين

احتوى النصّان على عدّة أُمور إيجابية نشير إليها ضمن النقاط الآتية:

أوّلاً: إعطاء صورة عامّة عن الشعائر الحسينية ومراسم العزاء.

ثانياً: ابتعدت الكاتبة عن الشدّ المذهبي والتهجّم.

ثالثاً: سعت الباحثة أن تستخدم مصادر قريبة من القضية الحسينية.

الأُمور السلبية

رغم ما تقدّم من إيجابيات لكن هناك أُموراً سلبية نلاحظها في طيّات كلامها:

أوّلاً: مصادر النهضة الحسينية

اعتمدت الكاتبة على مصادر ليست أوّلية رغم أنّها استخدمت مصادر قريبة من النهضة الحسينية، فكتاب حميد عنايت بعيد عن القضية الحسينية، أمّا كتاب (جلكوفسكي)[2] (تعزية)، فتؤاخذ عليه الكاتبة ـ رغم أنّه يعدّ مصدراً، وأنّ مؤلّفه متخصص في الشعائر الحسينية ـ بأنّ طبيعة البحث العلمي تقتضي الاستفادة من المصادر الشيعية في هذا المجال، وهكذا المصادر التي ذكرتها الكاتبة في نهاية المقال، فإنّ ما يفترض أن يخصّ الشيعة لم تذكر له مصادر شيعية.

---

(١) Encyclopaedia of the Qur›an, Vol 2. P.553.

(٢) باحث أمريكي من أصل بولوني، له أبحاث حول الشعائر الحسينية.

لكن ربّما يُلتمس عذر للباحثة، فإنّ كتب الشيعة باللغات الأوربية شحيحة، الأمر الذي يجعل الباحثة في شحّة معلومات، وبخاصّة ما يرتبط بالشعائر الحسينية، لكنّها تجيد اللغة العربية حسب ما يبدو من مراسلتنا لها، فلا أدري ما الذي منعها من الاستفادة من المصادر الأصلية.

ومما يؤلم القلب أنّ الفكر الشيعي ما زال غريباً في بلدان العالم، وما زالت أقلام غير أبنائه تعرّفه!!

ثانياً: أبعاد إحياء شهادة الإمام الحسين عليه السلام

ذكرت الدكتورة (هوفمان) بُعد المغفرة في البكاء على مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وهو صحيح إجمالاً، إلّا أنّ هناك أبعاداً أُخرى في شهادة الإمام الحسين عليه السلام مهمّة أيضاً، نُشير إليها فيما يلي:

١ـ البعد الغفراني: لا شك في أنّ للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام أجراً عظيماً، وهو أحد أسباب غفران الذنوب، وقد وردت روايات صحيحة متواترة عن أهل البيت عليهم السلام في فضل البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، وكونه سبباً لغفران الذنوب[1]، لكن ذلك ليس على إطلاقه، فليس كلّ مَن بكى على سيّد الشهداء عليه السلام يحظى بالمغفرة والشفاعة وإن فعل ما فعل، فالبكاء ليس صكّاً للغفران.

٢ـ البعد العاطفي: فإنّ لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام ـ بغضّ النظر عن كونه إماماً، وبغضّ النظر عن معتقد القارئ ـ تأثيراً عاطفياً، فمن اطّلع على ما جرى عليه عليه السلام يتعاطف مع مصيبته، وهذا الأمر يعود إلى طبيعة الإنسان القائمة على التفاعل مع المظلوم ونصرته.

٣ـ البعد التربوي: الأمر المهم في إحياء ذكرى سيّد الشهداء هو أنّه مدرسة تربوية ثقافية، يستقي المسلمون منها معالم دينهم، وتتربّى الأجيال على يدها، ولعلّ ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام هي أوسع باب وأهم أداة لنشر الوعي بين أفراد المجتمع.

(١) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠١.

٤ـ **البعد الولائي**: حينما يستذكر المسلمون الشيعة شهادة الإمام الحسين عليه السلام، فإنّهم يعلنون ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام ـ ومنهم أبو الأحرار عليه السلام ـ والتزامهم بتطبيق سيرة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وتمسّكهم بهذا النهج الأصيل.

٥ـ **البعد الإحيائي**: إحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام هو إحياء لمعالم الحق، وثورة في وجه الظلم والطغيان، فالحسين عليه السلام أُنموذج العدالة الذي ضحّى من أجل المبادئ والقيم الإنسانية، وأعداؤه يمثّلون الخطّ المنحرف الرافض للحرية والعدالة.

٦ـ **البعد الإلهي (السرّ الإلهي)**: فوق كلّ ذلك هناك عناية إلهية حفّت بالإمام أبي عبد الله عليه السلام؛ نتيجة تضحيته في طريق الحقّ، وجعلت حرارة ذكره في قلوب المؤمنين، ويبقى ذكر الإمام الحسين عليه السلام في قلوب الشيعة سرّاً من الأسرار الإلهية التي يقف العقل البشري أمامها عاجزاً، فما الذي يوحّد عشرين مليون نسمة من شتّى بقاع العالم في أرض العراق على هتاف واحد، وقلب واحد؟! وما الذي يدعو هذه الجموع أن تأتي مشياً على الأقدام إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام؟! إنّ هذه الأعداد تعجز عن تأمين متطلباتها وإرضائها تكنلوجيا العالم المتحضّر، فلا يبقى أمام الإنسان إلّا التفسير الغيبي.

من ذلك نفهم أنّ مراسم إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ذات أبعاد متعدّدة، وليس من الصحيح حصرها في زاوية واحدة.

ثالثاً: نظرية الفداء المسيحية

أشارت البروفيسورة (هوفمان) إلى نظرية الفداء المسيحية، وبيّنتها بقولها: ضحّى المسيح بنفسه على الصليب؛ لينجي البشرية، فالمسيح عيسى فدى البشرية بنفسه من أجل أن يطهّرها من الذنوب، لكنّ هذه الرؤية لا تمت إلى عقيدة الشيعة في البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بأيّ صلة، وإن حاول جملة من الباحثين الغربيين التنظير لذلك، ولا توجد أدلّة علمية في تراثنا الروائي تدعم ذلك.

ربّما يجد الباحث بعض الشواهد التي تدعم هذه النظرية، والتي لا تصمد أمام النقد العلمي[1]، فقد ذهب الشيخ النراقي إلى أنّ الهدف من شهادة الإمام الحسين عليه السلام هو الوصول إلى مقام الشفاعة الكبرى، وبالتالي التكفير عن ذنوب شيعته[2]، ولكنّ رأي الأكثرية الساحقة من علماء المسلمين عامّة، والشيعة خاصّة، هو بطلان هذا الرأي جملة وتفصيلاً.

نعم، لا ضير في أن يكون البكاء على الإمام الحسين عليه السلام سبباً لغفران الذنوب كما هو صريح الروايات[3]، والفرق كبير جداً بين كون الحسين عليه السلام استشهد لينقذ الشيعة، وكون البكاء عليه وإحياء ذكره من أسباب غفران الذنوب.

رابعاً: تاريخ مراسم الشبيه والمواكب الحسينية

تحدّثت الباحثة عن تاريخ مفردات مهمّة من مظاهر الشعائر الحسينية، وإذا أردنا أن نتحدث عنها بالتفصيل نحتاج إلى بحث مفصّل؛ لذا نكتفي بعرض الأهم منها.

لا يخفى على القارئ الكريم أنّ الثقافة الشيعية لم يكن يسمح لها أن تبرز على مرّ العصور، فما كان الشيعة يمارسون الشعائر الحسينية كما يريدون، وكانوا تحت الرقابة المكثّفة من قِبل السلطات الظالمة، فمن الطبيعي جدّاً أنّنا لا نجد أثراً لمظاهر المواكب، لكنّنا نجد مظاهر العزاء العامّ واضحة في التاريخ، فهناك طبقات مختلفة من سكنة المدينة أقامت العزاء في أوقات مختلفة، فقد أقام الإمام زين العابدين عليه السلام العزاء العامّ

(١) من قبيل ما ورد عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ غضب على الشيعة، فخيّرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي». الكليني، محمد بن يعقوب، أُصول الكافي: ج١، ص٢٦٠.

(٢) أُنظر: النراقي، مهدي، محرق القلوب: ص٤٠. علماً بأنّ الكتاب المذكور ربّما لا يمثّل رأيه النهائي؛ لكونه كتاب تعزية، وليس لبيان الرأي النهائي.

(٣) من قبيل قول الإمام الصادق عليه السلام: «مَن ذُكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرضَ له بدون الجنّة». ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٢.

فور رجوعه إلى المدينة، وهكذا أقام بنو عبد المطلب العزاء في المدينة، كما أقامت نسوة كأُمِّ سلمة، وأُمِّ البنين، وبنات عقيل، ونسوة الحسين عليه السلام، العزاء على سيّد الشهداء[1].

وعند الحديث عن المواكب وإعلان الحداد العامّ أيّام عاشوراء، يعود الأمر إلى عهد الدولة البويهية في بغداد، قال ابن الأثير في حوادث سنة (٣٥٢): «**في هذه السنة عاشر المحرّم أمر معزّ الدولة الناس أن يُغلقوا دكاكينهم، ويُبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يُظهروا النياحة... ففعل الناس ذلك**»[2]، وذكر ابن الجوزي قريباً من ذلك[3].

وفي مصر سنة (٣٩٦هـ) ذكر المؤرّخون: «**جرى الأمر على ما يجري كلّ سنة من تعطيل الأسواق، وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة، ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد**»[4]، ومن ذلك يظهر أنّ المواكب لم تبدأ في عهد الصفويين.

نعم، يعتبر العهد الصفوي مرحلة مهمّة في عمر العزاء الحسيني والمواكب الحسينية بشكل خاصّ.

وأمّا مسألة الشبيه فهي الأُخرى كانت موجودة في العزاء الشيعي، وهي جزء من مراحل تطوّر مراسم العزاء التي كانت تقام بعد شهادة سيّد الشهداء عليه السلام، ثمّ دخلت المرحلة الرسمية لها في عهد الحكم الصفوي، وهناك إشارات تدلّ على وجود ذلك في بعض مجالس العزاء قبل العصر الصفوي[5].

أمّا الهوّية الشيعية، فإنّها ولدت في وقت مبكّر من عمر الإسلام، بل ولدت

(١) أُنظر: الريشهري، محمد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء: ص١٣٧.
(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٨، ص٩٤٥.
(٣) أُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج١٤، ص١٥٠.
(٤) المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية): ج٢، ص٣٢٩.
(٥) أُنظر: عادل، غلام علي حداد، دانشنامه جهان إسلام (موسوعة العالم الإسلامي): ج١١، ص٥١١.

مع ولادته، ومعالم التشيّع كانت واضحة في أُمور كثيرة، وفي وقت سابق للعصر الصفوي، وربّما لعب العامل السياسي دوره في إبراز صفة خاصّة للتشيّع في هذا العهد، فقد اهتمّت الدولة الصفوية بالشعائر الحسينية ـ ومنها المواكب ومراسم الشبيه ـ بشكل ملحوظ، وربّما استخدمتها شعاراً أيضاً، الأمر الذي قد يخفى على غير المتتبع[1].

ولم تشكّل الشعائر الحسينية بحدّ ذاتها نقطة تمايز محورية بين السنّة والشيعة، فهناك جملة من المسلمين كانوا يشاركون في ممارسة الشعائر الحسينية، ولم تكن حكراً على أحد، وما يزال المسلمون من غير السلفيين يشاركون في الشعائر الحسينية، وربّما كانت (هوفمان) ملتفتة لذلك كما يظهر من تعابيرها.

جَلْد الذات

استخدمت السيّدة (هوفمان) مصطلح (جلد الذات) self-flagellation للتعبير عن اللطم أو الزنجيل، وهو مصطلح غير مستخدم في الشعائر الحسينية، ولا مجال له أصلاً، فمَن يلطم على الحسين عليه السلام أو يضرب نفسه بسلسلة خاصّة تسمّى (الزنجيل)، إنّما يعبّر عن حزنه وتفاعله مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وليس الهدف إيذاء النفس بحدّ ذاته، وإذا استخدم هذا المصطلح في بيئة وثقافة أُخرى فلا يصحّ سحبه إلى الشعائر الحسينية.

ومع أنّ الباحثة خصّصت مقالها للمناسبات والأعياد الدينية إلاّ أنّها لم تذكر من المناسبات الشيعية سوى إحياء شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ولم تذكر عيد الغدير، أو الخامس عشر من شعبان، ومناسبات مهمّة أُخرى.

(١) أُنظر: بحثنا في دور الصفويين في الشعائر الحسينية ضمن مقال (الشعائر الحسينية في العهد الصفوي). مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ١٣، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٨٧.

النصّ الثالث

ذكر (يوري روبين)[1] Uri Rubin كاتب مقال: (بني إسرائيل) Children of Israel عنواناً فرعياً سمّاه: (الإشارات القرآنية المتعلّقة ببني إسرائيل والشيعة)، ذكر فيه ما ترجمته:

«تشكّل الإشارات القرآنية المتعلّقة ببني إسرائيل جزءاً مهماً من الروايات الشيعية، حيث ينبأ تاريخهم عن تأريخ الشيعة، فشهادة الحسين وأصحابه في كربلاء على يد الأُمويين (٦١هـ/ ٦٨٠م) تعادل في الروايات الشيعية سنّة بني إسرائيل الشيطانية المذكورة في القرآن، حيث قتلوا أنبياءهم (فرات، تفسير، ١/ ١٣٦، رقم:١٦٢).....»[2].

تعليق على النصّ

لا ريب في تكرّر السنن التاريخية، كما أنّ اشتراك أُمّة ظالمة مع أُخرى مما قد يحدث في التاريخ، ولا إشكال في الأمر، لكن يبدو أنّ النصّ يحاول الربط بين تاريخ أُمّتين على أساس روايات قد لا تحظى بمتانة علمية، وهذا أمر يحتاج إلى بحث يخرجنا عن موضوعنا.

كما أنّ النصّ الذي أرجع إليه الباحث لا يُشير بصراحة إلى ربط استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على يد الأُمويين بسنّة بني إسرائيل، وإن كان يُشير إلى ذلك بنحو عامّ، والنصّ في تفسير فرات الكوفي عن زيد بن علي عليه السلام: «...**فاتقوا الله عباد الله، وأجيبوا إلى الحقّ، وكونوا أعواناً لـمَن دعاكم إليه، ولا تأخذوا سنّة بني إسرائيل، كذّبوا أنبياءهم، وقتلوا أهل بيت نبيهم...**»[3].

---

(١) البروفيسور (يوري روبين) هو الأُستاذ المتقاعد في جامعة (تل أبيب)، درّس حوالي (٤١) سنة في قسم الدراسات العربية والإسلامية، تركّزت دراساته حول تفسير القرآن وصدر الإسلام (السيرة والحديث)، وهو عضو الهيئة الاستشارية في دائرة المعارف القرآنية، وله عدّة مقالات وكتب مطبوعة. أُنظر: Prof. Uri Rubin's Web Site.

(٢) Encyclopaedia of the Qur›an, Vol 1. P.307.

(٣) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص١٣٦.

النصّ الرابع

ذكر الدكتور (ويم راون)[1] Wim Raven كاتب مقال (الشهيد) مقارنة بين معنى الشهيد في الإسلام السنّي والمسيحية، ثمّ قال: «**الشهادة عند الشيعة لها رونق خاصّ، وقد تكوّن ذلك مع شهادة سيّد الشهداء الحسين بن علي الذي استُشهد ببطولة في كربلاء، لكن خسارة المعركة ضدّ أقرانه المسلمين كانت متوقعة (٦١هـ/ ٦٨٠م). بالنسبة للشيعة ـ كما هو الحال بالنسبة للمسيحيين ـ فإنّ المهم هو الانتصار المعنوي مقابل الهزيمة الدنيوية، علاوة على ذلك يؤكّد هؤلاء غالباً على صفة الخلاص في شهادة الحسين، بينما تلعب شفاعة الشهداء عند السنة دوراً هامشياً** [ويقول أيضاً:] **وما يحظى به الحسين بن علي(ت٦١هـ) من مكانة كبيرة ليس بسبب براعته في القتال، إنّما بسبب تحمّله للآلام التي لا تطاق...**»[2].

رونق الشهادة عند الشيعة

قيمة الشهادة ومكانتها ناتجة عن روح الإسلام المتمثلة في القرآن والسنّة، قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3]، وقال (جلّت عظمته): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4].

والنصوص الشرعية من القرآن والسنّة تحثّ على الشهادة وترسّخها في القلوب،

---

(١) من الباحثين الألمان في مجال الدراسات الاستشراقية، أُستاذ مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط في (جامعة ماربورغ) الألمانية، له أبحاث عديدة حول الإسلام المعاصر، وبعض الدراسات القرآنية.

(٢) Fncyclopaedia of the Qur›an, Vol 3. P.286.

(٣) آل عمران: آية١٥٧.

(٤) آل عمران: آية ١٦٩.

فهي المنزلة الرفيعة التي ينالها الإنسان في هذه الدنيا، حتّى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال كلمته المشهورة: «**فزت وربّ الكعبة**»[1] حينما نال ذلك الوسام الرفيع.

وقد تجسّد المفهوم الحقيقي للشهادة بكلّ معانيها في الإمام الحسين عليه السلام، فرونق الشهادة الذي تكوّن بشهادة الإمام الحسين عليه السلام ـ كما عبّر (ويم راون) ـ إن كان بمعنى تجسيد معنى الشهادة، وإضفاء طابع العزّة والكرامة، وإحياء مفهوم الشهادة بكلّ معانيها، فهو معنى في غاية الروعة، وجهد يشكر عليه، وإن كان معنى ذلك أنّ رؤية التشيّع للشهادة قد تكوّنت بشهادة سيّد الأحرار عليه السلام، فذلك مما لا نوافق الباحث عليه، وهذا يأتي في سياق نظرة ترى أنّ التشيّع قد تكوّن بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وهو ما لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه.

صفة الخلاص

لا شكّ في وجود روايات كثيرة تحثّ على البكاء على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، وتدلّ على الأجر الكبير للباكين على الحسين عليه السلام، والمتألّمين لمصابه، وقد قُدِّمت إحصائية لتلك الروايات، وأنّها تقرب من خمسمائة رواية[2]، لكنّ ذلك لا يعني صكّ غفران للمذنبين، ولا يعني ذلك أيضاً عقيدة الخلاص المتداولة في الفكر المسيحي، وإن حاول بعض التنظير لذلك كما سنرى بعد حين.

سبب مكانة الإمام عليه السلام الحسين عند الشيعة

المكانة التي يحظى بها سيّد الشهداء عليه السلام في قلوب الشيعة ـ بل المسلمين عامّة ـ نابعة من الأسباب الآتية:

السبب الأوّل: أبو عبد الله الحسين عليه السلام إمام مفترض الطاعة عند الشيعة، وقوله وفعله حجّة عند جميع المسلمين؛ لأنّه صحابي على أقلّ تقدير.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص٣٨٥.

(٢) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٢٥٦.

السبب الثاني: أنّه ريحانة رسول الله، فقد قال صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام الحسن والحسين عليهما السلام: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»(١)، وقال صلى الله عليه وآله: «**أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً**»(٢)، فليس من المعقول أن يقف المسلمون موقف المتفرّج تجاه هذه المنزلة العظيمة، والمحبّة العالية التي حظي بها سيّد الشهداء عليه السلام.

السبب الثالث: العلاقة التكوينية التي غرست في قلوب المؤمنين تجاه سيّد الشهداء عليه السلام، وتعاطف القلوب مع ما جرى على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فعن جعفر ابن محمد عليهما السلام، قال: «**نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي صلى الله عليه وآله، وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً. ثمّ قال** عليه السلام: **بأبي قتيل كلّ عبرة. قيل: وما قتيل كلّ عبرة يابن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلّا بكى**»(٣).

وقد فعل بنو أُمية فاجعة كبرى، وقاموا بأفعال لا تنتمي إلى الإنسانية بتاتاً، مع أنّ الضحية ـ وهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ـ كانت تمثّل قمّة الخلق والعدالة والإنسانية بكلّ ما للإنسانية من معنى، فلماذا لا يحزن الإنسان الحرّ؟ ولماذا لا يلهج بذكر هذه الشخصية؟ ولماذا لا تهفو النفوس إليه؟ ولماذا لا تذرف الدموع عليه؟

وما يكنّه المسلمون عموماً والشيعة خصوصاً لايرتبط بحالة أُسطورية أو خيالية ناتجة عن نسج خيال في الشجاعة، أو شيء من هذا القبيل، فليس كلّ شجاع يحظى بتلك المكانة، ولا منزلة الإمام الحسين عليه السلام في القلوب منزلة أُسطورية تحتاج إلى رفدها بعامل الشجاعة، ولا يخفى على مَن تصفّح تاريخ الحسين عليه السلام شجاعته وبسالته.

النصّ الخامس

ذكرت الدكتورة (باربرا ستواسر)(٤) Barbara Freyer Stowasser كاتبة

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص٢١٧.
(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢.
(٣) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٣١٨.
(٤) ولدت في مدينة (لايبزك) الألمانية عام (١٩٣٥م)، حصلت الدكتورة (باربرا ستواسر) على

مقال (مريم) نصّاً يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام جاء فيه:

«وفقاً لرؤية القرآن فإنّ عيسى قد ظُلم وأُوذي من قِبل قومه، لكنّه لم يقتل، وتقرّ كتب السيرة عند الشيعة بوجود أوجه تقارب قوية بين المسيح والحسين. (أيوب، الألم الخلاصي، ص٣٥، اُنظر أُسرة النبي) كما بين أُمّهما القديستين أيضاً...» [1]، ثمّ بدأت بسرد أوجه التقارب تلك بين الزهراء ومريم عليهما السلام، ولم تُبيّن أوجه التقارب بين السيّد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام.

الشبه بين النبيّ عيسى والإمام الحسين عليهما السلام

أشارت الباحثة إلى موضوع مهم من وجهة نظر الدراسات المقارنة المعاصرة، لكنّها لم تقف عنده، ولم توضح ملامح ذلك الشبه، وتركت الموضوع مبهماً، وليتها اكتفت بذلك، بل أشارت إلى كتاب معاصر يتناول هذا البحث، مع أنّ حديثها يُشير بوضوح إلى كتب السيرة الشيعية، فيفترض أن تُرجع القارئ إلى المصادر الشيعية في السيرة، لكنّها لم تفعل ذلك، وإذا راجعنا كتب السيرة بمعناها الخاصّ لا نجد هكذا مقارنة، فكيف يُنسب ذلك إلى كتب السيرة؟

نعم، هناك شبه من الجهة العقائدية، فإنّ كلاً منهما معصوم، وشبه أيضاً من

شهادة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط من (جامعة كاليفورنيا) و(لوس أنجلس)، ودرجة الدكتوراه (بامتياز مع مرتبة الشرف) في الدراسات المقارنة والدراسات الإسلامية من (جامعة مونستر) في ألمانيا.

كما درّست في جامعات (فرانكفورت) و(إرلانغن) و(راينز) في ألمانيا وأنقرة في تركيا والجامعة الأمريكية في القاهرة، درّست الدكتورة (ستواسر) في (جامعة جورجتاون) منذ عام (١٩٦٦م)، وألقت محاضرات متعدّدة في التفسير والتاريخ الإسلامي، وبخاصّة قضايا المرأة من وجهة نظر القرآن الكريم، فلها كتاب تحت عنوان (المرأة في القرآن: التقاليد والتفسير)، ولها أيضاً كتاب تحت عنوان (الفقه الإسلامي وتحدّيات الحداثة)، توفيت عام (٢٠١٢م) في واشنطن.

(١) Encyclopaedia of the Qur'an, Vol 3. P.291.

حيث الانتساب إلى شجرة النبوّة، فالإمام الحسين والنبيّ عيسى عليهما السلام ينتميان إلى الشجرة الإبراهيمية، والأرحام الطاهرة المطهّرة، وهناك شبه آخر يتمثّل في أنّ النبيّ عيسى عليه السلام ورث الأنبياء السابقين له، والإمام الحسين عليه السلام ورث الأنبياء ومَن سبقه من الأئمّة عليهم السلام، وهذا ما ورد في زيارة وارث، وهي واردة عن الإمام الصادق عليه السلام، ولها اعتبار مهم في الحديث الشيعي، ومحلّ الشاهد فيها: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين** عليه السلام»[1].

مما تقدّم نعرف أنّ جهة المقارنة بين نبي الله عيسى والإمام الحسين عليهما السلام تتجسّد في الناحية العقائدية والفكرية، ولا علاقة لها بما يطرح في المسيحية تحت عنوان الألم أو الفداء، وإذا أردنا المقارنة بين النبيّ عيسى والإمام الحسين عليهما السلام من حيث الظلم الذي وقع عليهما، فهي مقارنة ذات وجه، لكنّها لا تختصّ بهما؛ فالأنبياء عليهم السلام تعرّضوا للأذى والظلم من قِبل قومهم، وهكذا أهل البيت عليهم السلام.

الخاتمة

من خلال استعراض النصوص ذات الارتباط بالشعائر الحسينية تبيّن لنا ما يلي:

أوّلاً: أنّ الباحثين الذين تناولوا قضية الإمام الحسين عليه السلام في هذه الموسوعة قد تناولوها بشكل أُحادي، وليس كما هي عند الشيعة، والتحليل الذي اعتمده هؤلاء منطلق من نظرتهم الخاصّة وخلفياتهم الفكرية، وقد انعكس ذلك على تاريخ الشعائر الحسينية ومفرداتها.

ثانياً: رغم التطوّر المعلوماتي الكبير في عالم البحوث العلمية لم نشهد تماساً حقيقياً

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٧٥.

بالمصادر المختصّة بالقضية الحسينية، واعتمد هؤلاء الباحثون على مصادر ثانوية في الغالب.

ثالثاً: هناك فراغ واسع في نقل واقعة عاشوراء إلى الآخرين بلغات عصرية أُخرى، ويجب أن لا يُكتفى بطباعة ما يترجم في دور النشر المحلية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

الكتب

١ـ أُصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الخامسة،١٣٦٣هـ. ش.

٢ـ تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣ـ دانشنامه جهان إسلام، غلام علي حداد عادل، دائرة المعارف بزرگ اسلامي(دائرة المعارف الإسلامية الكبرى)، الطبعة الأُولى، ١٣٨٦هـ. ش.

٤ـ الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، الشيخ محمد السند، تحقيق: السيّد رياض الموسوي، الطبعة الأُولى، دار الغدير، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦ـ الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٣٩٠هـ. ش.

٧ـ الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، حميد عنايت.

٨ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٩ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٠ـ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٧م.
١١ـ مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٢ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت ـ لبنان.
١٣ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
١٤ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٥ـ النراقي، مهدي، محرق القلوب.

المجلات

١٦ـ مجلّة الإصلاح الحسيني، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية، السنة الرابعة، العدد ١٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠١٦م.

المواقع والمصادر الأجنبية

17_ https: / /ar.wikipedia.org /wiki /.
18_ Encyclopaedia of the Qur)an. Vol 2. P.208.
19_ chelowski.Taziya.
20_ Encyclopaedia of the Qur'an. Vol 2. P.553.
21_ Prof. Uri Rubin's Web Site.

دراسات حسينية

- دور الشباب في نهضة الإمام الحسين عليه السلام
- أزواج الإمام الحسين عليه السلام دراسة تاريخية تحليلية.. الحلقة الأُولى:
  شاهزَنان الساسانية
- مشهد المُحسن بن الإمام الحسين عليه السلام بحلب.. دراسة في التاريخ والعمارة

دور الشباب في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عبد الله أحمد اليوسف*

المقدّمة

تمتاز مرحلة الشباب بالقوّة والحيوية والحماس والنشاط والفاعلية، فأيّام الشباب هي مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[1]، فمرحلة الطفولة هي مرحلة ضعف واعتماد على الأبوين، ومرحلة الشيخوخة كذلك مرحلة ضعف وعجز عن تحمّل المسؤوليات الكبيرة، خصوصاً فيما يتطلّب قوّة بدنية كالقتال والحرب.

والشباب بما يملكون من طاقات ومواهب وإمكانات، وبما يتميّزون به من قدرات عقلية وبدنية، وبما يتّصفون به من سمات نفسية وأخلاقية، قادرون على صناعة التغيير الاجتماعي، وإحداث الكثير من المتغيّرات فيما يجري من حولهم؛ لذلك نلاحظ أنّ كلّ الذين يصنعون التغيير في مختلف المجتمعات الإنسانية هم شريحة الشباب، فهم ـ عادةً ـ مَن يحملون راية التغيير، ويرفعون شعار الإصلاح.

وقد اشترك في النهضة الحسينية المباركة: الشباب والشيوخ، والكبار والصغار، والرجال والنساء، والأحرار والعبيد، والعرب والعجم، فقد كان أنصار الإمام الحسين عليه السلام من قوميات وبلدان متعدّدة، ومن مراحل عمرية مختلفة، ولكنّ الفئة

---

* أُستاذ في الحوزة العلمية ـ القطيف.

(١) الروم: آية ٥٤.

الغالبة كانت من شريحة الشباب، فمنهم مَن كان في مقتبل شبابه كالقاسم بن الحسن عليه السلام، ومنهم مَن كان في ريعان شبابه كعلي الأكبر، وعبد الله بن مسلم بن عقيل.

ووفقاً لما تُشير إليه المصادر التاريخية عن أعمار الثوّار والأنصار الذين استُشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فإنّ فئة الشباب كانوا العنصر الغالب في تركيبة الجيش الحسيني، وأنصار الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

ومن الطبيعي أن يكون الشباب هم العنصر الغالب في النهضة الحسينية؛ لأنّ شريحة الشباب من أكثر الشرائح الاجتماعية تأثيراً وتأثّراً، وأكثرها حماساً واندفاعاً، فهي كفئة عمرية تكون في عنفوان عطائها وحيويّتها، وفي أوجّ قوّتها وقدرتها، وتستطيع أن تقاتل وتحارب؛ ولذا نجد أنّ الجيوش في الدول إنّما تتكوّن في أغلبها من الشباب.

وقد كان للشباب المؤمن دور مهم وفاعل ومؤثّر في معركة كربلاء، فقد أبلوا فيها بلاءً حسناً، وجاهدوا جهاد الأبطال، ونازلوا الأعداء ببسالة وشجاعة عَزّ نظيرها.

المبحث الأوّل: مفهوم الشباب

من المهم قبل الولوج في البحث أن نحرّر مفهوم الشباب، سواء في اللغة أم الاصطلاح أم في القرآن الكريم، وتحديد سنّ هذه المرحلة العمرية؛ حتّى نعرف المراد منه عند حديثنا عن فئة الشباب.

أ. الشباب لغة

جاء في لسان العرب: «**شبب: الشباب: الفَتاء والحداثةُ، شبَّ يشِبُّ شباباً وشبيبةً... والاسم الشَّبيبةُ، وهو خِلافُ الشَّيبِ، والشباب: جمع شابٍّ، وكذلك الشُّبان... وأَشَبَّ الرَّجُل بَنِينَ إِذا شَبَّ ولَده، ويقال: أَشَبَّتْ فُلانةُ أَولاداً إِذا شَبَّ لها أَولادٌ. ومرَرْت برجال شَبَبَةٍ، أي: شُبَّانٍ**»[1].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٤٨٠.

وقال صاحب مجمع البحرين: «(شبب) تكرر في الحديث ذكر الشباب، هو كسحاب جمع شابّ بالتشديد، وكذلك الشبان كفرسان، والأُنثى شابّة، والجمع شواب، كدابّة ودواب. وشبَّ الصبيُّ من باب ضرب شباباً وشبيبة فهو شاب، وذلك سنّ قبل الكهولة، وفي الحديث: ابن ثلاثين سنة يُسمّى شاباً، والشباب ككتاب: نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً»[1].

ونستنتج من خلال مراجعة المصادر اللغوية أنّ المعنى اللغوي للشباب يفيد في البروز والنماء والاستواء والتكامل.

ب ـ المقصود بالشباب

«هناك اختلاف بين الباحثين في تحديد مرحلة الشباب، فنجد أنّ هناك اتجاهاً يميل إلى الاعتماد على البعد الزمني في تحديد هذه المرحلة، وقد ورد في (المعجم الوجيز) أنّ الشاب هو مَن أدرك سنّ البلوغ إلى الثلاثين[2]، ويرى بعض علماء السكّان أنّ فئة الشباب هي الفئة التي تقع أعمارها بين (١٥) و(٢٥) عاماً، بينما يرى بعضهم الآخر أنّ هذه الفئة تقع أعمارها بين (١٥) و(٣٠) عاماً، وهذا يرجع إلى اختلاف السياق الاجتماعي الذي يتمّ في إطاره تحديد هذه الفئة.

وقد بدأ التقرير الذي أعدّه المجلس القومي للجريمة والجنح التابع للأُمم المتحدة في مدينة نيويورك بتحديد المقصود بفئة الشباب، متعرّضاً للاختلاف الكائن بين الدول في الحدّ الأدنى والأقصى لسنّ الشباب الذي يتراوح بين(١٥ أو ١٨) إلى (٢١) عاماً، إلّا أنّ توصية عدد من الجهات المعنية بشؤون الجريمة والجنح نادت برفع الحد الأقصى لسنّ الشباب إلى (٢٥) عاماً، وبذلك يمكن تحديد فئة الشباب بأنّها الفئة العمرية بين (١٥) و(٢٥) عاماً.

---

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص٨٥.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز: ص٣٣٣.

ومن العلماء مَن يحدّد مرحلة الشباب في الفترة العمرية التي تراوح بين (١٥) و(٢٤) عاماً، وتتميّز هذه المرحلة بأنّها مرحلة انتقالية إلى الرجولة أو الأُمومة، ويتخطّى الأفراد فيها مرحلة التوجيه والرعاية، ويكونون أكثر تحرّراً، ولهذا تحتاج هذه المرحلة إلى عناية خاصّة. وقد يرى بعض الباحثين أنّ الشباب فترة عمرية تمتد من (١٦) حتّى (٢٥) عاماً، وهي الفترة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي على نحو يجعل الفرد قادراً على أداء وظائفه المختلفة.

إلّا أنّ وجهة النظر السابقة تستخدم إطاراً بيولوجياً في الغالب يعتمد على فكرة النضج الجسمي والعقلي، وتتجاهل حقيقة مؤدّاها أنّ الشباب يمثّل حقيقة اجتماعية أكثر منها ظاهرة بيولوجية، الأمر الذي يُشير إلى أنّ هناك اتجاهاً آخر يأخذ بمعيار النضج والتكامل الاجتماعي للشخصية، ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى تحديد مجموعة من المواصفات أو الخصائص التي تطبّق بوصفها مقياساً على أفراد المجتمع، بحيث نستطيع أن نميّز الشباب عن غيرهم من الفئات بغض النظر عن المرحلة العمرية.

ونجد أنّ التصوّر الصحيح عن الشباب يجب أن يأخذ في اعتباره المعيارين السابقين في آنٍ معاً، أي: إنّ الشباب يمثّل فئة عمرية في المجتمع تتسم بعدد من الصفات والقدرات الاجتماعية والنفسية المتميّزة، وتختلف بداية هذه الفترة العمرية ونهايتها باختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع»[1].

والتحديد الشرعي للشباب ـ بحسب رأي محيط المحيط ـ ما بين (١٥) و(٣٠)، وللشابات ما بين (١٥) و(٢٩)، وهو ما يتمشّى إلى قدر كبير ـ يكاد يبلغ درجة التطابق ـ مع المفهوم الدولي المستقرّ للشباب (١٥) ـ (٢٥)، أمّا مجلس وزراء الشباب والرياضة في دول مجلس التعاون، فقد حدّد الشباب في الفئة العمرية من(١٥) إلى (٤٢) سنة، متمشياً بذلك مع مجلس وزراء الشباب العرب.

يبدو أنّ التحديد الدولي والعربي والخليجي يتمشّى مع الدخول في مرحلة المراهقة

(١) طلعت إبراهيم لطفي، الأُسرة ومشكلة العنف عند الشباب: ص١٠ـ١١.

(١٥ـ١٨) سنة التي تلي البلوغ، وصولاً إلى نهاية المرحلة الجامعية، والدخول في سوق العمل، وهي الفترة التي يكتمل فيها النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي بشكل عام.

وقبل مناقشة هذا التحديد، تجدر الإشارة إلى التعريف القاموسي الأجنبي (إنجليزي، فرنسي) للشباب، فإنّ قاموس (وبستر) على سبيل المثال، ومثله قاموس (لاروس) الفرنسي لا يتضمّنان تسمية قائمة بذاتها للشباب، كما هو شأن اللغة العربية، إنّهما يقولان بصفة الحداثة (Jeune, Young) وبالاسم منها (Jeunesse, Youth)، ويذكر (وبستر) أنّ هذه الصفة تدلّ على الفترة من الحياة التي يكون فيها الإنسان حدثاً، أو الفترة ما بين الطفولة والرشد، أو بين المراهقة والنضج، وأن تكون حدثاً هو أن تكون غير ناضج، أمّا قاموس (لاروس) ـ الذي يذهب المذهب نفسه ـ فيذكر أنّ كلمة حداثة (jeunesse) تعني بدايات الشيء أو أوّله، وهو ما أخذه عنه المعجم الوسيط تحديداً؛ إذ يذكر أنّ الشباب هو إدراك سنّ البلوغ إلى سنّ الرجولة، والشباب هو الحداثة، وشباب الشيء هو أوّله.

يرجع هذا التفاوت في تحديد الشباب وتعريفه إلى أنّه ظاهرة محدثة عموماً للدراسة والبحث، فمن الطريف الإشارة إلى أنّ علم نفس النمو مثلاً لا يفرد مرحلة خاصّة للشباب تُدرس بحدّ ذاتها، كما يفعل في تفصيل الطفولة ومراحلها (أُولى، وسطى، متأخّرة)، وتفصيل البحث في البلوغ ومرحلة المراهقة التي تليها، ثمّ يتم القفز مباشرة إلى سنّ الرشد؛ ذلك أنّه إلى تاريخ قريب نسبياً كان يتمّ الدخول في حياة الرشد في سنّ مبكرة عموماً، سواء في سوق العمل أم الزواج، أمّا الآن فقد أصبح الدخول في العضوية الاجتماعية الكاملة ـ أي: العمل المهني المنتظم، والزواج والمشاركة في الحياة العامة ـ يتأخّر بازدياد، مع طول مدّة الإعالة؛ وعليه ازداد سن الزواج خلال أقل من عقدين عشر سنوات، وأصبح يدور حول الثلاثينيات للصبيان، وحول (٢٥ ـ ٣٠) للفتيات[١].

(١) أُنظر: حجازي، مصطفى، الشباب الخليجي والمستقبل: ص١٧ـ١٨.

«وقد تمّ تحديد المقصود بالشباب في هذه الدراسة بالارتكاز على التحديد العمري لمرحلة الشباب، وأنّها الفترة العمرية التي تتراوح ما بين (١٦) ـ (٣٠) سنة، ثمّ إنّ هذه الدراسة عندما تتناول الشباب فهي أيضاً تُشير إلى فئة المراهقين؛ باعتبارهم من الشرائح العمرية المتفاعلة بسرعة مع ثورة الاتصال والإعلام وعصر العولمة وتدفّق المعلومات، وتحوّل العالم إلى قرية كونية صغيرة»[1].

ج ـ الشباب في القرآن الكريم

«بالرغم من أنّه لم ترد كلمة (الشباب) في القرآن الكريم بلفظها، إلّا أنّه وردت ألفاظ عدّة في القرآن تُشير إلى معنى الشباب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾، والفتى ـ كما يقول الراغب الإصفهاني ـ: الطري من الشباب، والأُنثى فتاة، والمصدر فتاء، ويكنّى بهما عن العبد والأَمة، قال: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾، والفتى من الإبل كالفتى من الناس، وجمع الفتى: فتية وفتيان، وجمع الفتاة: فتيات[2].

كما عبّر القرآن الكريم عن مرحلة الشباب بمرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾، فالإنسان يكون ضعيفاً في طفولته، ويحتاج إلى المساعدة والرعاية والاهتمام، وهو كذلك عندما يكبر، ويكون شيخاً عاجزاً عن القيام بأبسط أُموره ممّا يحتاج معه إلى الرعاية والمساعدة والاهتمام، أمّا مرحلة الشباب ـ وهي مرحلة القوّة ـ فهي مرحلة العطاء والفاعلية والنشاط.

كما تحدّث القرآن الكريم عن نماذج رائعة للشباب المؤمن، وعرّف قصصهم بأُسلوب

(١) من كتابي: الشباب والثقافة المعاصرة.. رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي: ص٢٣.
(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٣٧٥.

التصوير البياني الرائع، فقد أشار القرآن الحكيم إلى قصّة إسماعيل واستعداده للتضحية في سبيل الله تعالى، كما أشار إلى قصّة إبراهيم عندما كان شاباً يافعاً في مواجهة الأصنام والدعوة إلى توحيد الله تعالى.

كما عرض قصّة نبيّ الله يوسف عليه السلام، وكيف استطاع مقاومة فتنة النساء، وتفضيله السجن على إشباع الغرائز والشهوات، كما تحدّث عن قصّة فتية الكهف، وكيف حافظوا على إيمانهم في مواجهة مجتمع منحرف.

وعندما يتحدّث القرآن الكريم عن نماذج مؤمنة للشباب وبأُسلوب التصوير البياني المعجز، وبأُسلوب القصّة المؤثّر يريد أن يبعث برسالة للشباب في كلّ عصر ومصر إلى أهمّية الثبات على القيم والمبادئ، والتضحية من أجل قيم العدل والحق والحرية»[1].

المبحث الثاني: اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بالشباب

كان الإمام الحسين عليه السلام يتفقّد أحوال الشرائح الاجتماعية، ويسأل عن اهتمامات أصناف الناس في زمانه، وكان يولي عناية خاصّة بشريحة الشباب، وشريحة الموالي (العبيد).

قال جُعَيد همدان: «أتيت الحسينَ بن عليّ... فساءلني فقال: أخبرني عن شباب العرب أو عن العرب. قال: قلت: أصحاب جلاهقاتٍ[2] ومجالس. قال: فأخبرني عن الموالي. قال: قلت: آكلُ رباً، أو حريصٌ على الدُّنيا. قال: فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! والله، إنّهما للصِّنفانِ اللَّذان كُنّا نتحدّث أنّ الله تبارك وتعالى ينتصر بهما لدينه. يا جُعيد همدان، النّاس أربعةٌ: منهم مَن له خُلقٌ وليس له خَلاقٌ[3]، ومنهم مَن له خَلاقٌ وليس

(١) من كتابي: الشباب والثقافة المعاصرة، رؤية قرآنية في معالجة التحدّي الثقافي: ص٢٣ـ٢٥.
(٢) الجُلاهِق: «هو البُندُق الذي يُرمى به، ومنه (قوسُ الجُلاهِق)، وأصله بالفارسية (جُلَهْ)، وهي كُبّة غزل». الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٣، ص٦٣، مادّة (جلهق).
(٣) الخَلاقُ: الحظّ والنصيب. الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٧٠، مادّة (خلق).

له خُلقٌ، ومنهم مَن له خُلقٌ وخَلاقٌ؛ وذاك أفضل النّاس، ومنهم مَن ليس له خُلقٌ ولا خَلاقٌ؛ وذاك شَرُّ النّاس»[1].

فالإمام الحسين عليه السلام كان يسأل عن شريحة شباب العرب، أو العرب بصورة عامّة، وكانوا قد انغمسوا في الشهوات، وكانوا يرتادون مجالس اللهو واللعب، أمّا الموالي فكانوا شريحة مضطهدة مقهورة، يُنظر إليهم بدونية واحتقار، ويمارس ضدّهم التمييز العنصري، وكان العرب يعتبرون أنفسهم أفضل وأرقى قومية وجنساً منهم! ومع ذلك كانوا حريصين على الدنيا، ويأكلون الربا.

فأظهر الإمام الحسين عليه السلام أسفه على تلك الحالة؛ لأنّ هاتين الشريحتين لو كانتا في طريق الصلاح والخير اعتُمد عليهما في نصرة الإسلام، وبناء المجتمع؛ ونشر الخير والصلاح. ثمّ بيّن الإمام الحسين عليه السلام أصناف الناس، ومَن هم أفضل الناس وشرّهم.

وهذا الموقف والاهتمام بشريحة الشباب؛ لأنّهم أسرع الناس إلى كلّ خير، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي جعفر الأحول: «**أَتيتَ البصرة؟ فقال: نعم. قال: كيف رأيت مُسارعة النّاس إلى هذا الأمر، ودخولَهم فيه؟ قال: والله، إنّهم لقليل، ولقد فعلوا، وإنّ ذلك لقليل. فقال: عليك بالأحداث؛ فإنّهم أسرع إلى كلّ خيرٍ**»[2]، فالشباب طاقة هامّة من طاقات بناء المجتمع، فإذا استفيد من طاقاتهم وإمكاناتهم وقدراتهم بالاتجاه الإيجابي فإنّ ذلك يُسهم في تطوير المجتمع وازدهاره وتقدّمه.

أمّا الشريحة الأُخرى التي كان يسأل عنها الإمام الحسين عليه السلام فهي شريحة الموالي، وهي شريحة ضعيفة ومظلومة، ويمكن الاستفادة منها في نصرة الدين؛ لأنّها تسارع إلى التفاعل مع الدعوة لرفع الظلم والتمييز العنصري عنها.

ومن جهة أُخرى فإنّ اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بهاتين الشريحتين يبرز اهتمامه

(١) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص٣٦ـ٣٧. وأيضاً: ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، العقل وفضله: ص٥٨.

(٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج٤، ص٢٨٢.

بمختلف المكوّنات الاجتماعية، ونظرته الإيجابية للشرائح الفاعلة أو المظلومة من أجل إدارة المجتمع بصورة صحيحة، ويعزّز من قِيم التعايش والتسامح والانسجام والتواصل والتراحم بين مختلف الشرائح والمكوّنات الاجتماعية.

نصرة الشباب للإمام الحسين عليه السلام

اشترك في الجيش الحسيني الشباب والشيوخ، فقد كان أنصار الإمام الحسين عليه السلام من مراحل عمرية مختلفة، فمنهم مَن لم يبلغ الحلم كالقاسم بن الحسن عليه السلام، ومنهم مَن كان في ريعان شبابه كعلي الأكبر، وعبد الله وعبيد الله ابني يزيد بن نبيط، وهم من عبد القيس، خرجوا من البصرة إلى كربلاء لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وكان ليزيد بن نبيط بنون عشرة، فقال: أيّكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبيد الله وعبد الله[1].

ومن الشيوخ كان بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الذين انضمّوا إلى الركب الحسيني، كأنس بن الحارث الكاهلي، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة وغيرهم، وبحسب ما تُشير إليه بعض المصادر التاريخية عن أعمار الثوار والأنصار، فإنّ فئة الشباب كانت العنصر الغالب في تركيبة الجيش الحسيني، وأنصار الإمام الحسين عليه السلام.

المبحث الثالث: نماذج من شباب كربلاء

إنّ الغالب في أنصار الإمام الحسين عليه السلام في معركة كربلاء كانوا من شريحة الشباب، فعندما نُلقي نظرةً على أسماء الشهداء وأعمارهم سنجد أنّ أكثرهم كانوا من هذه الشريحة، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أبرزهم وأشهرهم، وهم:

١ـ علي بن الحسين الأكبر عليهما السلام

كان علي الأكبر في ريعان شبابه، وكان آية في الكمال والجمال والجلال، وأشبه

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٣.

الناس خلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أهل البيت عليهم السلام عندما يشتاقون إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ينظرون إليه، ولكنّه عندما رأى الموقف يتطلّب منه أن يدافع عن الدين، ويُضحّي من أجله، ويكون من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، بادر ليكون أوّل الهاشميين نزولاً إلى المعركة، ولم يكن يخشى أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه؛ لأنّه كان على الحق ومعه، وكان يقول لأبيه: «**يا أبه، أفلسنا على الحق؟ فقال: بلى يا بني، والذي إليه مرجع العباد. فقال: يا أبه، إذن لا نبالي بالموت**»[1].

وقد استُشهد علي الأكبر في معركة كربلاء بعدما بارز الأعداء بشجاعة بني هاشم، فقتل منهم مَن قتل، حتّى خرّ شهيداً في المعركة الفاصلة بين الحقّ والباطل، فهنيئاً له الشهادة مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

«**وقد ورد ذكره في: (الزيارة، الإرشاد، الطبري، الإصفهاني، الخوارزمي، المسعودي)، يكنّى أبا الحسن، كان له من العمر سبع وعشرون سنة. وردت رواية أنّه كان متزوجاً من أُم ولد، أُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهو أوّل مَن قُتل من بني هاشم**»[2].

وروى الخوارزمي: «**فتقدّم علي بن الحسين ـ وأُمّه ليلى بنت أبي مُرّة بن عروة بن مسعود الثقفي ـ وهو يومئذٍ ابن ثمان عشرة سنة، فلمّا رآه الحسين عليه السلام رفع شيبته نحو السماء، وقال: اللّهمّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه النّاس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله، كُنّا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللّهمّ فامنعهم بركات الأرض، وإن منعتهم ففرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً؛ فإنّهم دعونا لينصرونا ثمّ عَدَوا علينا يُقاتلونا ويقتلونا**.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٧.
(٢) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص١٢٩.

ثمّ صاح الحسين بعمر بن سعد: ما لك؟! قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلّط عليك مَن يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله! ثمّ رفع عليه السلام صوته وقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ثمّ حمل علي بن الحسين وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أوْلى بالنبي

والله لا يحكم فينا ابن الدعي ... أطعنكم بالرمح حتّى ينثني

أضربكم بالسيف حتّى يلتوي ... ضرب غلام هاشمي علوي

فلم يزل يقاتل حتّى ضجّ أهل الكوفة لكثرة مَن قتل منهم، حتّى أنّه رُوي أنّه على عطشه قتل مائة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبه، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل؛ أتقوّى بها على الأعداء؟

فبكى الحسين، وقال: يا بني، عَزّ على محمد وعلى عليّ وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يُجيبونك، وتستغيث بهم فلا يُغيثونك، يا بني، هات لسانك. فأخذ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتمه، وقال له: خذ هذا الخاتم في فيك، وارجع إلى قتال عدوّك، فإنّي أرجو أن لا تُمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأُ بعدها أبداً.

فرجع علي بن الحسين إلى القتال، وحمل وهو يقول:

الحرب قد بانت لَها حقائق ... وظهرت من بعدها مصادق

والله ربّ العرش لا نفارق ... جموعكم أو تُغمد البوارق

وجعل يقاتل حتّى قتل تمام المائتين، ثمّ ضربه مُنقذ بن مُرّة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعه فيها، وضربه النّاس بأسيافهم، فاعتنق الفرس فحمله الفرس إلى عسكر عدوّه، فقطّعوه بأسيافهم إرباً إرباً، فلمّا بلغت روحه التراقي، نادى بأعلى صوته: يا أبتاه!

هذا جدّي رسول الله، قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأُ بعدها أبداً، وهو يقول لك: العجل فإنّ لك كأساً مذخورةً. فصاح الحسين: قتل الله قوماً قتلوك! يا بني، ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حُرمة رسول الله! على الدنيا بعدك العفا»[1].

وهكذا قدّم علي الأكبر ـ وهو في بداية مرحلة الشباب ـ حياته فداء من أجل الدين، والدفاع عن الإسلام، وكان بإمكانه أن يعيش مثل أيّ شاب، متمتعاً بشبابه، ومستمتعاً بحياته، لكنّه لمّا رأى مستقبل الإسلام في خطر، وأنّ المعركة فاصلة بين الحقّ والباطل، قرّر باختياره وقناعته وإرادته أن يمضي شهيداً مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام؛ دفاعاً عن الحقّ والدين.

فعلى كلّ شاب الاقتداء بهذا الشاب القدوة والأُنموذج والرمز، وتحمّل المسؤوليات والواجبات الدينية والاجتماعية والعلمية وغيرها، واستثمار مرحلة الشباب في العمل الصالح، والسعي نحو الخير والصلاح والعطاء.

٢ـ القاسم بن الحسن عليهما السلام

القاسم هو نجل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وأُمّه أُمّ ولد، و«**اسمها نرجس**»[2]، كان جميلاً، كأنّ وجهه شقّة قمر، واستناداً إلى بعض الروايات فإنّه لم يبلغ سنّ البلوغ حين استُشهد[3]، لكن يرى مؤلّف لباب الأنساب أنّه كان ابن ستّ عشرة سنة[4].

وتدل كيفيّة استئذان هذا الفتى الإمام الحسين عليه السلام على قوّة معرفته، وكمال درايته وشهامته وإيمانه، ولعلّه بسبب صغر سنّه لم يأذن له الإمام عليه السلام بالذهاب إلى سوح القتال في بادئ الأمر، إلّا أنّ القاسم قبّل يدي الإمام عليه السلام ورجليه وأصرّ كثيراً حتّى أذن له.

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٠. وأُنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١١٤. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٢.
(٢) ابن فندق، علي بن أبي القاسم، لباب الأنساب: ج١، ص٣٤٢.
(٣) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٨.
(٤) أُنظر: ابن فندق، علي بن أبي القاسم، لباب الأنساب: ج١، ص٤٠١.

وفي حين كانت قطرات الدموع تسيل على خدّيه، حمل على صفوف العدوّ، وهو يرتجز:

إن تُنكروني فأنا فرع الحسن ... سبط النبيّ المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سُقوا صوب المُزن[1]

وبعد أن قتل عدداً من عسكر ابن سعد، التحق بركب الشهداء. وقد ورد اسمه في الزيارة الرجبية[2]، وزيارة الناحية المقدّسة[3].

وننقل بعض ما جاء في المصادر المعتبرة حول مقتل القاسم عليه السلام، فقد جاء في تاريخ الطبري عن حميد بن مسلم قال: «**خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع**[4] **أحدهما ـ ما أنسى أنّها اليسرى ـ فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله، لأشدنّ عليه. فقلت له: سبحان الله، وما تريد إلى ذلك؟! يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم. قال: فقال: والله، لأشدنّ عليه. فشدّ عليه، فما ولى حتّى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه. فقال: يا عمّاه. قال: فجلى الحسين كما يجلي الصقر، ثمّ شدّ شدّة ليث غُضب**[5]**، فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنّها**[6] **من لدن المرفق فصاح، ثمّ تنحّى عنه، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من حسين، فاستقبلت عمراً بصدورها فحرّكت حوافرها وجالت**

---

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٧. وأيضاً: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١١٢. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٦ـ١٠٧. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٤.

(٢) أُنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٨، ص١٥٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦٧ـ٦٨.

(٤) «الشِّسْع: أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الإصبعين». الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٤٧٢، مادّة (شسع).

(٥) غُضُب: «شديد الغضب». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٦٤٩، مادّة (غضب).

(٦) يقال: «ضربَ رجلَه فأطَنَّ ساقَهُ ...: أي: قَطَعَها». المصدر السابق: ج١٣، ص٢٦٨، مادّة (طنن).

الخيل بفرسانها عليه، فتوطأته حتّى مات، وانجلت الغبرة، فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجليه، وحسين يقول: بُعداً لقوم قتلوك ومَن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك. ثمّ قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يُجيبك، أو يُجيبك ثمّ لا ينفعك، صوت والله كثر واتره[1] وقلّ ناصره. ثمّ احتمله فكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض، وقد وضع حسين صدره على صدره، قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به؟ فجاء به حتّى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين وقتلى قد قُتلت حوله من أهله بيته، فسألت عن الغلام، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب»[2].

وفي الأمالي للصدوق: «**وبرز من بعده** [أي: بعد علي بن الحسين] **القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب**عليهم السلام، **وهو يقول:**

لا تجزعي نفسي فكلّ فانِ ... اليوم تلقين ذُرى الجنانِ

فقتل منهم ثلاثةً، ثمّ رُمي عن فرسه»[3].

وممّا سبق يتضح أنّ القاسم بن الحسنعليه السلام كان فتى يافعاً في بداية شبابه، ولكنّ عقله كان عقل الكبار، تميّز بالجمال والكمال، آثر الآخرة على الدنيا، والشهادة بعزّ على العيش بذلّ، تعلّم فنّ المبارزة من عمّه العبّاسعليه السلام، وعاش يتيماً، وقد تربّى في كنف عمّه الإمام الحسينعليه السلام، فأخذ منه العزّة والإباء والشجاعة، كان يرى الموت مع الحسينعليه السلام أحلى من العسل، فقد رُوي في كتاب الهداية الكبرى، للحسين بن حمدان الخصيبي، عن الإمام زين العابدينعليه السلام في بيان أحداث ليلة عاشوراء:

---

(١) الوِتْر: «الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي». المصدر السابق: ج٥، ص٢٧٤، مادّة (وتر).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٤٧. وأُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي ابن الحسين، مقاتل الطالبيّين: ص٩٣. وأيضاً: ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٦٩.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٦، ح٢٣٩. وأيضاً: النيسابوري، محمد بن الفتّال، روضة الواعظين: ص٢٠٨. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢١.

«فقال له القاسم...: يا عمّ! وأنا أُقتل؟ فأشفق عليه، ثمّ قال: يابن أخي! كيف الموت عندك؟ قال: يا عمّ أحلى من العسل! قال: إي والله، فذلك أحلى»[1].

ولم يقبل القاسم أن تفوته الشهادة، فأصرّ على عمّه أن ينزل إلى المعركة حتّى أذن له، فقاتل قتال الأبطال، حتّى نال وسام الشهادة؛ وما أعظمه من وسام!

٣ـ عبد اللّه بن مسلم بن عقيل

هو عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأُمّه رقيّة بنت الإمام علي عليه السلام[2]، كان عمره حين استُشهد (٢٦) سنة[3]، ويظهر من بعضهم أنّه أوّل شهيد من أهل البيت عليهم السلام[4]، ولكنّه قد استُشهد بعد علي الأكبر استناداً إلى روايات عدّة من المصادر[5].

ورد اسمه في زيارتي الناحية والرجبية[6]، فجاء في زيارة الناحية المقدّسة: **«السلام على القتيل ابن القتيل، عبد الله بن مسلم بن عقيل، ولعن الله قاتله عامر بن صعصعة. وقيل: أسد بن مالك»**[7].

---

(١) الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص٢٠٤. وجاء ما يشبه هذه الرواية في كتاب مدينة المعاجز للبحراني: ج٤، ص٢١٥.

(٢) أُنظر: الزبيري، مصعب، نسب قريش: ص٤٥، وأيضاً: العصفري، خليفة بن خيّاط، تاريخ خليفة: ص١٧٩، وفيه: «رقية بنت محمد بن سعيد بن عقيل». وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١٠٣. وأيضاً: ابن الشجري، هبة الله، أمالي ابن الشجري: ج١، ص١٧١. وأيضاً: المحلي، حميد بن أحمد، الحدائق الورديّة: ج١، ص١٢١. وأيضاً: القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٩٥.

(٣) أُنظر: ابن فندق، علي بن أبي القاسم، لباب الأنساب: ج١، ص٣٩٩. وأيضاً: المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال: ج٢، ص٢١٧، وفيه: «١٤ سنة»، ومن البعيد أن يبارز شابٌّ ذو (١٤) عاماً ضمن أوائل القوم.

(٤) أُنظر: ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٦٧.

(٥) أُنظر: الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص٢٥٦ـ٢٥٧. ويمكن استفادة ذلك أيضاً من أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص٤٠٦، والإرشاد للمفيد: ج٢، ص١٠٧.

(٦) أُنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٨، ص١٦٤.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٧١.

وجاء في كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ما نصّه: «**لمّا قُتل أصحاب الحسين عليه السلام، ولم يبقَ إلّا أهل بيته، وهم ولد علي، وولد جعفر، وولد عقيل، وولد الحسن، وولده، اجتمعوا، وودّع بعضهم بعضاً، وعزموا على الحرب، فأوّل مَن خرج من أهل بيته**[1] **عبد الله بن مسلم بن عقيل، فخرج وهو يقول:**

اليوم ألقى مسلما وهو أبي ... وفتية بادوا على دين النبي
ليس كقوم عُرفوا بالكذب ... لكن خيار وكرام النسب

ثمّ حمل فقاتل، وقتل جماعة، ثمّ قُتل»[2].

وفي الأمالي للشيخ الصدوق: عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين، عن أبيه، عن جدّه [زين العابدين] عليهم السلام: «**برز من بعده** [أي: بعد هلال ابن حجّاج] **عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأنشأ يقول:**

أقسمت لا أُقتل إلّا حُرّاً ... وقد وجدت الموت شيئاً مُرّاً
أكره أن أُدعى جباناً فَرّاً ... إنّ الجبان مَن عصى وفَرّاً

فقتل منهم ثلاثةً، ثمّ قُتل»[3].

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: « **ثمّ رمى رجل من أصحاب عمر بن سعد ـ يقال**

---

(١) بناءً على الرأي المشهور القائل: إنّ أوّل شهيد من أهل البيت عليهم السلام هو علي الأكبر، ينبغي القول: إنّ أوّل شهيد بعده منهم هو عبد الله بن مسلم بن عقيل.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٦. وأُنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١١٠. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٥. وأيضاً: النيسابوري، محمد بن الفتّال، روضة الواعظين: ص٢٠٧، من دون إسناد إلى أحد من أهل البيت عليهم السلام. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢١.

له: عمرو بن صبيح ـ عبدَ الله بن مسلم بن عقيل رحمه الله بسهمٍ، فوضع عبد الله يده على جبهته يتّقيه، فأصاب السهم كفّه ونفذ إلى جبهته فسمرها به، فلم يستطع تحريكها، ثمّ انتحى عليه آخر برمحه فطعنه في قلبه فقتله»[1].

وقد كان لأولاد عقيل بن أبي طالب دور مؤثّر وفاعل في النهضة الحسينية، ففضلاً عن شهادة مسلم بن عقيل فقد استُشهد في هذا السبيل ابنه عبد الله، وإخوته جعفر، وعبد الله، وعبد الرحمن، وكذلك محمد بن أبي سعيد، وهو ابن أخيه الآخر.

ونكتفي بذكر هذه النماذج (القدوات) من شباب كربلاء، وإلّا فإنّ الحديث عنهم يطول، فإنّ أغلب مَن استُشهد في كربلاء كانوا من شريحة الشباب، كأولاد عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب، وأولاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وأشهرهم القاسم الذي أشرنا إليه، وأولاد عقيل بن أبي طالب، وغيرهم. وحري بشباب اليوم الاقتداء والتأسّي بمثل هؤلاء الشباب الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل الدين، وآثروا الآخرة على الدنيا.

المبحث الرابع: واجبات الشباب اليوم

انطلاقاً من دروس النهضة الحسينية، وتضحيات الشباب في واقعة كربلاء الأليمة، فإنّ شباب هذا العصر، وفي كلّ عصر، يتحمّلون واجبات ومسؤوليات كبيرة، نُشير إلى أبرزها في النقاط الآتية:

١ـ تعزيز المنظومة القيميّة

الإمام الحسين عليه السلام ـ كباقي الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ رسم لنا منهجاً للتعرّف على الإسلام المحمدي الأصيل، وعلينا أن نسير على ذلك المنهج الذي مَن سار عليه

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٧. وأيضاً: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى: ج١، ص٤٦٥. وأيضاً: ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٦٧. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٤.

نجا، ومَن تخلّف عنه غرق وهوى، والارتباط بمنهج الإمام الحسين عليه السلام يعني اتباع خطّه الديني والقيمي، والسير على فكره ومنهجه العلمي والعملي، أمّا ادّعاء محبّة الإمام عليه السلام ومودّته من دون السير على نهجه، فلا يعدو كونه حبّاً أجوف، بلا معنى أو قيمة حقيقية.

وقد ثار الإمام الحسين عليه السلام من أجل أن يبقى الدين سليماً من التحريف والتضليل الذي مارسه بنو أُميّة؛ إذ انتشر في عهد يزيد الفساد علناً، وحُرِّف الدين عن أُصوله وفروعه، فأراد الإمام عليه السلام أن يُسجّل بنهضته درساً عملياً للحفاظ على المبادئ والقيم الدينية والأخلاقية، وهذا هو واجبنا اليوم أيضاً، أن نتمسّك بالمبادئ والقيم والمُثُل والأخلاق التي باتت في خطر في ظلّ انتشار القنوات الفضائية المنحلّة، وما يقدّمه الإنترنت من مواقع مخلّة بالآداب والأخلاق، وانتشار الوسائل الجديدة والمتنوّعة لنقل الصور الإباحية، والأفلام المروّجة لثقافة العري والتحلّل والفساد.

إنّ على كلّ شاب أن يسعى وبمقدار ما يستطيع من أجل تعزيز المبادئ والقيم والأخلاق في البنية الاجتماعية العامّة، ويتمّ ذلك عبر التمسّك بها، ونشرها في كلّ مكان، ومحاربة الرذيلة والفساد والميوعة التي يبثّها الإعلام الفاسد في بيوتنا ومجتمعاتنا.

إنّ مسؤولية كبيرة وعظيمة تقع على الشباب المؤمن في مجال حماية المبادئ والقيم والأخلاق ونشرها وتجذيرها، التي من أجلها ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وأهله وأصحابه، والدفاع عن ذلك بمختلف الوسائل المتاحة والممكنة التي تناسب الشباب في كلّ زمان ومكان.

٢ـ التخلّق بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام

سيرة الإمام الحسين عليه السلام سيرة مشرقة وعظيمة، فالإمام الحسين عليه السلام قمّة في الأخلاق، ومَثَل أعلى في العبادة والارتباط بالله، ومضرب للمثل في الشجاعة

والتضحية من أجل الدين، وعلى الشباب اليوم الاقتداء بسيرته الروحية والأخلاقية العظيمة، أن يقتدوا بأخلاقه، وعبادته، وتضحياته، وصبره، وشجاعته، ورحمته، وعطفه، وإنسانيته.

الذي يحبّ الإمام الحسين عليه السلام حقّاً عليه أن يسير على نهجه، وأن يستمرّ على منهجه، فلا يكفي لـمَن يحبّه أن يبكي عليه، أو يلطم صدره وخدّه حزناً عليه، أو يحضر مأتمه، وإن كان كلّ ذلك مطلوباً، وفيه ثواب وأجر عظيم، ولكنّ تلك الممارسات إذا تحوّلت إلى مجرّد طقوس شكلية، وعادات اعتدناها بلا هدف أو غاية، فسوف تفقد أيّ تأثير إيجابي فيمَن يمارسها، تماماً كمَن يصلّي ولكنّ صلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، مع أنّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، أمّا إذا كانت الصلاة لا تنهى المصلّي عن ارتكاب المحرّمات، فعليه أن يعلم أنّ صلاته فيها خلل، وعليه أن يبحث عن مواطن الخلل والنقص فيها لإصلاحها.

وسيرة الإمام الحسين عليه السلام حافلة بالأخلاق الراقية، والمواقف الإنسانية النبيلة، وعلى الشباب استذكار تلك الأخلاقيات الجميلة والرفيعة للإمام الحسين عليه السلام من أجل الاقتداء والتأسّي بسيرته العظيمة، فهو مثال للإنسان الكامل، والشخصية العظيمة، والاقتداء والتأسّي إنّما يكون بالقدوة الصالحة، وهو خير مَن يمثّل القدوة والأُنموذج الكامل.

وقد أمرنا الإمام الحسين عليه السلام بالاقتداء والتأسّي بشخصيته العظيمة، فقد رُوي عنه عليه السلام أنّه قال: «**فلكم بي أُسوة**»[2]، فهو خير أُسوة وقدوة للمؤمنين. وأُولى الخطوات المهمّة للاقتداء والتأسّي بالإمام الحسين عليه السلام هي: معرفته، ومطالعة تفاصيل حياته المباركة، وقراءة سيرته الأخلاقية والإنسانية، ثمّ التأسّي بتلك السيرة، والاقتداء بتلك الأخلاق التي هي أخلاق الإسلام وآدابه.

---

(١) العنكبوت: آية ٤٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

إنّ مجتمعنا المسلم اليوم أحوج ما يكون إلى التحلّي بالقيم الأخلاقية، والتعامل مع مختلف الآراء والتوجّهات الثقافية، والتيارات الفكرية، والمكوّنات الاجتماعية، بأخلاقيات التسامح والتعايش، والتحلّي بآداب الاختلاف.

إنّ الاقتداء بسيرة الإمام الحسين عليه السلام يجب ألّا يكون مجرّد لقلقة لسان، أو دغدغة مشاعر، وإنّما يجب أن تنعكس على مسيرتنا وسيرتنا وتعاملنا وأخلاقنا وثقافتنا، حتّى نصل إلى مرحلة التسامح الإيجابي، ونبتعد عن لغة اللاتسامح والإقصاء والإلغاء، فإنّ هذا يؤثر سلباً في بناء المجتمع وتقدّمه وتطوّره، فلا يمكن أن يتطوّر أيّ مجتمع إنساني إلّا عندما تسود فيه الأخلاق الفاضلة، وتتجذّر فيه قيم وآداب الاختلاف.

٣ـ تحمّل المسؤولية

هناك درس آخر نتعلّمه من سيرة الإمام الحسين عليه السلام وقصّة عاشوراء الأليمة، وهو تحمّل المسؤولية الدينية والاجتماعية، فالإنسان ـ رجلاً كان أم امرأة ـ مسؤول عمّا يحدث من حوله، ومسؤول عن الارتقاء الحضاري بمجتمعه وأُمته، ومسؤول عن الدفاع عن دينه وأخلاقياته وثقافته، وهذا ما قام به شباب كربلاء ـ وغيرهم ـ ممّن ناصروا الإمام الحسين عليه السلام، وتحمّلوا المسؤولية، وهذا الشعور والإحساس والالتزام بالمسؤولية الدينية والاجتماعية هو أحد دوافع الالتحاق بثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وقراءة سيرة عاشوراء بتمعّن وتأمّل تدفع الشباب جميعاً لتحمّل المسؤولية، والقيام بما يجب عليهم القيام به من واجبات ووظائف دينية واجتماعية؛ فالإمام الحسين عليه السلام إنّما ثار ونهض واستُشهد مع أصحابه وأهل بيته بدافع تحمّل المسؤولية، وذلك أحد دوافع النهضة الحسينية المباركة.

ولأنّ مرحلة الشباب من أكثر المراحل المهمّة في حياة الإنسان؛ لما يملكه الشاب من قوّة وصحّة وقدرة كامنة، يقع على عاتقه تحمّل المسؤوليات الكبيرة، فالأطفال ليسوا قادرين، ولا يمكن تكليفهم بأيّ مسؤولية، وكبار السنّ كذلك؛ لأنّهم عاجزون

عن تحمّل المسؤولية مباشرة، وربّما يكونون في مكانة تؤهّلهم للاستشارة وأخذ الرأي فقط؛ ولذلك يجب اغتنام مرحلة الشباب، وتوظيفها في القيام بالمسؤوليات الدينية، والواجبات الشرعية والوظيفية والمجتمعية.

والشباب باعتبارهم طاقة متدفّقة، وهي تمثّل مرحلة العنفوان والقوّة والحيوية والصحّة، عليهم أن يشعروا بحسّ المسؤولية، ونحن نجد في تفاصيل معركة كربلاء ثلّة من الشباب المؤمن الذين شاركوا في قيام الثورة الحسينية الخالدة التي جسّدها التاريخ ملحمة للخلود.

ومن هؤلاء الشباب: علي الأكبر، والقاسم بن الحسن عليهما السلام، وعبد الله بن مسلم ابن عقيل، وغيرهم من صفوة الشباب الذين كانوا في ريعان شبابهم أو في مقتبله، لكنّهم ضحّوا بأنفسهم بدافع المسؤولية الدينية، ووقفوا مع الإمام الحسين عليه السلام، وآثروا الآخرة على الدنيا، وقدّموا أنفسهم رخيصة في سبيل الدفاع عن الدين، فهذا الدرس يجب أن يستفيد منه شباب هذا العصر، وفي كلّ عصر، وهو تحمّل المسؤولية، فالمسؤولية التزام وأمانة وواجب، وهي تعبير عن وعي الإنسان ورقيّه، وهذا ممّا يتميّز به الإنسان عن غيره من المخلوقات الأُخرى، وتلك كرامة من الله تعالى للإنسان، بأن جعل لديه القدرة على تحمّل المسؤوليات الكبيرة والعظيمة.

ومجالات المسؤولية عند شباب اليوم عديدة؛ إذ تقع على الإنسان بصورة عامّة، والشباب بصورة خاصّة، الكثير من المسؤوليات، ومن أهمها ما يلي:

المسؤولية الأُولى: هي مسؤولية الشاب ـ سواء كان ذكراً أم أُنثى ـ تجاه نفسه، بأن يهذّبها ويزكّيها بحسن الخُلق، وينمّيها بالعلم والمعرفة، وأن يكون له دافع ذاتي من نفسه، فيوم القيامة هو المسؤول عن كلّ جوارحه التي تشهد عليه بما قام به، وبما فعل.

والمسؤولية الثانية: هي مسؤولية الشاب عن أهله وزوجته وأولاده وداره، بأن يُنفق عليهم ويرعاهم ويُحسن تربيتهم، ويُدير شؤونهم.

والمسؤولية الثالثة: هي مسؤوليته تجاه مجتمعه، فالمجتمع يتطوّر ويتقدّم بأهله،

وبالشباب خصوصاً؛ لما يمتلكونه من صفات وسمات تساعدهم على العطاء الاجتماعي، والإنجاز العلمي، وبمقدار ما يبذلونه من جهد وخدمة يُسهمون في إظهار المجتمع بصورة أجمل وأرقى، ويكونون عنصراً فعّالاً في خدمة مجتمعهم وأُمّتهم، وأداة بناء وتطوير وتقدّم في المجتمع.

وللأسف نجد أنّه في مقابل الشباب الذين يتحمّلون المسؤوليات الملقاة على عاتقهم هناك قسم من الشباب لا يتصفون بحسّ المسؤولية، ويعيشون حياة اللامبالاة والإهمال، حتّى تجاه أنفسهم، فضلاً عن غيرهم، هؤلاء يكونون عبئاً ثقيلاً على المجتمع، وعالة عليه.

والمسؤولية الرابعة: هي مسؤولية الشاب الموظّف تجاه وظيفته، سواء في القطاع العام أم الخاصّ؛ إذ يجب عليه أن يقوم بواجبه الوظيفي على أكمل وجه، ويؤدّي المهام الموكلة إليه، وألّا يسوّف في إنجاز المعاملات، وألّا يقصّر ولا يُهمل ولا يتغيّب عن عمله من غير عذر، وأن يكون مُخلصاً وأميناً في وظيفته، خصوصاً فيما يتعلّق بأُمور الناس، وقضاء حوائجهم.

إنّ عِظم مسؤولية الشباب ينبع مما يملكونه من طاقات ومواهب وقدرات، وعليهم أن يقوموا بمسؤولياتهم على خير وجه، وألّا يبدّدوا هذه الطاقات الفيّاضة فيما لا يُفيد ولا ينفع؛ لأنّ كلّ واحد منهم مسؤول عن طاقاته ومواهبه وفكره وعلمه، وعمّا أعطاه الله تعالى من نِعم كثيرة، يجب عليه أن يستثمرها في خدمة نفسه وأهله ومجتمعه ووطنه وأُمته.

٤. التميّز بالعلم

التميّز بالعلم والتفوّق فيه هو من أهم الأُمور التي يجب أن تحظى بعناية كبيرة عند شباب اليوم، فكسب العلم هو وسيلة لدى الشاب الواعي من أجل هدف نبيل، وهو فعل الخير لمجتمعه وأُمّته، وصناعة التقدّم العلمي، فالعلم هو قوّة الحاضر والمستقبل.

وكثيرة هي النصوص والأحاديث الشريفة التي تحثّ على طلب العلم والمعرفة؛ لما للعلم من قيمة ذاتية في نفسه، فبالعلم تُبنى الدنيا، وتُعمّر الآخرة، فمَن أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومَن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومَن أرادهما معاً فعليه بالعلم.

فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**العلم رأس الخير كلّه، والجهل رأس الشرّ كلّه**»(١)، وورد أيضاً عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «**لا كنز أنفع من العلم**»(٢)، وكذلك قوله عليه السلام: «**لا شرف كالعلم**»(٣)، وقوله عليه السلام: «**العلم مصباح العقل**»(٤).

ويستطيع كلّ شاب أن يتميّز بالعلم، ويتخصّص في مختلف المجالات العلمية، ليضيف قوّة إلى مجتمعه؛ فالمجتمع إنّما يتميّز بالطاقات والكفاءات العلمية القديرة والكفوءة.

ولعلّ أبرز عامل حافَظ على مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو تميّزهم بالعلم والمعرفة، فقد كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام أعلم الناس في زمانهم بلا منافس، وقد حثّوا على طلب العلم والتعلّم، فيجب أن يحمل الشاب والشابة همّ العلم، وقلق المعرفة، حتّى ينفع كلّ منهما نفسه ومجتمعه ووطنه؛ فالشباب اليوم يستطيعون أن يكونوا عنصراً فاعلاً ومهمّاً ومشاركاً في مجالات العطاء المتنوّعة التي يحتاج إليها المجتمع المعاصر.

إنّ الشباب هم أمل الأُمّة ومستقبلها، وعليهم المشاركة والمساهمة في تنمية المجتمع وتطويره، فالمجتمع لا يتقدّم إلّا بعطاء أهله وشبابه الواعي والمتعلّم.

الخاتمة

بعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث وإكماله، نذكر أهم النتائج المستخلصة منه في النقاط الآتية:

---

(١) المصدر السابق: ج٧٤، ص١٧٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٩.

(٣) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ص٤٨٨، الحكمة ١١٣.

(٤) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم: ص٥٣٦.

١ـ إنّ شريحة الشباب تمثّل أهم شريحة اجتماعية مؤثّرة في مسار أيّ حركة اجتماعية، وفي مجريات الأُمور في الحياة العامّة، وفي رسم معالم المستقبل، فضلاً عن الحاضر، فالشباب يمثّلون عنصراً هامّاً من عناصر التغيير والتأثير الفاعل في مسار المجتمعات الإنسانية على طول التاريخ.

٢ـ نتيجة لأهمّية الشباب ودورهم الرئيس في أيّ تغيير اجتماعي عام؛ نجد اهتمام جميع المصلحين والقادة والزعماء بشريحة الشباب، والعمل على استقطابهم نحو أهدافهم المحدّدة؛ لأنّ مَن يكسب الشباب يكسب القدرة على تحقيق أهدافه وغاياته بغض النظر عن صحّتها أو خطئها.

٣ـ تعدّ أيّام الشباب من أجمل وأبهى وأحلى وأمتع أيّام الإنسان؛ إذ الصحّة والعافية والقوّة الجسمية والنفسية والعقلية في أوجّها؛ فمرحلة الشباب هي مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة كما أشار القرآن الكريم؛ ولذا تعدّ مرحلة الشباب مرحلة القدرة على العمل والإنتاج والعطاء في أقصى الحدود الممكنة؛ كما أنّها مرحلة القدرة على تحمّل المسؤوليات الكبيرة والمهمّة إذا ما أُتيحت لهم الفرصة للاستفادة من طاقاتهم ومواهبهم وقدراتهم.

٤ـ يجب الاستفادة من الحماس الديني عند الشباب في توجيههم نحو أفعال الخير والصلاح، وزيادة فاعليتهم الاجتماعية، وتقوية إرادتهم وعزائمهم فيما يخدم قضايا المجتمع والأُمّة، كما يجب الاستفادة من الحماس الديني عند الشباب بدفعهم نحو الفهم الصحيح لقضايا الدين، والاطلاع الواسع والعميق على مفاهيم الدين ومقاصده؛ فالشاب عندما يكون متحمساً يكون مهيّئاً للتعليم والتربية والإصلاح، وممارسة العمل الديني بجدّ وإخلاص.

٥ـ كان الإمام الحسين عليه السلام يتفقّد أحوال الشباب، ويسأل عنهم، ويرشدهم إلى طريق الخير والعلم والصلاح، فالإمام عليه السلام يعلم أهمّية مرحلة الشباب، وأنّهم طاقة

كبيرة يجب استثمارها في مصلحة الدين وعمارة الأرض وخدمة قضايا المجتمع، ومن هنا يجب استيعاب طاقات الشباب والاستفادة منها.

٦ـ كان للشباب مكانة متقدّمة في النهضة الحسينية، ودور فاعل ومؤثّر في تفاصيل معركة عاشوراء، وبحسب ما تُشير إليه المصادر التاريخية فيما يرتبط بأعمار الثوار والأنصار فإنّ فئة الشباب كانوا هم العنصر الغالب في تركيبة الجيش الحسيني، وأنصار الإمام الحسين عليه السلام؛ فعندما نُلقي نظرة على أسماء الشهداء وأعمارهم سنجد أنّ أكثرهم كانوا من هذه الشريحة المؤمنة.

٧ـ ضرب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في التضحية والفداء والإيثار، فقد قدّم القائد ابنه (علياً الأكبر) في قتال الأعداء حتّى خرّ شهيداً، وكان أوّل مَن قُتل من بني هاشم، ولم يبخل بولده على الرغم من أنّه كان آية في الكمال والجمال والجلال، وفي بداية شبابه، وعنفوان حياته.

٨ ـ انطلاقاً من دروس النهضة الحسينية، وتضحيات الشباب في واقعة كربلاء الأليمة، فإنّ شباب هذا العصر، وكلّ عصر، يتحمّلون واجبات ومسؤوليات كبيرة، من أبرزها: تعزيز المنظومة القيمية والأخلاقية، والتخلّق بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام، والاقتداء والتأسّي بسيرته العظيمة، وتحمّل المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، والاستضاءة بنهجه في الحياة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داوُد الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٩٦٠م.

٢ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد (ت٤١٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت

ـ لبنـان، الطبعة الأُولى. وطبعة: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: مؤسسـة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٣ـ الأُسرة ومشـكلة العنف عند الشـباب.. دراسـة ميدانية لعيّنة من الشـباب في جامعة الإمـارات العربيـة المتحـدة، طلعـت إبراهيـم لطفـي، مركز الإمـارات للدراسـات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ـ الإمارات، الطبعة الأُولى، ٢٠٠١م.
٤ـ إعـلام الـورى بأعلام الهـدى، أبو عـلي الفضل بن الحسـن الطـبرسي (ت٥٤٨ هـ)، دار مكتبـة الحياة، بـيروت ـ لبنان، ١٩٨٥م. وطبعة مؤسسـة الأعلمي للمطبوعات، بـيروت ـ لبنـان، الطبعـة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. وطبعة مؤسسـة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.
٥ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
٦ـ أمالي ابن الشـجري، أبو السـعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسـني العلوي المعروف بابن الشجري(ت٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٧ـ الأمـالي، أبـو جعفـر محمد بن علي بن الحسـين بـن بابويـه القمّي المعـروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسسـة التاريـخ العـربي، بـيروت ـ لبنـان، الطبعـة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٨ـ الإمامـة والسياسـة، أبـو محمد عبـد الله بن عبد المجيد بن مسـلم بن قتيبـة الدينوري، (ت٢٧٦هـ ـ ٨٨٩م)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
٩ـ أنصار الحسـين عليه السلام.. دراسة عن شهداء ثورة الحسين، محمد مهدي بن عبد الكريم بن عباس آل شمس الدين (ت٢٠٠١م)، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٠ـ بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١١م)، مؤسسـة أهل البيت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
١١ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء الدمشقي (ت٧٧٤هـ)،

اعتنى به: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٢ـ تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ ـ ١٧٩١م)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ.
١٣ـ تاريخ الأُمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت٣١٠ هـ ـ ٩٢٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٤ـ تاريخ خليفة بن خيّاط، أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة العصفري (ت٢٤٠هـ ـ ٨٥٤م)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.
١٥ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت١١٧٦م)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.
١٦ـ تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
١٧ـ تنقيح المقال في علم الرجال، عبدالله بن محمد حسن بن عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، تحقيق: محيي الدين المامقاني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.
١٨ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ ـ ١٣٤١م)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٩ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، محمد بن أحمد الدمشقي (ت٨٧١ هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة، ١٤١٥هـ.

٢٠ـ الحدائق الوردية في مناقب أئمّة الزيدية، حميد بن أحمد بن محمد المحلي (ت٦٥٢هـ)، نشر جامع النهرين، صنعاء ـ اليمن.
٢١ـ الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت٣٨١ هـ)، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢٢ـ رجال الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.
٢٣ـ رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت٤٥٠هـ)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٢٤ـ روضة الواعظين، محمد بن الفتّال النيسابوري (ت٥٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
٢٥ـ الشباب الخليجي والمستقبل: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٨م.
٢٦ـ الشباب والثقافة المعاصرة.. رؤية قرآنية في معالجة التحدّي الثقافي، عبد الله أحمد اليوسف، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٢٧ـ شرح الأخبار، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي القاضي المغربي (ت٣٦٣ هـ)، تحقيق: السيّد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة.
٢٨ـ الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٢٩ـ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٣٠ـ العقل وفضله، أبو بكر عبد الله محمد عبيد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣١ـ غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت٥١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٢ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، د.ت. وطبعة دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
٣٣ـ فروع الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، ضبطه وصحّحه وعلّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٣٤ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، راجعه وصححه: محمد يوسف الرقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٥ـ كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، مؤسسة دار الهجرة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٣٦ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ ـ ١٥٦٧م)، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٣٧ـ لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد بن فندق البيهقي (ت٥٦٥هـ ـ ١١٦٩م)، مكتبة السيّد المرعشي النجفي العامّة، قم المقدّسة، ١٤١٠هـ.
٣٨ـ لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ابن منظور)، (ت٧١١هـ ـ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٣٩ـ مثير الأحزان، نجم الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي، (ت٦٤٥هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ـ العراق، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
٤٠ـ مجمع البحرين، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي، (ت١٠٨٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤١ـ مدينة المعاجز، أبو المكارم هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ، أو ١١٠٩هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٢ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، دار الهداية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٤٣ـ مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، مطبعة حيدري، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.

٤٤ـ معجم القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت١٤١٥م)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٥ـ المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠هـ ـ ٩١٨م)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية.

٤٦ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأُولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٧ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤٨ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت٣٥٦هـ ـ ٩٧٦م)، شرح وتحقيق: السيّد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٤٩ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو المؤيّد الموفّق محمد بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، دار أنوار الهدى ـ قمّ المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٥٠ـ الملهوف في قتلى الطفوف، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، د.ت. وطبعة مهر، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٥١ـ مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ)، تحقيق وفهرسة: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٥٢ـ المنتخب، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٣ـ مُنية المريد في أدب المفيد والمستفيد، زين الدين بن علي الجبعي العاملي (الشهيد الثاني)، (ت٩٦٥هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٥٤ـ موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمد الريشهري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٥٥ـ نسب قريش، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت٢٣٦هـ)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ١٩٥٣م.

٥٦ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ ـ ١٢١٠م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٧ـ نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٣م.

٥٨ـ الهداية الكبرى، أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٩ـ الوافي، محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: السيّد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

أزواج الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة تاريخية تحليلية
الحلقة الأُولى: شاهزَنان الساسانية

شاكر الغزي*

مقدّمة

شاهزنان هي الزوجة الثالثة للإمام الحسين عليه السلام، بعد الرباب الكلبية وأُمّ جعفر القضاعية، وإذا صحّ ما احتملناه من كون الرباب هي أُمّ جعفر؛ فستكون السيّدة شاهزنان هي زوجة الإمام الثانية.

ويرد اسم السيّدة شاهزنان في صدارة زوجات الإمام الحسين عليه السلام في أغلب المصادر، في حين أنّ السياق التاريخي يقتضي البدء بذكر السيّدة الرباب؛ ولعلّ ذلك يُبرَّر بكون السيّدة شاهزنان أُمّاً للإمام السجّاد عليه السلام، فيُبتدأُ بها من باب تشرّفها بحمل الإمام المعصوم.

أشهر أسمائها: شاه زَنان، وشهربانو[1].

---

* كاتب وأديب، من العراق.

(١) شاه زَنان: اسم فارسي مكوّن من كلمتين، شاه: بمعنى ملك، وزَنان: بمعنى نساء، و(شاه زَنان): أي سيّدة النساء؛ ولذا ورد أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام رفض هذه التسمية حين سألها عن اسمها، «فقالت: شاه زنان بنت كسرى، فقال عليه السلام: أنتِ شهربانويه...»؛ لأنّ فاطمة عليها السلام هي سيّدة النساء فقط. الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٨٢٦.

ومعنى شهر: أي مدينة، وبانو: امرأة لطيفة أو سيّدة؛ وعليه فشهر بانو بمعنى سيّدة المدينة، وقد تضاف إليه لاحقة (يه) التي تلحق بالأسماء الفارسية المعرّبة، فيصير (شهربانويه). وأنا أرتئي كتابة (شاهزَنان) مدمجة على أنّها اسم معرّب، ومَن أراد أصل التسمية الفارسية فليكتب (شاه زَنان)، ولكن عليه البحث عن تأويل عقدي.

خلافات خمسة

في أخبار هذه السيّدة الفاضلة خلافات كثيرة، انجرّت إلى التشكيك في أصل زواجها بالإمام الحسين عليه السلام، وأُمومتها للإمام زين العابدين عليه السلام.

ومما وقع فيه الخلاف نواحٍ خمس[1]:

١ـ اسمها

شاه زَنان، شه زنان، شهربان، شهربانو، شهربانوا، شهربانويه، جهان شاه، جيهان شاه، سُلافة، سُلامة، خولة، خلوة، حلوة، بَرّة، غزالة، فاطمة، مريم، حَرار، وغير ذلك[2].

٢ـ نسبها

قيل: إنّها بنتُ (يَزْدَجِرْدَ) الثالث بن شهريار بن أبرويز بن هرمز. وقيل: بنت شيرويه ابن كسرى أبرويز. وقيل: بنت النوشجان، أو السنجان ملك الفرس. وقيل: بنت سبحان أو صنجان ابنُ أخ ماهويه مرزبان مَرو. وقيل: بنت ملك قاشان، وغير ذلك[3].

٣ـ بلدها

ذكر اليعقوبي في تاريخه والمبرّد في الكامل أنّها من كابُل، وحكى ابن قتيبة في المعارف أنّها سندية، وأكثر المؤرّخين على أنّها فارسية من المدائن، أو خراسان، أو الريّ[4].

---

(١) سنكتفي بسردٍ مجمل؛ كي لا يتشتّت ذهن القارئ، ولا يخرج البحث عن كونه سيرة موجزة، كما سنكتفي بالإشارة إلى المصادر دون تفاصيل، ونورد أقلّ ما يحتاج إليه البحث منها.

(٢) أُنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ: ج١، ص١٩٨ـ ١٩٩. وأيضاً: الكرباسي، محمد صادق، معجم أنصار الحسين عليه السلام (النساء): ج٢، ص١٠٠ـ١٠٤.

(٣) أُنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ: ج١، ص٢٠٠.

(٤) أُنظر: ابن طولون، محمد، الأئمّة الاثنا عشر: ص٧٨. وأيضاً: آل سنبل، عارف، عبق من السيرة الحسينية: ص٢٥٧ـ٢٥٨.

٤ـ حُرّيتها

بمعنى أهي في عِداد زوجات الحسين عليه السلام الحرائر أم من أُمّهات أولاده[١]، وقد أكّد تاج الدين العاملي على أنّها داخلة ضمن السراري[٢]، ونفى الكرباسي أن يكون الإمام الحسين عليه السلام تمتّع بسُرّيةٍ أو اتّخذ أمّ ولد، وقد ذهب بعضٌ إلى أنّ الإمام الحسين أو أمير المؤمنين عليهما السلام أعتقها قبل الزواج[٣].

٥ـ زمن سبيها

قيل: إنّها سُبيت في زمن خلافة عمر خلال فتح المدائن. وقيل: في خلافة عثمان أيّام فتح خراسان. وقيل: في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، خلال توليته لبعض عمّاله على المشرق.

تحليل أسباب الخلافات

وهذه الخلافات الخمس ترجع إلى سببين في تقديرنا، هما: خلط المؤرّخين بينها وبين مربّية الإمام السجاد عليه السلام التي سيرد ذكرها، واسمها سلافة على الأرجح؛ ولذلك تصف معظم المصادر ـ خطأً ـ أُمّ الإمام السجاد عليه السلام بأنّها أُمّ ولد، هذا أوّلاً، وثانياً: اختلاف الروايات المذكورة في قصّة أسرها، أو ورودها إلى المدينة، ثمّ زواجها بالإمام الحسين عليه السلام.

وفيما يتعلّق بالنقطة الخلافية الأُولى، فالأشهر ـ كما قدّمنا ـ أنّ اسمها شاه زنان أو شهربانو، وسنختار نحن: شاهزَنان.

---

(١) أُمّ ولد: هي الأَمَة أو الجارية التي تنجب ولداً من سيّدها، وهذا الولد حرّ؛ فلا يجوز لسيّدها أن يبيعها بعد ذلك، ولو مات السيّد تحرّرت من بعده؛ لأنّ الولد سيرث أُمّه المملوكة من أبيه، ولو بمقدار حصّته، لذا تنعتق قهراً.

(٢) أُنظر: العاملي، تاج الدين بن علي، التتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام: ص٧٥.

(٣) أُنظر: الكرباسي، محمد صادق، معجم أنصار الحسين عليه السلام (النساء): ج٢، ص١٠٤.

أمّا أبوها فالمشهور على الألسن أنّه يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس الساسانيين، ونحن لا ننسجم مع هذا الرأي الشائع، على أنّه ليس هناك ما يمنع من قبوله إلّا كون الرجل كافراً، مشركاً، محارباً للإسلام، ومن عقيدتنا الشهادةُ للأئمّة عليهم السلام بأنّهم كانوا أنواراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، التي لم تُنجَّس بشرك أو بجاهلية.

وأمّا كونها من (كابل) أو من بلاد (السند)، فيعارضه أنّ كابل تمّ فتحها سنة (٤٣هـ) أيّام خلافة معاوية، وأمّا بلاد السند ففُتح قسم منها أوّلاً في سنة (٤٢هـ)، ثمّ تمّ الفتح النهائي لكلّ البلاد سنة (٩٩هـ)؛ ولذلك رفض معظم الباحثين هذين الرأيين وعدّوهما شاذّين، واستبقَوا على الرأي القائل: بأنّها فارسية فقط.

ونحن نرى أنّ أحدهما يعضد الآخر، نظراً إلى القرب الجغرافي بين كابل التي هي أفغانستان الحالية، وبين السند التي هي باكستان الحالية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فكل من كابل والسند كانتا آنذاك تحت سيطرة الإمبراطورية الساسانية؛ وعلى هذا الفهم فهي فارسية، وإن كانت من كابل، أو من بلاد السند، أو من المدائن، أو خراسان.

ومن جهة ثالثة أهمّ، فاقتران ورود السيّدة شاهزنان بالفتوحات الإسلامية ناشئ من الإقرار السابق بأنّها بنت يزدجرد الثالث، الذي كان مقرّ دولته في المدائن، ويقتضي ذلك أنّ سبيها تمّ في سنة (١٦هـ) بعد فتح المدائن، أو في سنة (٣١هـ) بعد مقتل أبيها خلال فتح خراسان؛ إذ إنّه هرب من المدائن بعد سقوطها إلى خراسان، على أنّه من الممكن أنّها جاءت بمحض إرادتها من أيٍّ من تلك البلدان الثلاثة، كما أشارت إلى ذلك بعض الأخبار، وهذا يتلاءم مع قولها: إنّ أحداً لم يلمس يدها خلال الطريق حتّى وصولها إلى المدينة.

وأمّا الخلاف الرابع فلا قيمة اعتبارية له في المنظومة الفكرية لأهل البيت عليهم السلام وتابعيهم، بل إنّ منهج الأئمّة عليهم السلام هو التزوّج بالإماء؛ لأسباب عديدة، من أهمّها محاربة الطبقية والعرقية في المجتمع.

ولعلّ الخلاف يتمحور حول عدد ما اجتمع عند الإمام الحسين عليه السلام من زوجات؛ فالحدّ المسموح به شرعاً هو أربعة فقط، فإن صحّ اجتماع خمس نسوة عنده، فلا بدّ أن تكون إحداهنّ أَمَة.

روايات وملاحظات

هكذا تنتهي بنا الخلافات الأربعة السابقة إلى الحديث عن الروايات المتفاوتة في زمن سبيها، وهي نقطة الخلاف الخامسة.

وبالمجمل، فقد ذكروا ثلاث روايات رئيسة، على أنّ هناك روايات أُخرى فيها اختلاف لفظي وبضعة زيادات، ولكنّها تنتهي إلى واحدة من هذه الثلاث.

وسنحاول فيما يلي السير بخطوات وئيدة مع الروايات؛ وصولاً إلى حيث يقودنا الدليل:

الرواية الأُولى

«لمّا أُقْدمت بنت يزدجرد على عمر، أشرفَ لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضوئها لمّا دخلته، فلمّا نظر إليها عمر غطّت وجهها، وقالت: أُفٍّ بِيرُوجْ بادا هُرمُز[1]. فقال عمر: أتشتمني هذه؟ وهمّ بها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيّرها رجلاً من المسلمين، واحسبها بفيئه. فخيّرها، فجاءت حتّى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام، فقال لها أمير المؤمنين: ما اسمك؟ فقالت: جهان شاه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: بل شَهْرَبانُوَيْهِ. ثمّ قال للحسين: يا أبا عبد الله، لتَلِدنّ لك منها خير أهل الأرض. فولدت عليّ بن الحسين عليه السلام، وكان يقال لعليّ بن الحسين: ابن الخِيرتين؛ فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس.

(١) وترجمتها: إسودّ يوم هرمز، وهو جدّها.

وروي أنّ أبا الأسود الدؤليّ قال فيه:

وإنَّ غلاماً بين كسرى وهاشـــمٍ لأكـرمُ مَن نِيطتْ عليهِ التمائـمُ»[1].

الرواية الثانية

«إنّ عبد الله بن عامر بن كريز لمّا افتتح خُراسان، أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفّان، فوهب إحداهما للحسن والأُخرى للحسين عليه السلام، فماتتا عندهما نُفَساوين، وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نَفِسَت بعلي بن الحسين عليهما السلام، فكفَل عليّاً عليه السلام بعضُ أُمّهات وَلَد أبيه»[2].

الرواية الثالثة

«كان أمير المؤمنين عليه السلام ولّى حُريث بن جابر الحنفيّ جانباً من المشرق، فبعث إليه بنتَي يَزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زَنان منهما، فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الأُخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم، فهما ابنا خالةٍ»[3].

وممّا يلاحظ على الرواية الأُولى:

١ـ أنّ عمر الإمام الحسين عليه السلام يوم جيء بسبي المدائن سنة (١٦هـ) أيّام عمر، كان اثنتي عشرة سنة، وهو عمر مبكّر لا يتناسب مع الزواج[4].

٢ ـ وجود فجوة زمنية تقرب من (٢٢سنة) بين زواج الحسين عليه السلام بالسيّدة شاهزنان وولادة ابنها الوحيد السجّاد سنة (٣٨هـ).

٣ـ كيف ساغ للسيّدة شاهزنان ـ شرعاً وأدباً ـ وضع يدها على رأس الإمام الحسين عليه السلام في محضر الجميع؟!

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٩٧.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٣٥ـ١٣٦.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٧.
(٤) أُنظر: آل سنبل، عارف، عبق من السيرة الحسينية: ص٢٦٦.

٤ـ ثمّ إنّه هل يصحّ الزواج بهذه الطريقة؟! بأن تختار هي الإمام الحسين عليه السلام، دون أن يكون له هو حقّ القبول أو الرفض.

٥ـ كما لا يليق ـ فيما نرى ـ بهذه السيّدة الطيّبة أن تدور في المجلس وتتفحّص الرجال بحثاً عن عريس!

٦ـ روى الكليني هذه الرواية عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الرحمن ابن عبد الله الخزاعي، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمْر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، وقد لاحظ الشهيد مطهّري[١] أنّ في هذا السند رجلين لا يمكن الاعتماد عليهما، أحدهما: إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي[٢] الذي قال عنه النجاشي: «**كان ضعيفاً في حديثه، متهوماً**»[٣]، والآخر: عمرو بن شمر الذي قال فيه النجاشي أيضاً: «**ضعيف جداً، زيّد أحاديث في كتب جابر الجعفي، ينسب بعضها إليه، والأمر ملتبس**»[٤].

٧ـ لم يصحّ عندنا أنّ هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي؛ فهو غير مذكور في ديوانه الضخم الذي حقّقه الشيخ محمد حسين آل ياسين[٥].

---

(١) مطهّري، مرتضى، الإسلام وإيران: ص١٢٠.

(٢) ذكر السيّد الخوئي في الجزء الأوّل من معجم رجال الحديث (تحت الرقم ١٠٣) أنّ إبراهيم بن إسحاق الأحمر هو إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي.

(٣) النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة المعروف بـ(رجال النجاشي): ص١٩.

(٤) المصدر السابق: ص٢٨٧.

(٥) قال المحقّق: «وقد تضمّن هذا المجموع الكبير الموضوعات الآتية:

١ـ شعر أبي الأسود برواية السكّري، أبي سعيد وشرحه.

٢ـ تخريج هذا الشعر في المصادر والمراجع العربية.

٣ـ شعر أبي الأسود برواية ابن جني وشرحه.

٤ـ المستدرك على شعر أبي الأسود، وقد جعلناه قسمين: أودعت في الأوّل شعره الثابت النسبة... وأوردت في الثاني شعره المشكوك...الملاحق، وهي ثلاثة:

أ ـ ما بقيَ من كتاب الأصمعي المفقود الذي يضمّ شعر أبي الأسود.

ب ـ ما بقيَ من كتاب المدائني المفقود في أخبار أبي الأسود.

ج ـ ما روي عن أبي عبيدة مما نظنّ أنّه من كتابه (الشعر والشعراء) مما يخصّ أبا الأسود». ديوان أبي الأسود الدؤلي: ص٥ ـ ٦.

بل المحقّق لدينا، أنّه من شعر ابن ميّادة (الرمّاح بن أبرد المرّي)، الذي ينتهي نسبه إلى ظالم بن جَذيمة بن يربوع، وأُمّه أُمّ ولد بربرية، وقيل: صقلبية، «**وكان ابن ميّادة يزعم أنّ أُمّه فارسية، وقد ذكر ذلك في شعره، فقال:**

أنـا ابنُ أبي سـلمى وجـدّي ظالمٌ ... وأُمّـي حَصـانٌ أخْلصَتْهـا الأعاجمُ

أليسَ غُـلامٌ بين كسرى وظـالـمٍ ... بأكـرمَ مَنْ نيطتْ عليـه التمـائـمُ»[1]

وممّا نلاحظه على الرواية الثالثة أنّ مقتل يزدجرد ـ على الأشهر ـ كان في سنة (٣١هـ)[2]، أيّام خلافة عثمان، كما أنّ ولادة الإمام السجاد عليه السلام في أيّام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كانت تتفق مع ما شاع من أنّ ولادته كانت في سنة (٣٦ أو ٣٨هـ)، إلّا أنّها تتعارض مع ما اشتُهر من أنّ ولادته كانت في المدينة[3]، ومن المعروف أنّ مقرّ خلافة الإمام علي عليه السلام كان في الكوفة.

ومع اضطرارنا لقبول إحدى هذه الروايات الثلاث، فنحن مع ترجيح الرواية الثانية؛ لأنّها تتفق مع زمان مقتل يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس، وتتفق أيضاً مع ولادة الإمام السجاد عليه السلام في المدينة، إذ نرجّح أنّها كانت في سنة ثلاثٍ وثلاثين، لا ثمانٍ وثلاثين[4] هجرية على ما رُوي في الحدائق الوردية من أنّه «**وُلِدَ لسنتين بقيتا من خلافة عثمان**»[5].

ويؤيّدها أيضاً ما احتمله العلّامة المجلسي من وقوع التصحيف في الرواية الأُولى، إذ قال: «**لا يبعد أن يكون عمر في هذه الرواية تصحيف عثمان**»[6].

فضلاً عن أنّ هذه الرواية مروية بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام[7].

---

(١) حداد، حنا جميل، (جمع وتحقيق) شعر ابن ميّادة: ص٢١.
(٢) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج١٠، ص٢٣٩.
(٣) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٧.
(٤) المظنون قوياً أنّ (ثمانٍ وثلاثين) تصحيف وسهو في النسخ لـ(ثلاثٍ وثلاثين)؛ ولذلك نتبنّى نحن القول الذي يذهب إلى أنّ ولادة الإمام السجّاد عليه السلام كانت في المدينة سنة (٣٣ هـ).
(٥) المحلي، حميد الشهيد، الحدائق الوردية في مناقب أئمّة الزيدية: ج١، ص٢٠١.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٦، ص١٠.
(٧) أُنظر: القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل عليهم السلام: ج٢، ص٩.

وقد جاء في أوّلها: عن سهل بن القاسم النوشجاني: «**قال لي الرضا بخراسان: إنّ بيننا وبينكم نسباً. قلت: وما هو أيّها الأمير؟ قال: إنّ عبد الله بن عامر بن كريز لمّا افتتح خراسان...**».

وهذا يتوافق مع ما ذكره بعض المؤرّخين من أنّ أُمّ السجاد هي برّة بنت النوشجان[1].

أُمّ السجّاد عليه السلام

ومن المشهور جداً أنّ السيّدة شاهزنان توفّيت في نفاسها بالإمام السجاد عليه السلام[2]، فكفله بعض إماء أبيه، فسمّاها الناس أُمّه.

ورجّح العلّامة الكرباسي أنّ مربية السجاد عليه السلام، اسمها سُلافة، وهي التي قال عنها المُبرِّد: «**سلافة أُم عليّ بن الحسين، من ربّات البرّ والإحسان، يُروى أنّه قيل لعليّ بن الحسين: إنّك من أبرّ الناس، ولست تأكل مع أُمّك في صَحْفَة. فقال: أكره أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها**»[3]، كما احتمل الكرباسي أنّ تسمية برّة أُطلقت عليها لبرّها بالإمام زين العابدين، وأنّ سُلَامة تصحيف لاسمها سلافة[4].

وكانت سلافة حاضرة في كربلاء، وبعد عودة الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة، زوّجها من بعض غلمانه، فقال الناس زوّج علي بن الحسين أُمّه، وممّن عابه على ذلك عبد الملك بن مروان[5].

---

(١) ابن الخشاب، عبد الله بن النصر، تاريخ مواليد الأئمّة ووفياتهم، ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمّة، أمر بتجديد طبعها السيّد شهاب الدين المرعشي: ص١٣٥. وأيضاً: ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٨٩. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٦، ص٨.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٣٦. وأيضاً: الأعلمي، محمد حسين، تراجم أعلام النساء: ج٢، ص٢٢٢.

(٣) الكرباسي، محمد صادق، معجم أنصار الحسين (النساء): ج٢، ص٧١.

(٤) أُنظر: المصدر السابق.

(٥) أُنظر: آل سنبل، عارف، عبق من السيرة الحسينية: ص٢٧٩.

وقد وَلَدت السيّدة شاهزنان، للإمام الحسين عليه السلام عليّاً السجاد عليه السلام، ومن المقطوع به أنّها لم تلد بعده؛ إذ ماتت في نُفاسها به، وتبعاً لذلك سنرفض كلّ ما نُسب إليها من أولاد يَصْغُرون زين العابدين عليه السلام، أمّا قبله، فالمشهور أنّها لم تلد سواه.

ولكنّ ابن فندق البيهقي ذكر أنّها أُمّ عبد الله الرضيع، وزينب وأُمّ كلثوم اللتين ماتتا صغيرتين[1].

وهذا لا يصحّ؛ لأنّ عبد الله الرضيع له يوم الطفّ ستة أشهر من العمر، في حين أنّ السيّدة شاهزنان متوفّاة منذُ أكثر من عشرين عاماً، وبما أنّ ابن فندق ـ فقط ـ قد انفرد بذكر أُمّ كلثوم ضمن بنات الحسين عليه السلام، فلا يمكن التسليم له بذلك، وأمّا زينب فإن صحّ انتسابها إلى الحسين عليه السلام، فلا بدّ أن تكون أكبر من زين العابدين عليه السلام.

كما ذكر ابن شهرآشوب في المناقب أنّها أمٌّ لعليّ الأصغر[2]، وبما أنّ الإمام السجّاد عليه السلام أكبر من عليّ الأصغر؛ إذ يسمّيه ابن شهرآشوب عليّاً الأوسط، فلا يصحّ إذاً أن يكون الأصغرُ شقيقَه.

وفاتها وموضع قبرها

إنّ السيّدة شاهزنان ـ بحسب الكرباسي ـ وُلدت سنة (١١هـ) في المدائن، وتزوّجت بالإمام الحسين عليه السلام سنة (٣٠هـ)، وتوفّيت في المدينة سنة (٣٣هـ)، ودُفنت في البقيع[3].

غير أنّ ثامر عبد الحسن العامري يزعم أنّ هناك مزاراً وسط مدينة الموصل العراقية، في محلّة حمام المنقوشة، على بُعد مائة وخمسين متراً من منارة الحدباء، يُعرف

(١) أُنظر: ابن فندق البيهقي، علي بن أبي القاسم، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، مع مقدّمة للعلّامة المرعشي النجفي: ج١، ص٣٤٩ـ٣٥٠.

(٢) أُنظر: ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٨٥.

(٣) أُنظر: الكرباسي، محمد صادق، معجم أنصار الحسين عليه السلام، ج٢، ص٩٩ـ١٤٤. والراجح لدينا أنّ الزواج كان في سنة (٣١ هـ) كما سبق.

بمسجد ومرقد أُمّ التسعة، وهو قبر شهربانو بنت يزدجرد، زوجة الإمام الحسين عليه السلام وأُمّ الأئمّة التسعة عليهم السلام[1].

وهناك مرقد آخر يُنسب إليها أيضاً، يقع شمال قرية أمين آباد، ويبعد (٤كم) عن مدينة ريّ الإيرانية، ويُعرف بمرقد بي بي شهربانو. ويُعتقد أنّ وقوع هذا المرقد على قمّة جبل، وقربه من ينبوع ماء، ومعماريته الحجرية، واختصاص زيارته بالنساء في حقبٍ تاريخية ما، واستخدام مفردة شهربانو لآلهة آناهيد، والتشابه الأُسطوري فيما بين بي بي شهربانو وقصّة المعبد الزرادشتي لسيّدة بارس في يزد؛ كلُّ ذلك يومئ إلى أنّ هذا المرقد من أديرة آناهيد، (آلهة المياه والخصوبة)، ومن معابد الزرادشتية قبل الإسلام[2].

والثابت أنّ السيّدة شاهزنان توفّيت في المدينة بعد ولادة الإمام السجاد عليه السلام بأيّام قليلة.

لذا؛ يقال: إنّ القبر الذي في الموصل هو لشهربانو[3] التي هي أُخت السيّدة شاهزنان، والتي يُعتقد أنّها كانت زوجةً للإمام الحسن عليه السلام، أو لمحمد بن أبي بكر، وقد حضرت في عاشوراء، فلعلّها تُوفّيت أثناء مرور قافلة السبايا بمدينة الموصل. أو ربّما عادت إلى الريّ وتوفّيت هناك، ومهما يكن، فكلا القبرين لا تصحّ نسبتهما إلى السيّدة شاهزنان أُمّ زين العابدين عليه السلام.

---

(١) أُنظر: العامري، ثامر عبد الحسن، المراقد والمزارات في العراق: ص٤١٧ـ٤١٨.

(٢) أُنظر: مقال بعنوان: مرقد بي بي شهربانو، في الموقع الإلكتروني لإذاعة طهران العربية على الرابط: http://arabic.irib.ir/iranology/article/474-99.html.

(٣) ورد في بعض الأخبار أنّ الإمام علي عليه السلام قال لشاهزنان: «ما اسمك؟ فقالت: شاه زنان بنت كسرى. قال أمير المؤمنين: أنتِ شهربانويه، وأُختك مُروارید بنت كسرى». الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ص٨٢٦.

مسرح لأحداث التعصّب

وقبل الختام لا بدّ أن نُشير إلى أنّ سيرة السيّدة الموقّرة شاهزنان كانت مسرحاً خصباً للنزاعات العصبية والتخاصمات العنصرية والشعوبية، التي ألقت بظلال المظلومية على هذه السيّدة الطاهرة؛ فزُجّ اسمها المبارك في ما لا شأن لها به؛ والأسباب وراء ذلك كثيرة، منها: أنّ أُمّهات الأئمّة الثلاثة الأوائل عليهم السلام كنّ حرائر عربيات، وهذه السيّدة هي أوّل أَمة تلد إماماً، بل ويتحدّر من نسلها كلّ الأئمّة التسعة اللاحقين عليهم السلام، حتّى لُقّبت بالأُمّ الثانية للأئمّة عليهم السلام، ومنها: انتماؤها إلى القومية الفارسية التي تنتمي إليها دولة إيران الحديثة.

ويمكن فرز ثلاثة أصناف يتنازع على مسرح الأحداث، وهم:

١ـ المستشرقون

وهؤلاء انصبّت تنظيراتهم على الطعن بتشيّع الفرس، فاعتبروا أنّ زواج الإمام الحسين عليه السلام من شاهزنان بنت يزدجرد الساساني هو السبب وراء دخول الفرس في مذهب الشيعة، كما زعموا أنّ الفرس يرون أنّ المُلْك حقٌّ إلهيّ مُعطى للأُسرة الساسانية الحاكمة، وبارتباط الإمام الحسين عليه السلام بابنة آخر ملوك هذه الأُسرة ظلّ حقُّ الحكم الإلهيّ منحصراً في سلالة الأئمّة عليهم السلام! فعقيدة الشيعة في حقّ أئمّتهم بالحكم هي من بقايا العقيدة الفارسية القديمة القائلة بالجلال الربّاني للملوكية الساسانية.

ومن أبرز هؤلاء: المستشرق الفرنسي آرثر دو كونت غوبينو في كتابه (الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى)، والمستشرق الإنجليزي إدوارد براون في كتابه (تاريخ أدبيات إيران)[١]، وتابعهم من الإيرانيين: الدكتور پرويز صانعي في كتابه (قانون وشخصيت)[٢]، ومن العرب: الدكتور أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام)[٣].

---

(١) تاريخ إيراني الأدبي.

(٢) القانون والشخصية.

(٣) أُنظر: مطهّري، مرتضى، الإسلام وإيران: ص١١٠ـ١١١.

٢ـ متعصّبو أهل السنّة

ويبدو لي أنّ هؤلاء بين نارين، فهم يريدون الطعن في مذهب الشيعة من خلال نعتهم بالمجوس من جهة، ومن جهة أُخرى يتعصّبون للعرق العربي؛ فيدّعون أنّ الأئمّة عليهم السلام ينحدرون من سلالة عربية خالصة من طرفي الأبوين. ورغم تناقض هذين الاتجاهين يتوحّدان في كون كليهما تعصُّباً!

ويبرز الاتجاه الأوّل في إصرار مصادر أهل السنّة على أنّ أُمّ السجّاد هي شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار آخر الملوك الفرس؛ لإضفاء النكهة الملوكية الكسروية على الأئمّة عليهم السلام، وربّما للطعن في قرشيتهم وإمامتهم، ومذهب أتباعهم. أمّا الاتجاه الثاني فأبرز مَن مثّله التراثيُّ العراقي عبد الحميد العلوجي في كتابه (كذبة فارسية يفضحها الحقُّ العربي)، وهو كتيّب صغير يقع في (٤٦) صفحة.

ولا يخفى أنّ الكتاب وضِع لغايات عصبية سياسية، أوقعت العلوجي في أخطاء تاريخية ساذجة؛ إذ جعل السجّاد ابناً لأُمّ إسحاق بنت طلحة، وشقيقاً لفاطمة بنت الحسين[1]، وفضلاً عن أنّ نسبة فاطمة بنت الحسين إلى أُمّ إسحاق لا تستقيم بحال من الأحوال، فممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام السجّاد عليه السلام تزوّج بفاطمة بنت الحسن، التي هي بنتُ أُمّ إسحاق.

٣ـ عنصريو الشيعة الفرس

وهؤلاء لم يكتفوا بالإصرار على أنّ شاهزنان ابنةٌ ليزدجرد ملك الفرس فحسب، بل نسجوا الكثير من القصص والأساطير الغريبة حول سيرتها، مثل: أنّها رأت في منامها النبي صلى الله عليه وآله، ومعه الحسين عليه السلام، قد جاءا لخطبتها من أبيها، وفي الليلة الثانية رأت السيّدة الزهراء عليها السلام تعرض عليها الإسلام فأسلمت! ومثل: أنّها كانت حاضرة في

(١) أُنظر: العلوجي، عبد الحميد، كذبة فارسية يفضحها الحقّ العربي: ص٤٣.

الطفّ، فركبت فرس الحسين عليه السلام المسمّى ذا الجناح، وألقت بنفسها في نهر الفرات، فاختفت إلى الأبد! ومثل: أنّ الحسين عليه السلام قبل خروجه من المدينة إلى كربلاء، أرسلها مع ستة من أصحابه إلى إيران لطلب النصرة[1]!

الزواج المشكوك

وبعد هذا الإيضاح المهمّ والضروري جدّاً فيما نرى، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هذا الزواج التاريخي المشهور، لم يخلُ من النقد والتشكيك في صحّته، فمن أوائل المشكّكين فيه كان النسّابة ابن عِنَبة؛ إذ قال: «**وقد منع من هذا كثير من النسّابين والمؤرّخين، وقالوا: إنّ بنتي يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان، وقيل: إنّ أُم زين العابدين عليه السلام من غير ولده**»[2].

ومنهم: الشهيد مطهّري؛ فقد ذكر أنّ قصّة زواج ابنة يزدجرد بالإمام الحسين عليه السلام، مشكوكة من الناحية التاريخية شكّاً شديداً، ورأى أنّه لا يُعتمد على هذه القصّة حتّى من قِبل المستشرقين أمثال إدوارد براون، وكريستين سن، وذكر أنّ سعيد النفيسي يعدّها من الأساطير[3].

---

(١) هذه القصص مبثوثة في الكثير من الكتب والمصادر، ولن نُشير إلى بعضها؛ كي لا يُظَنّ أنّنا ننعت مؤلّفيها بالعنصرية، على أنّنا نجلّ بعض هؤلاء المؤلّفين كثيراً، ولكنّ مقصدنا هو أنّ السبب وراء نسج وابتداع هذه القصص هو سبب عنصري بحت، وقد يكون ذلك من نسج الرواة أو الخطباء الأوائل. وأرى من الضروري هنا، إيراد ما قاله الشهيد مطهّري بهذا الصدد: «يعلم الله ويعلم كلّ شيعي فارسي أنّه ليس لشهربانويه عندنا مقام أرفع ولا أعلى من سائر أُمهات الأئمّة الأطهار، وهنّ من العرب، والروم، والمغرب، والبربر، وأفريقية... فأيُّ شيعي فارسي أو غير فارسي يحسّ في قرارة قلبه لأُمّ الإمام زين العابدين عليه السلام كرامة أكثر من سائرهنّ؟! بل إنّ من المسلّم المقطوع به أنّ احترام السيّدة نرجس الرومية أُم الإمام المهدي عجل الله فرجه أكثر عندنا من احترامنا لشهربانويه الفارسية الساسانية الإيرانية». مطهّري، مرتضى، الإسلام وإيران: ص١١٨.

(٢) ابن عنبة، جمال الدين أحمد، عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب: ص٣٣٧. والصحيح أنّ أكثر النسّابة يقرّون بهذا الزواج، ومنهم ابن عنبة نفسه، فقد ذكر سابقاً أنّه من المشهور.

(٣) أُنظر: مطهّري، مرتضى، الإسلام وإيران: ص١١٩.

ومنهم: الدكتور علي شريعتي الذي وصف أخبار الزواج بأنّها مثيرة للغثيان! ووصف ما قيل بشأن التوفيق بين تلك الأخبار المتفاوتة بأنّه ترقيع[1].

ومنهم: عبد الحميد العلوجي، الذي وصف الزواج بأنّه كذبة فارسية[2]، ولم يكتفِ العلوجي بالنفي فقط، بل ادّعى العروبة لأُمّ السجّادعليه السلام.

ومنهم: السيّد جعفر الشهيدي؛ إذ رفض هذا الزواج بشدّة؛ لاختلاف اسمها واسم أبيها، وزمان أسرها، ولأنّ يزدجرد أبعد عائلته عن ساحة الحرب ليجعلها في مأمن؛ وهذا بحدّ ذاته ينافي احتمال وقوع أُسرته في الأسر، كما ذكر أنّ اسم شهربانو إنّما طُرح أواخرَ القرن الثالث الهجري[3].

الخاتمة

وخلاصة ما نختم به هذا المقال، أنّ الإنصاف وموضوعية البحث تلزمنا بالإقرار بما عليه اتفاق النسّابة والمؤرّخين، وهو أنّ أُمّ الإمام السجادعليه السلام فارسية ساسانية، وهذا هو المقدار المحقّق، والأشهر والأرجح أنّ اسمها شاهزنان أو شهربانو، أمّا كونها ابنة آخر ملوك الفرس كسرى يزدجرد، ففيه خلاف، وإن كان مذكوراً بكثرة،

(١) أُنظر: علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي: ص١٢٤ـ١٤٤، تحت عنوان: عروس المدائن في المدينة. وتمنّيت لو أنّ الدكتور علي شريعتي أعاد تدوين تلك المناقشة بشكل علمي رصين، ودعمها بشواهد ونقول تاريخية معضّدة، بدلاً من توجيه نقد قاس إلى العلّامة المجلسي الذي وفّق بين الروايات بشكل مقبول.

(٢) أُنظر: العلوجي، عبد الحميد، كذبة فارسية يفضحها الحقّ العربي: ص١٨. ولعلّ أهمّ ما نبّه له هو عدم ذكر قصّة الزواج في الشاهنامة.

(٣) أُنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسينعليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ: ج١، ص٢٠١، نقلاً عن كتاب: چراغ روشن در دنياي تاريك، يا زندگاني إمام سجّادعليه السلام (المصباح المتّقد في الدنيا المظلمة، أو حياة الإمام السجّادعليه السلام) بالفارسية، للسيّد جعفر شهيدي. وقد ردّ مؤلّفو موسوعة الإمام الحسينعليه السلام باحتراف على مجموع استدلالات الشهيدي رغم إقرارهم بأنّها جديرة بالتأمّل والملاحظة، فراجع ردودهم في هامش الصفحة المذكورة.

ونحن لا نطمئنّ إليه؛ لنفي تحدُّر أُمّ الإمام المعصوم من أصلابٍ نجّسها الشرك، على أنّ البيهقي ذكر أنّ نسب هؤلاء الملوك ينتهي إلى يعقوب بن إسحاق[1]، فلعلّها كانت بنتاً لرجل موحّد من هذه العائلة.

ولعلّ نسبتها إلى كسرى بسبب أنّها نشأت في قصره، أو أنّ عائلتها الصُّلبية كانت تعمل في قصر كسرى، وممّا يُؤنَس إليه في هذا الصدد، ما رواه الطبري في حوادث سنة (٣١هـ)، من أنّ عبد الله بن عامر صالحَ أهل أبْرَشهر صُلحاً، فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطهميج أو طمهيج، فأقبل بهما معه، وفي رواية ثانية: «**بعث ابن عامر عبد الله بن خازم إلى سرخس ففتحها، وأصاب ابن عامر جاريتين من آل كسرى، فأعطى إحداهما النوشجان، وماتت بابونج**»[2].

فهو يذكر أنّ الجاريتين الفارسيتين اللتين جاء بهما عبد الله بن عامر إلى عثمان كانتا من آل كسرى، ولو كانتا بنتيه لقال ذلك، ثمّ إنّ ذكر اسم النوشجان في رواية الطبري الثانية يتوافق مع ما ذُكر في روايات أُخرى من أنّ النوشجان اسم أبيها، ولعلّ في رواية الطبري نقصاً.

فضلاً عن ذلك، لو صحّت قصّة زواج بنت يزدجرد بالإمام الحسين عليه السلام؛ لوثّقها الفردوسي في شاهنامته[3] التي صوّر فيها تفاصيل تاريخ الفرس وأساطيرهم[4].

ومن الأدلّة المعضّدة أيضاً: ما وقع من مراسلات بين أبي جعفر المنصور، ومحمد ابن عبد الله بن الحسن المثنّى، فلمّا خرج محمد على المنصور، كتب إليه المنصور كتابَ

(١) أُنظر: ابن فندق البيهقي، علي بن أبي القاسم، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، مع مقدّمة للعلّامة المرعشي النجفي: ص٣٥١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٢.

(٣) الشاهنامه: ملحمة الفرس الكبرى، تقع في نحو ستين ألف بيت، نظمها أبو قاسم الفردوسي (ت٣٢٩هـ) للسلطان محمود الغزنوي، وذكر فيها تاريخ الفرس منذ العهود القديمة حتى زمن الفتح الإسلامي وسقوط الدولة الساسانية.

(٤) أُنظر: الفردوسي، الشاهنامه: ملحمة الفرس الكبرى: ص٢٣٣ـ٢٣٨.

عهدٍ ليتوبَ ويستسلم، فردّ عليه محمد بكتابٍ رافض، جاء فيه: «**فأنا أوسط بني هاشم نسباً، وخيرهم أُمّاً وأباً، لم تلدني العجم، ولم تُعْرِقْ فيَّ أُمّهات الأولاد**»[1].

فردّ عليه المنصور بكتاب مطوّل، جاء فيه: «**وأمّا قولك: إنّك لم تلدك العجم، ولم تُعرق فيك أُمّهات الأولاد... وما ولد فيكم مولودٌ بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) أفضل من عليّ بن الحسين، وهو لأُمّ ولدٍ... ثمّ ابنه محمد بن عليّ... وجدّته أُمُّ ولد**»[2].

المصادر والمراجع

١ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان، المعروف بالمفيد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

٢ـ الإسلام وإيران، مرتضى مطهّري، ترجمة: محمد هادي اليوسفي الغروي، منشورات رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طهران، ١٩٩٧م.

٣ـ الأئمّة الاثنا عشر، محمد بن طولون، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار بيروت، ١٩٥٨م.

٤ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥هـ.

٥ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٩٩٨م.

٦ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.

٧ـ تاريخ مواليد الأئمّة ووفياتهم، عبد الله بن النصر البغدادي المعروف بابن الخشاب،

(١) هو يعرّض بالمنصور، فأُمّه بربرية اسمها سلامة؛ ولهذا السبب ولي السفّاح قبله، وهو أصغر منه؛ لأنّ أُمّ السفّاح عربية.

(٢) المُبرِّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب: ج٣، ص٣٠٢ـ٣٠٥.

ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمّة، أمر بتجديد طبعها السيّد شهاب الدين المرعشي، دار القارئ، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.
٨ـ التتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام، تاج الدين بن علي الحسيني العاملي (من أعلام القرن الحادي عشر)، نشر مركز الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.
٩ـ تراجم أعلام النساء، محمد حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٧م.
١٠ـ التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، علي شريعتي، ترجمة: حيدر مجيد، تقديم: إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.
١١ـ الحدائق الوردية في مناقب أئمّة الزيدية، حميد الشهيد بن أحمد المحلي، تحقيق: المرتضى ابن زيد الحسني، مطبوعات مكتبة بدر، صنعاء، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.
١٢ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي (ت٦٩هـ) صنعة أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
١٣ـ الشاهنامه: ملحمة الفرس الكبرى، الفردوسي، ترجمة: سمير مالطي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
١٤ـ شعر ابن ميّادة، جمعه وحقّقه: حنا جميل حداد، راجعه وأشرف على طباعته: قدري الحكيم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢م.
١٥ـ عبق من السيرة الحسينية، عارف آل سنبل، مؤسسة طيبة لإحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.
١٦ـ عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن عنبة، اعتنى به وشجّره: يوسف بن عبدالله جمل الليل، مكتبة جلّ المعرفة ومكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٣م.
١٧ـ عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٧٨هـ.

١٨ـ الغارات، إبراهيم بن محمد الكوفي، تحقيق: السيّد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.
١٩ـ فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.
٢٠ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٧م.
٢١ـ الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المُبرِّد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م.
٢٢ـ كذبة فارسية يفضحها الحقّ العربي، عبد الحميد العلوجي، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، الطبعة الأُولى، ١٩٨٧م.
٢٣ـ المراقد والمزارات في العراق، ثامر عبد الحسن العامري، طبعة بلا بيانات.
٢٤ـ معجم أنصار الحسين عليه السلام (النساء)، محمد صادق محمد الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن، الطبعة الأُولى، ٢٠١٠م.
٢٥ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي السروي المازندراني المعروف بابن شهرآشوب، تحقيق وفهرسة: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.
٢٦ـ منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل عليهم السلام، الشيخ عباس القمي، دار المصطفى العالمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١١م.
٢٧ـ موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٠م.

المواقع الإلكترونية

٢٨ـ الموقع الإلكتروني لإذاعة طهران العربية على الرابط:
.http://arabic.irib.ir/iranology/article/474-99.html

مشهد المُحسن بن الإمام الحسين عليه السلام بحلب
دراسة في التاريخ والعمارة

د. أحمد خامه يار*

مقدّمة

يُعتبر (مشهد المُحَسِّن) من أقدم الآثار المعمارية الإسلامية في مدينة حلب، ومن أهمِّ مشاهد أهل البيت عليهم السلام في سوريا، ويُنسَب المشهد إلى (مُحَسِّن) أو مُحْسِن ـ كما يُقال اليوم ـ ابن الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ يُعتقد أنّه عند وصول سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى هذا المكان أثناء مسيرهم من الكوفة إلى الشام، قد ولدته ميّتاً إحدى نساء الإمام عليه السلام، ودُفن في هذا المشهد.

وإلى الشمال من هذا المشهد ـ بحسب ما ورد في بعض المصادر التاريخية ـ يقع على بُعد (٣٠٠م) تقريباً مشهد آخر من مشاهد أهل البيت عليهم السلام، وهو ما عُرف تاريخياً بـ(مشهد الحسين عليه السلام) أو (مشهد النقطة)، ولهذا المشهد ـ أيضاً ـ علاقة بالأحداث التي جرت بعد وقعة عاشوراء؛ إذ يُقال: إنّ السبب في تسميته بمشهد النقطة هو أنّ حاملي رأس الإمام الحسين عليه السلام لمّا وصلوا إلى هذا الموضع، ووضعوا الرأس الشريف على الأرض، سالت منه قطرة دم فوق صخرة، فبنى الحلبيون عليها هذا المشهد[1].

---

* باحث في التاريخ الإسلامي، من إيران، دكتوراه في الحضارة الإسلامية ـ جامعة طهران.

(١) اُنظر: الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب: ج٢، ص٢١٢.

وكان هذان المشهدان يُعتبران أهمَّ المشاهد الدينية للشيعة بحلب في جميع الأزمنة، فقد ذكر المؤرِّخ الحلبي ابن العديم (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) عن أهمّية مشهد المُحسن ما نصّه: «**للشيعة بحلب فيه اعتقاد عظيم، وينذرون له النذور**»[١].

هذا، وقد دُفن في الأرض التي تفصل بين المشهدين، عدد كبير من أعلام الشيعة ورجالها، وأهل السنّة، ولا سيّما أعلام أُسرة بني زهرة، فإنّه لا تزال قبور عدد من هؤلاء الأعلام باقية إلى الآن.

موقع المشهد

يقع مشهد المُحسن في حي (جبّ الجلبي) في النصف الغربي لمدينة حلب، والموقع الجغرافي للمشهد هو عبارة عن جبل صغير عُرف قديماً بجبل جوشن، وقد كان يُطلّ قديماً على المدينة من جهة الغرب، إلّا أنّه وبعد أن امتدّت إليه البيوت بفعل التوسُّع العمراني الحاصل في هذا الزمان، فقد أصبح في قلب حلب الحديثة، ولم يعد أهلها يتذكّرون أو يتداولون اسم جبل جوشن.

وقد ذكر هذا الجبل ووصفه مجموعة من المصادر التاريخية، فقد قال عنه ابن العديم: «**هو جبل من غربي مدينة حلب، وفي لحفه نهر قُوَيق**»[٢]. وقال عنه ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): «**جبل مطلّ على حلب في غربيّها، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة، وقد أكثر شعراء حلب من ذكره**»[٣].

هذا، وقد أكّدت المصادر التاريخية أنّ جبل جوشن كان محطّ رحال سبايا أهل البيت بعد واقعة عاشوراء سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)، وذلك أثناء سيرهم من الكوفة إلى دمشق، حتّى أنّ اسم الجبل ارتبط بهذا الحادث، فقد قيل: إنّه سُمِّي بالجوشن؛ لأنّ شمر بن ذي الجوشن نزل عليه بسبايا أهل البيت ورؤوس شهداء كربلاء[٤].

(١) ابن العديم، عمر بن أحمد، بُغية الطلب في تاريخ حلب: ج١، ص٤١١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٨٦.
(٤) أُنظر: الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب: ج٢، ص٢١٠.

وقد كان أهل حلب يستخرجون من هذا الجبل النحاس الأحمر، إلّا أنّهم «**امتنعوا من عمل النحاس به؛ لأنّهم عملوه فما حصل فيه فائدة**»[١]، ويُؤكّد ذلك ما رواه الغزي من أنّ صديقاً له من الصاغة أخبره أنّه استخرج منه نحاساً في غاية الجودة، لكنّه لم يربح به لكثرة النفقة في استخراجه[٢].

هذا، وقد قيل: بأنّ انتفاء الفائدة عن المعدن المذكور حدث بعد أن عبر على ذلك المكان رأس الإمام الحسين عليه السلام ونساؤه وأولاده؛ وسبب ذلك هو أنّ إحدى زوجات الحسين عليه السلام كانت حاملاً وأسقطت هناك وطلبت من الصُنّاع في ذلك الجبل خبزاً وماءً، فشتموها ومنعوها، فدعت عليهم، ومنذُ ذلك الحين مَن عَمِل فيه لم يربح[٣]. وقيل: «**كان دعاؤها عليهم، لا أربح الله لكم تجارة**»[٤].

أسماء المشهد

عُرف مشهد المُحسن عبر التاريخ بأسماء مختلفة، من أقدمها (مشهد الدكّة)؛ أمّا سبب هذه التسمية فقد قيل: إنّه نسبة إلى صخرة ناتئة في الجبل شمالي المشهد تشبه الدكّة المبنية[٥]. وقيل أيضاً: إنّ سبب التسمية يعود إلى «**أنّ سيف الدولة الحمداني كانت له دكّة على الجبل المطلّ على المشهد، يجلس عليها للنظر إلى حلبة السباق، فإنّها كانت تجري بين يديه في ذلك الوطاء الذي فيه المشهد**»[٦].

---

(١) ابن العديم، عمر بن أحمد، بُغية الطلب في تاريخ حلب: ج١، ص٤١١.
(٢) أُنظر: الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب: ج١، ص٤٩.
(٣) أُنظر: ابن العديم، عمر بن أحمد، بُغية الطلب في تاريخ حلب: ج١، ص٤١١. وأيضاً: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص١٨٦.
(٤) ابن العديم، عمر بن أحمد، بُغية الطلب في تاريخ حلب: ج١، ص٤١١.
(٥) المصدر السابق: ص٤١١ ـ ٤١٢.
(٦) ابن شدّاد الحلبي، عزّ الدين محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٤٨.

كما عُرف أيضاً بمشهد السِّقط، نسبةً إلى وجود قبر المُحسن السِّقط الذي هو ابن الإمام الحسين عليه السلام. وذكره الغزي باسم «**مشهد الطرح**»[1]، ويبدو أنّ تسمية المشهد بهذا الاسم تعود إلى نفس السِّقط المشار إليه آنفاً. أمّا في يومنا هذا فيُعرف المشهد بـ(الشيخ مُحَسِّن)، ولم يعد أهل حلب يتذكّرون الأسماء القديمة للمشهد.

سبب ظهور المشهد وتاريخ بنائه

إنّ النصّ التاريخي الوحيد الذي يوضّح كيفية ظهور المشهد وسبب بنائه، قد ذكره لنا المؤرّخ الحلبي ابن شدّاد (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، نقلاً عن المؤرّخ الحلبي الآخر يحيى بن أبي طيّ (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الذي لم تصل كتاباته إلينا، وإنّما تُعدّ في عداد الآثار المفقودة. وبناءً على هذا النصّ، فقد بنى هذا المشهد الأمير سيف الدولة الحمداني في سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) بعد أن رأى نوراً ينزل على موقع المشهد، فاهتدى بذلك إلى كتابة قديمة تدلُّ على وجود قبر المُحسن بن الإمام الحسين عليه السلام في هذا المكان.

أمّا تفاصيل الحادث ـ كما نقلها ابن شدّاد عن ابن أبي طي ـ هي أنّه في سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) كان سيف الدولة الحمداني في أحد مناظره ـ أي: قصور الانتظار والضيافة ـ بداره خارج مدينة حلب، فرأى نوراً ينزل على مكان المشهد مرات عدّة، فلمّا أصبح ركب بنفسه إلى ذلك المكان وحفره، فوجد حجراً عليه كتابة: (هذا قبر المُحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب)؛ ونتيجة لذلك جمع سيف الدولة العلويين وسألهم: هل كان للحسين ولد اسمه المُحسن؟ فقال بعضهم: ما بَلَغَنا ذلك، وإنّما بَلَغَنا أنّ فاطمة عليها السلام كانت حاملاً، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: في بطنك مُحسن، فلمّا كان يوم البيعة ـ التي جرت إثر اجتماع سقيفة بني ساعدة ـ الذي هجم فيه القوم عليها في

(١) الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب: ج٢، ص٢٠٩.

بيتها لإخراج عليّ عليه السلام إلى البيعة فأخدجت. وقال بعضهم الآخر: يُحتمل أنّ سبي نساء الحسين عليه السلام لمّا مَرّوا بهنَّ على هذا المكان طرح بعض نسائه هذا الولد، فإنّا نروي عن آبائنا أنّ هذا المكان سُمِّي بجوشن؛ لأنّ شمر بن ذي الجوشن نزل عليه بالسبي والرؤوس، وأنّه كان معدناً يُعمل فيه النحاس، وأنّ أهل المعدن فرحوا بالسبي، فدعت عليهم زينب أُخت الحسين عليه السلام، ففسد المعدن منذُ ذلك الحين. وقال بعض ثالث منهم: إنّ هذه الكتابة التي على الحجر قديمة، وأثر هذا المكان قديم، وأنّ هذا الطرح الذي زعموا لم يفسد، وبقاؤه دليل على أنّه ابن الحسين. فشاع بين الناس هذه المفاوضة التي جرت، وخرجوا إلى هذا المكان وأرادوا عمارته، فقال سيف الدولة: هذا موضع قد أذن الله تعالى لي في عمارته على اسم أهل البيت[1].

ويتابع ابن أبي طي: أنّه رأى باب المشهد المتبقّي من عهد سيف الدولة، ووصفه بأنّه باب صغير من حجر أسود عليه قنطرة مكتوبٌ عليها بخطٍّ أهل الكوفة كتابة عريضة، وهذه الكتابة الكوفية كانت تنصُّ على بناء المشهد من قِبل سيف الدولة في التاريخ المذكور أعلاه، أي: سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، ونصُّ الكتابة كما قرأها ابن أبي طيّ هي كالآتي: «**عَمّر هذا المشهد المبارك ابتغاء وجه الله وقربةً إليه، على اسم مولانا المُحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الأمير الأجلّ سيف الدولة أبو الحسن علي ابن عبد الله بن حمدان**»، وينتهي النصُّ بتاريخ عمارة المشهد[2].

هل للحسين عليه السلام ولد اسمه المُحسن؟

اتَّفق العلماء والمؤرِّخون على أنّ عدد أولاد الإمام الحسين عليه السلام من الذكور أربعة، وهم: الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وعلي الأكبر شهيد الطفِّ، وجعفر،

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ق١، ص٤٨ـ٤٩.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٩.

وعبد الله[1]. ومنهم مَن زاد على هؤلاء الأربعة ابناً خامساً اسمه محمد[2]. ولم يذكر أحد من المؤرِّخين أنّ للإمام الحسين عليه السلام ابناً اسمه المُحسن.

هذا، وبالرجوع إلى القصّة المتقدّمة التي ذكرها يحيى بن أبي طي في سبب أو كيفية ظهور قبر المُحسن بحلب، فإنّه يمكن أن يُقال: بما أنّ المؤرِّخ المذكور كان يعيش بعد قرنين من ظهور مشهد المُحسن، كما أنّنا لا نظنُّه قد تعمّد الكذب وخلق هذه القصّة حول بناء المشهد، وكذلك على فرض صحة القصّة وعدم تحريفها من قِبل رواتها إلى ابن أبي طي، فالكتابة القديمة على قبر المُحسن، والتي كانت تُشير إلى أنّه ابن الإمام الحسين عليه السلام، هي وثيقة تاريخية بحدِّ ذاتها، وهي أقدم من نصوص المؤرِّخين الذين لم يذكروا أنّ المُحسن في عداد أولاد الحسين عليه السلام. وبناءً على هذا؛ يمكن القول: إنّه ربّما كان للحسين عليه السلام واقعاً ولد اسمه المُحسن، خفي خبره عن المؤرِّخين، فلم يذكروه في مؤلّفاتهم؛ وسبب ذلك أنّه وبشكل عامّ، لم تصل إلينا من خلال المصادر التاريخية تفاصيل كثيرة تتعلّق بالأحداث التي جرت في مسيرة سبايا أهل البيت عليهم السلام، من الكوفة إلى الشام بعد واقعة عاشوراء.

تاريخ المشهد ومراحل عمارته

لقد مرَّ مشهد المُحسن بالعديد من مراحل العمارة وتوسعة البناء، فقد تمَّ تجديد بنائه مرّات عدّة، وقد زوَّدنا ابن شدّاد بتفاصيل مهمّة عن تطوُّر بناء المشهد ومراحل عمارته، كما أنّ معلومات أُخرى في هذا المجال يمكن الحصول عليها من خلال الكتابات الحجرية الموجودة على جدران المشهد، والتي لم يُشر إليها المؤرِّخون.

(١) أُنظر: الزبيري، مصعب بن عبد الله، نسب قريش: ص٥٧ـ٥٩. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٥. وأيضاً: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج١، ص٤٧٨. وأيضاً: الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٩.

(٢) أُنظر: الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص ٢٠٢. وأيضاً: ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٨٥. وأيضاً: سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواصّ: ص٢٤٩. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص٧٤.

ومن خلال هذه المعطيات، نحاول أن نُقدِّم هنا تاريخاً شاملاً لمراحل التوسعة وإعادة البناء التي شهدها المشهد عِبر تاريخه وإلى هذا اليوم.

فقد ذكر ابن شدّاد ـ ويبدو أنّ الكلام منقول عن ابن أبي طي ـ أنّه في أيّام بني مرداس (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م ـ ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) بُني المصنع الشمالي من المشهد، ثمّ في أيّام قسيم الدولة آقسُنقر (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، بُني في خارج قبلة المشهد مصنع للماء وكُتِبَ عليه اسمه، وبُني الحائط القبلي للمشهد بعد وقوعه، ووُقِفَ على المشهد أوقاف في منطقة (الحاضر السليماني)، وعُمِلَ للضريح طوق وعرانيس من فضّة وجُعِلَ عليها غشاء[١]. كما أشار مؤرِّخون آخرون كذلك إلى تجديد بناء المشهد من قِبل آقسُنقر من دون الإشارة إلى تفاصيل أُخرى عن ذلك[٢].

ولمّا حاصر الصليبيون مدينة حلب في سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، نبشوا ضريح المُحسن ونزلوا فيه فلم يروا شيئاً فأحرقوه؛ وعلى إثر ذلك أمر القاضي أبو الفضل ابن الخشّاب المقتول سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)، الذي كان يتولّى حينئذٍ شؤون المدينة، بتحويل عدد من الكنائس في حلب إلى مساجد[٣].

وهناك كتابة أثرية على الواجهة الشرقية للمشهد، تدلُّ على عمارة المشهد في عهد الأتابك عماد الدين زنكي، ابن قسيم الدولة آقسُنقر، والذي حكم ما بين (٥٢١هـ/ ١١٢٧م ـ ٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، وتاريخ الكتابة يعود إلى سنة (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م)، إلّا أنّ المصادر التاريخية لم تُشر إلى هذه العمارة.

هذا، وتُظهر الدلائل والشواهد المعمارية أنّ هذه الكتابة موجودة على باب صغير كان يُفتح مباشرة إلى الغرفة التي تحوي ضريح المُحسن، وقد استُبدل هذا الباب اليوم بنافذة مُطلّة على الضريح[٤].

(١) أُنظر: ابن شدّاد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٤٩.
(٢) أُنظر: ابن العديم، عمر بن أحمد، بُغية الطلب في تاريخ حلب: ج١، ص٤١٢.
(٣) أُنظر: المصدر السابق.
(٤) Allen، Terry، Ayyubid Architecture، chapter 4، http://www.sonic.net.

ويذكر ابن أبي طي أنّه بعد مقتل عماد الدين زنكي في سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، دخل ابنه نور الدين محمود (٥٤١هـ/ ١١٤٦م ـ ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) حلب والياً عليها، «**وفي أثناء دخوله إلى حلب ركب إلى مشهد الدكّة، زائراً لضريح المدفون فيه، وأقام فيه بعض يوم وكتب على حائطه:**

يـا ربّ بالقـدم التـي أوطأتهـا ... من قاب قوسـين المحلّ الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها ... كتـف المؤيـد بالرسـالة سُـلَّما
إنّي جعلتهـا إليـك وسـيلتي ... في يوم حشري أن أخوض جهنَّما

وكتب تحتها اسمه واسم أبيه، ودامت هذه الأبيات مكتوبة في المشهد إلى أن وليه (ابن العجمي) فمحاها»[1].

والجدير بالذكر أنّ هناك كتابة حجرية موجودة فوق كتابة عماد الدين زنكي المشار إليها آنفاً، تحمل اسم ابنه نور الدين محمود، وتُشير إلى عمارة المشهد في شهر ربيع الثاني سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، وقد ذكر عبد الله حجّار أنّ هذا التاريخ هو الشهر الأوّل من حُكم نور الدين، ويبدو أنّ الكتابة تُعبِّر عن ترميم السقف قرب موقع الكتابة[2]. ومن المحتمل أنّ الترميم المشار إليه له علاقة بزيارة نور الدين للمشهد عند دخوله حلب.

كما أشار ابن شدّاد كذلك إلى أنّه في أيّام نور الدين بُني بأمره صهريج في صحن المشهد وميضأة. ثمّ إنّه وفي العهد الأيّوبي قام رئيس حلب صفي الدين طارق بن علي بن محمد البالسي المعروف بـ(ابن الطريرة)، بهدم باب المشهد الذي كان قد بقيَ من عهد سيف الدولة الحمداني ورفّعه وحسَّنه. ولمّا مات ولي الدين أبو القاسم بن

(١) العشماوي، شيرين، كتابات ابن أبي طي الحلبي في المصادر الإسلامية: ص٢٤٣. علماً بأنّ هذا النصّ قد نقلته الباحثة (العشماوي) عن مخطوطة تاريخ ابن الفرات.
(٢) حجّار، عبد الله، معالم حلب الأثرية: ص١٤١.

علي رئيس حلب ـ وهو ابن أخي ابن الطريرة المتقدّم ذكره ـ دُفِنَ إلى جانب المصنع الجنوبي للمشهد، ونُقِضَ أيضاً باب المصنع الذي عليه اسم قسيم الدولة آقسُنقر، ثمّ بُني وكُتِبَ عليه اسم ابن الطريرة، وذلك في سنة (٦١٣هـ)[١].

هذا، وقد هجم الشيخ إبراهيم نصر الله في كتابه (آثار آل محمدﷺ في حلب) على ابن الطريرة، واتّهمه بأنّ هدفه من تجديد باب المشهد، هو إزالة اسم سيف الدولة من باب المشهد، والذي كان قد بقيَ على الباب منذُ بنائه لأكثر من قرنين من الزمن[٢]. ونرى ـ استناداً إلى ما ذكره ابن شدّاد ـ أنّ ابن الطريرة كان يرغب بكتابة اسمه على أبواب المشهد؛ إذ هدم ـ أيضاً ـ باب المصنع الذي عليه اسم آقسُنقر وكتب اسمه عليه.

هذا، وأنّه إلى الآن توجد على باب المشهد كتابة أثرية من العهد الأيّوبي، تُؤرِّخ لعمارة الباب على يد (طارق بن أبي غانم بن طريرة) في سنة (٦٠٤هـ)، أي: في أيّام الملك الظاهر غازي الأيّوبي الذي حكم ما بين (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م ـ ٦١٣هـ/ ١٢١٦م). ولا بدّ أنّ (طارق بن أبي غانم بن طريرة) المذكور في هذه الكتابة هو نفسه (طارق بن علي البالسي) المذكور في كتاب الأعلاق الخطيرة.

وقد أشار ابن شدّاد أيضاً إلى أنّه في أيّام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيّوبي وقع الحائط الجنوبي للمشهد، فأمر ببنائه[٣]، ولعلّ هذا الترميم هو ما تُؤرِّخه الكتابة الموجودة على واجهة (القبلية)[٤] في الجهة الجنوبية من باحة المشهد؛ إذ تُشير إلى عمارة هذا المكان بأمر الملك الظاهر في سنة (٦٠٩هـ).

ثمّ يُتابع ابن شدّاد حديثه حول مراحل عمارة المشهد، بأنّه في أيّام الملك الناصر

(١) ابن شدّاد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٤٩ـ٥٠.
(٢) نصر الله، إبراهيم، آثار آل محمدﷺ في حلب: ص١٢٨.
(٣) أُنظر: ابن شدّاد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٥٠.
(٤) القِبلية في لسان أهل حلب هي مصلّى المسجد.

يوسف (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) و(٦٥٩هـ/ ١٢٦١م) ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي، جُدِّدَ الحائط الشمالي للمشهد بعد وقوعه[١]. ونظراً إلى وجود كتابة على واجهة الرواق الشمالي لباحة المشهد تاريخها سنة (٦٣٢هـ)؛ فلهذا يبدو أنّ وقوع الحائط الشمالي وإعادة بنائه حدث في أيّام الملك العزيز محمد، الذي حكم في ما بين (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) و(٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)، وليس في عهد ابنه الملك الناصر يوسف.

أمّا فيما يتعلّق بعمارة المشهد في العصر المملوكي، فقد ذكر ابن شدّاد أنّه لمّا ملك التتار مدينة حلب سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، نهبوا ما كان فيه من أواني الفضّة والبُسط، وخرّبوا الضريح والجدار، ونقضوا أبوابه، فلمّا ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس المملوكي الذي حكم في ما بين (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، أمر بترميم المشهد وإصلاحه، وجعلِ إمام وقيّم ومؤذّن فيه[٢].

هذا، ولم يفدنا مؤرِّخو حلب بعد ابن شدّاد: كسبط ابن العجمي (ت٨٨٤هـ)، وكامل الغزي (ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م)، ومحمد راغب الطبّاخ الحلبي (ت١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) ـ بتطوّرات البناء العمرانية طوال الفترة التي تلت عهد الظاهر بيبرس، أي: منذُ القرن الثامن وإلى يومنا هذا.

نعم، وُجِدَت كتابة باللغة التركية على باب المشهد، تفيد بتجديد بناء المشهد في سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، أي: في عهد السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، الذي تولّى الخلافة ما بين (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م) و(١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).

أمّا في العصر الحالي، فقد جرت أعمال ترميم للمشهد خلال عامي (٢٠٠٩م، ٢٠١٠م)، ومنذُ سنة (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) وُضِعَ على الضريح قفص يتألّف من

(١) أُنظر: ابن شدّاد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٥٠.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.

نوافذ فضّية مشبّكة، ومكسوّ في أعلاه بصفائح ذهبية، على غرار الأقفاص الموجودة على أضرحة أهل البيت عليهم السلام في مدينة دمشق، وقد تمّ صُنعه خصّيصاً في مدينة إصفهان في إيران، وخلال الحرب السورية الأخيرة، نُشرت إشاعة حول وقوع حادث تفجير إرهابي في المشهد، لم يتمّ التأكُّد منها عِبر المصادر الإعلامية الموثّقة.

الوصف المعماري للمشهد

يمكن الوصول إلى مشهد المُحسن من الشارع المجاور له، وذلك من خلال الصعود عِبر درج واسع حديث في سفح الجبل الذي يقع فيه. وتخطيط المشهد عبارة عن باحة تُحيط بها أقسام المشهد: كالمصلّى، والأروقة، وغرفة الضريح، وغرف أُخرى، وتعلو معظم هذه الأقسام قُباب نصف كروية صغيرة. والمشهد مبني من المداميك[1] الحجرية الكبيرة أو متوسطة الأحجام.

ويتمُّ الدخول إلى المشهد عِبر مدخل مرتفع يقع شرقي الباحة، يحتوي على باب متوسط، فوقه كتابة باللغة التركية من العهد العثماني، تعلوها كتابة عربية من العهد الأيّوبي؛ وفوق المدخل مقرنصات في خمس درجات، تعلوها مباشرةً طاسة حجرية كبيرة. وهذا المدخل هو الذي بناه ابن الطريرة في عهد الملك الظاهر غازي الأيّوبي، بعد أن هَدَمَ المدخل القديم الذي كان قد بناه سيف الدولة الحمداني. وسبق أن أشرنا إلى أنّ ابن أبي طي ذكر أنّه رأى باب المشهد المتبقّي من عهد سيف الدولة، ووصفه بأنّه «**باب صغير من حجر أسود عليه قنطرة مكتوبٌ عليها بخطّ أهل الكوفة كتابة عريضة**»[2].

وإلى الجنوب من المدخل، أي: شرقي الباحة، توجد غرفتان متداخلتان تعلو

(١) المداميك جمع (مدماك) الذي هو الصفّ من اللبن والحجارة في البناء. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص٤٢٩.

(٢) ابن شدّاد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٤٩.

كلّ منهما قُبَّة نصف كروية، أمّا الغرفة الشمالية فهي مفتوحة في باحة المشهد، بينما الغرفة الجنوبية ـ وهي غرفة الضـريح ـ فمتّصلة بالمصلّى، وهناك عمودان حجريّان موجودان عند موضع اتّصال الغرفتين المشار إليهما، يعلوهما تاجان على الطراز الإسلامي. أمّا غرفة الضريح فتحتّل الزاوية الجنوبية الشرقية للمشهد، ولها محراب بسيط في الضلع الجنوبي، وأنّ القُبَّة التي تعلوها يتمُّ الانتقال بها من المربّع إلى الدائرة بواسطة أربع حنيّات[1] في الزوايا.

أمّا الضريح فيتألّف من صندوق خشبي، على جهاته الأربعة نقوش ملوّنة ورسوم قناديل مدلَّاة، كُتِبَت في كلّ واحدة منها سورة التوحيد، ويدور حول الصندوق في أعلاه شريط كتابي بالخطِّ الكوفي المشجَّر، ولهذا الصندوق نموذج آخر يشبهه إلى حدٍّ كبير، كان موجوداً على قبر خالد بن الوليد في مدينة حمص، ثمّ نُقل مؤخَّراً إلى المتحف الوطني بدمشق، وقد صُنع بأمر الملك الظاهر بيبرس المملوكي في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م). وبناءً على هذا؛ يمكن القول: إنّ صندوق قبر المُحسن ـ أيضاً ـ يرجع إلى عهد الظاهر بيبرس، أي: إنّه صُنع بعد الدمار الذي أحلَّه التتار بهذا المشهد عند غزوهم لحلب. هذا، ويوجد على الصندوق الخشبي قفص مصنوع في مدينة إصفهان سنة (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

ويحتلّ المصلّى ـ أو القبليّة ـ الضلع الجنوبي للباحة، إلى الغرب من غرفة الضريح، ويتألّف من ثلاثة أقسام تتّصل بالباحة عبر ثلاثة أقواس، وتعلو كلّ قسم قُبّة نصف كروية، ويتضمّن القسم الأوسط منه المحراب، وفي الضلع الشمالي للباحة رواق يتألّف من ثلاثة أقواس، وتعلو سقفه ثلاث قباب نصف كروية، وفي الزاوية الشمالية الغربية للمشهد غرفة تعلوها قُبّة أيضاً، وجنوبي هذه الغرفة، أي: غربي الباحة هناك

(١) الحنايا جمع (حنيّة) وهي بمعنى القوس. اُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٩، ص٣٤٧.

قاعة سقفها مسطّح، وربّما كانت تعلوها أيضاً عدّة قباب، لكنّها سقطت ولم تُعمَّر.

ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المشهد غرفة واسعة مربّعة الشكل تضمُّ بركة للمياه، وتتّصل بالباحة على يمين المدخل عِبر ممرٍّ ضيّق، ويتألّف سقف الغرفة من أقواس مثلّثة الشكل يلتقي بعضها ببعض بضلع حادٍّ، وتنقطع عند نهايتها لتُؤلِّف شكلاً مربَّعاً مفتوحاً. ويبدو أنّ هذه الغرفة كانت تستعمل كمطبخ لإعداد الطعام وتوزيعه في أيّام عاشوراء من كل سنة[1].

نصوص الكتابات الأثرية الموجودة في المشهد

سبق القول: إنّ هناك عدّة كتابات أثرية موجودة على جدران مشهد المُحسن، تُؤرِّخ لمراحل العمارة وأعمال الترميم التي شهدها المشهد خلال العهود الإسلامية المختلفة، وهذه الكتابات تُغطّي مدّة زمنية كبيرة منذُ العهد الزنكي، أي: النصف الأوّل من القرن السادس الهجري، إلى العهد العثماني، أي: بدايات القرن الرابع عشر الهجري.

كما أنّنا أشرنا سابقاً إلى أنّ الكتابة التي كانت ترجع إلى عهد سيف الدولة الحمداني، تمّت إزالتها في نهاية القرن السادس الهجري، وقد ذكر ابن أبي طي أنّ نصّ هذه الكتابة كان كما يلي: «**عَمّر هذا المكان المشهد المبارك، ابتغاءً لوجه الله وقربةً إليه، على اسم مولانا المُحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الأمير الأجلّ سيف الدولة، أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان**»[2]، وينتهي النصّ بتاريخ عمارة المشهد، أي: سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م).

أمّا الكتابات الموجودة إلى اليوم، فقد سبق أن قرأها باحثون آخرون، لا سيّما عبد الرحمان الكيّالي وعبد الله حجّار. ومع ذلك فقد قمتُ بتصوير هذه الكتابات وإعادة

(١) أُنظر: حجّار، عبد الله، معالم حلب الأثرية: ص١٤٠.

(٢) ابن شدّاد، محمد بن علي،الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة: ج١، ق١، ص٤٨-٤٩.

قراءتها بدقّة ومقارنتها مع ما قرأها الباحثون السابقون، وتصحيح بعض أخطائهم في ذلك. وإليك عزيزي القارئ تعريفاً بهذه الكتابات وبياناً لنصوصها:

الكتابة الأُولى: أقدم كتابة بقيت إلى الآن في مشهد المُحسن، هي الكتابة الموجودة على الواجهة الشرقية، وبالتحديد على حائط غرفة الضريح من الخارج، بارتفاع (٣٥٠) سم عن سطح الأرض المجاورة، وهي كتابة كبيرة بالخطّ الكوفي في اثني عشر سطراً، ضمن إطار مربّع الشكل طول ضلعه (٥٠١) سم.

وتُؤرِّخ هذه الكتابة لأعمال ترميم أو عمارة المشهد في أيّام عماد الدين زنكي في سنة (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م)، ونصُّها كما يلي:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم، في أيّام مولانا

٢ـ الأمير الاسفهسلار الأجل، السيّد الكبير، الما

٣ـ لك العادل، العالِم المؤيّد، المنصور المظفّر، عماد

٤ـ الدين، ركن الإسلام، ظهير الإمام، نصير الأنام، محيي

٥ـ العدل، قطب الخلافة، قسيم الدولة، ناصر الملة

٦ـ جلال الأُمّة، شرف الملوك، عدّة السلاطين، قاهر المتمرّ

٧ـ دين، قامع الكفرة والمشركين، زعيم المجاهدين، معين

٨ـ الجيوش، حافظ حوزة المسلمين، شمس المعالي

٩ـ ملك أمراء المشرق والمغرب، شهريار الشام والعراقين

١٠ـ بهلوان جهان، خسرو إيران، آلب غازي، آغ ارسلان

١١ـ [اينانج] قتلغ طغرلتكين أتابك، نصير أمير المؤمنين

١٢ـ أعزّ الله أنصاره، وعمله في المحرّم سنة سبع وثلثين.

ويُلاحظ أنّ الرقم المذكور في الكتابة هو سبع وثلاثون (٣٧)، ويبدو أنّ انتهاء النصّ عند إطار الكتابة حال دون كتابة كلمة (خمسمائة). كما يُلاحظ عدم ذكر اسم عماد الدين ونسبه، أي: (زنكي بن آقسنقر) في الكتابة، ولا شكّ في أنّ

الألقاب المذكورة في الكتابة هي لعماد الدين زنكي، وقد أورد المؤرِّخ ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) هذه الألقاب المذكورة في تاريخه.

الكتابة الثانية: تقع على الواجهة الشرقية للمشهد، أعلى الكتابة الأُولى، بارتفاع نحو (٧٥٠) سم عن سطح الأرض المجاورة، وهي كتابة صغيرة بالخطّ الكوفي في أربعة أسطر، طولها (٥٠) سم وعرضها (٤٠) سم، وتُؤرِّخ لعمارة المشهد في أيّام السلطان نور الدين محمود بن زنكي في سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، ونصُّها كما يلي:

١ـ [العا] لِم المؤيّد، المنصور المظفّر، نور الدين

٢ـ الملوك، عدّة السلاطين، قاهر

٣ـ جهان، خسرو إيران، أمير العراقين، شهريار الشا[م]

٤ـ ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.

وهذه الكتابة ذكر نصّها عبد الله حجّار كما يلي: «**الملك، العادل العالم، المؤيّد المظفّر، نور الدين... تاج الملوك، عدّة السلاطين، قاهر المتمرّدين... بهلوان جهان، خسرو إيران، أمير العراقين، شهريار الشام، أتابك أبو القسم محمود بن زنكي بن آقسنقر، ناصر أمير المؤمنين، في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة**»[1]. وبالمقارنة بين هذين النصَّين ـ أي: نصّ الكتابة كما هي عليها الآن، وما ذكره عبد الله حجّار ـ يظهر أنّ هذه الكتابة فقدت أجزاء منها وأصبحت ناقصة.

الكتابة الثالثة: تقع على المدخل الرئيس للمشهد أسفل المقرنصات، وترتفع (٤٧٠) سم عن الأرض، وتُؤرِّخ لبناء المدخل على يد رئيس حلب ابن الطريرة في أيّام الملك الظاهر غازي الأيوبي، وهي بأبعاد (٤٠ـ١١٠) سم، وتتألّف من ثلاثة أسطر بخطّ الثلث، ونصُّها كما يلي:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم، جَدّد عمارته في دولة مولانا الملك

٢ـ الظاهر، غياث الدنيا والدين، غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب.

(١) أُنظر: حجّار، عبد الله، معالم حلب الأثرية: ص١٤١.

٣ـ الفقير إلى رحمة الله طارق بن أبي غانم بن الطريرة، يرتجي من الله الغفران، في سنة أربع وستماية.

والجدير بالذكر أنّه من الصعب قراءة تاريخ هذه الكتابة، وقد ذكر عالم الآثار (هرتسفلد) أنّه كان سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، بينما رأى (لورينز كورن) أنّه في سنة (٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)[١]. هذا، وأرى أنّ التاريخ الصحيح هو سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م).

الكتابة الرابعة: تقع على واجهة المصلَّى (أو القبلية) في باحة المشهد، على ارتفاع خمسة أمتار عن سطح الأرض، وتُؤرِّخ لتجديد بناء القبلية بأمر الملك الظاهر غازي الأيّوبي في سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، وهي بأبعاد (٦٠ـ٨٠) سم، وتتألّف من أربعة أسطر بخطِّ الثلث، وتنصّ على ما يلي:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بعمارة

٢ـ هذا الموضع المبارك، مولانا السلطان

٣ـ الملك الظاهر، غياث الدنيا والدين، أبو المظفّر

٤ـ الغازي بن يوسف، خلّد الله ملكه، في سنة تسع وستماية.

الكتابة الخامسة: تقع في باحة المشهد على واجهة الرواق الشمالي، على ارتفاع (٥٢٠) سم عن الأرض، وهي تضمُّ أسماء الأئمّة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية في خمسة أسطر بخطِّ الثُلث، أمّا أبعادها فهي (١١٥ ــ ١٧٥) سم، ونصُّها كما يلي:

١ـ اللّهم صلِّ على محمد المصطفى، وعليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، وخديجة

٢ـ الكبرى، والحسن المجتبى، والحسين شهيد كربلاء، وعلي بن الحسين زين

٣ـ العابدين، ومحمد بن علي باقر علم الدين، وجعفر بن محمد الصادق

٤ـ الأمير وموسى بن جعفر الكاظم الحلّيم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد

(١) Allen، Terry، Ayyubid Architecture، chapter 4، http://www.sonic.net.

٥ـ ابن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي، ومحمد بن الحسن المنتظر.

وينتهي هذا النصُّ بعبارة (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولكن بخطٍّ غير محفور في إطار الكتابة.

كما تضمُّ هذه الكتابة أيضاً نصوصاً قرآنية محفورة على الإطار المحيط بها، تتألّف من البسملة والآيتين (٥٥ـ٥٦) من سورة المائدة، وتُؤرِّخ لعمارة الرواق في سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، ونصّها كما يلي:

[الجانب الأعلى:] بسم الله الرحمن الرحيم. إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة

[الجانب الأيسر:] ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتولّ الله

[الجانب الأيمن:] ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون.

[الجانب الأسفل:] جُدّد في شهور سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

الكتابة السادسة: وهي أحدث كتابات المشهد، وتقع فوق باب المشهد وتحت الكتابة الثالثة في ثلاثة أسطر، وهي بخطِّ النسخ وباللغة التركية العثمانية، وتُؤرِّخ لتجديد البناء في عهد السلطان عبد الحميد الثاني العثماني في سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، ونصّها كما يلي:

١ـ آن بيت فزاي مقام معلاي خلافت إسلاميه و اريكه پيراي سلطنت سنيه عثمانيه السلطان

٢ـ ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان ثاني حضرتلري طرفِ

٣ـ اشرفلرندن، اسبق جامع ومنيف مرقد، بيك اوچ اون دُرت سنه هجريه سنده تعمير ايدلمشدر ذي القعدة سنة ١٣١٤هـ.

الأهمّية التاريخية والمعمارية للمشهد

من خلال هذه الدراسة، يمكن القول: إنّ مشهد المُحسن يُعدّ بناءً تاريخياً مهمّاً من الجانبين التاريخي والمعماري، ويمكن أن نُلخِّص أهمّية هذا المشهد في النقاط الآتية:

١ـ يُعدّ مشهد المُحسن من الآثار المعمارية القليلة، بل النادرة المتبقّية من العهد الحمداني، وإن كان مختلف أقسامه قد جرت عليها تعديلات، أو أُعيد بناؤها في العهود التاريخية اللّاحقة.

٢ـ يُعدّ مشهد المُحسن من أقدم المشاهد الدينية للشيعة، التي احتفظت بمخطَّطها الأوّلي إلى حدٍّ ما؛ وبالمقارنة مع الكثير من المعالم الشيعية الأُخرى التي فقدت قِدمها وأصالتها بسبب أعمال التوسعة المتكرّرة، فإنّنا نرى أنّ مشهد المُحسن قد حافظ على أصالته التاريخية.

٣ـ يحتوي المشهد على كتابات أثرية من مختلف العصور التاريخية لفترة تمتدُّ إلى ثمانية قرون، وترجع إلى العهود السلجوقية، والأيّوبية، والمملوكية، والعثمانية، وهذا التنوُّع الموجود في الكتابات التاريخية هو أمر من النادر أن نراه في معالم مشابهة أُخرى.

صورة قديمة لمشهد المحسن، بعدسة عالم الآثار إرنست هرتسفلد
(المصدر: http://siris-archives.si.edu، Ernst Herzfeld papers)

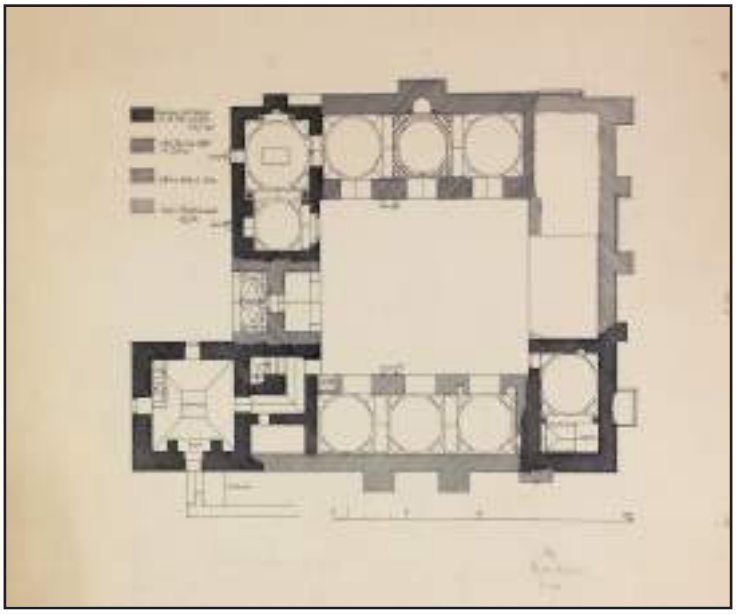

مخطط مشهد المحسن، ترسيم هرتسفلد
(المصدر: http://siris-archives.si.edu، Ernst Herzfeld papers)

الواجهة الشرقية للمشهد (صورة بعدسة الباحث)

المشبّك الجديد على قبر المحسن (الصورة بعدسة الباحث)

المدخل الرئيسي للمشهد (الصورة بعدسة الباحث)

الكتابة رقم ١ (الصورة بعدسة الباحث)

الكتابة رقم ٢ (الصورة بعدسة الباحث)

الكتابة رقم ٣ (الصورة بعدسة الباحث)

الكتابة رقم ٤ (الصورة بعدسة الباحث)

الكتابة رقم ٥ (الصورة بعدسة الباحث)

الكتابة رقم ٦ (الصورة بعدسة الباحث)

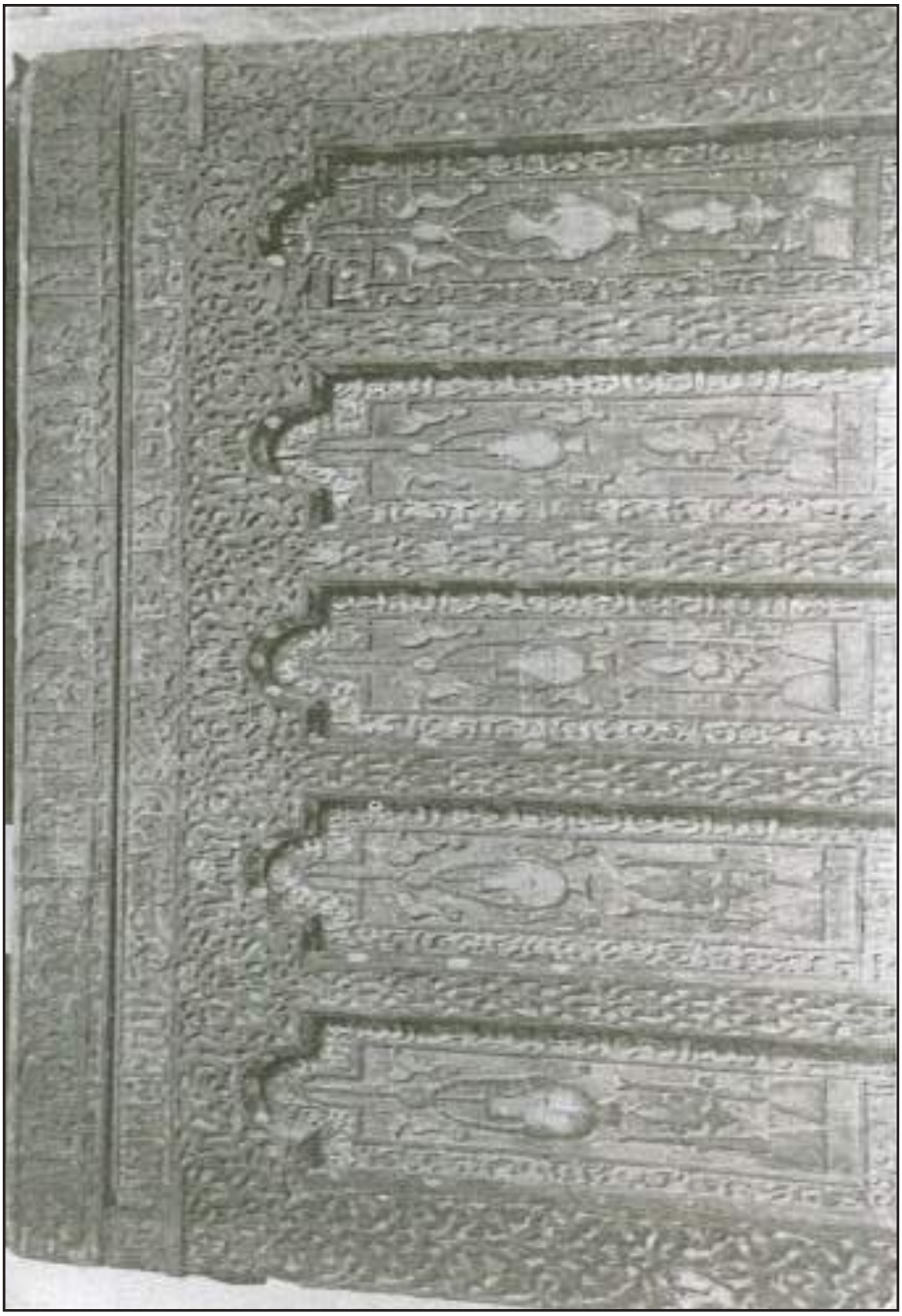

صورة قديمة للصندوق الخشبي على قبر المحسن بن الإمام الحسين عليه السلام
(المصدر: الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية.. خصائصها وآثارها في سورية: ص١٦٤)

الضلع الشمالي / الواجهة الشمالية للصندوق الخشبي الموجود على قبر المحسن
الصورة بعدسة الباحث: Ross Burns
(المصدر: http://monumentsofsyria.com)

المصادر والمراجع

١ـ آثار آل محمدﷺ في حلب، إبراهيم نصر الله، مطبعة الوطن العربي، حلب، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد المعروف بـ(الشيخ المفيد)، مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣ـ الإشارات إلى معرفة الزيارات، علي بن أبي بكر الهروي، تحقيق: جانين سورديل، وطومين، المعهد الفرنسي، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٩٥٣م.

٤ـ أضواء وآراء، عبد الرحمن الكيّالي، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٦١م.

٥ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة، محمد بن علي بن شدّاد الحلبي، تحقيق: دومينيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م.

٦ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.

٧ـ بُغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن العديم، تحقيق: سهيل زكّار، دار القلم العربي، دمشق، ١٩٨٨م.

٨ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م.

٩ـ تاريخ دمشق (٣٦٠ـ ٥٥٥)، حمزة بن أسد بن القلانسي، تحقيق: سهيل زكّار، دار حَسّان، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٩٨٣م.

١٠ـ تذكرة الخواص، يوسف بن فرغلي، المعروف بـ(سبط ابن الجوزي)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، ١٤١٨هـ.

١١ـ دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

مقالات ذات صلة بملف العدد

تتميماً للفائدة وتيسيراً للقارئ الكريم يسرّنا أن نذكر تحت هذا العنوان المقالات التي لها صلة مباشرة بملف العدد، والتي نُشرت في الأعداد السابقة:

*** أثر القرآن الكريم في خُطب السيدة زينب عليها السلام**

م. م. إيناس محمد العبادي

العدد الرابع والعشرون، السنة السادسة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص٢٥٣ـ ٢٦٦.

*** الترغيب والترهيب منهجٌ تربوي للقرآن الكريم وللإمام الحسين عليه السلام**

أ. د. فاطمة عبد الأمير الفتلاوي/ م. د. زهراء رؤوف الموسوي

العدد السادس عشر، السنة الرابعة ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص١٦٧ـ ١٨٩.

*** الشعائر الدينية والمراسم الحسينية.. دراسة لُغوية قرآنية في الانطباق المفهومي**

السيّد شهيد طالب الموسوي

العدد الثامن عشر، السنة الخامسة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص١٢٧ـ ١٥٩.

*** قبس من الامتدادات القرآنية في خطاب السيدة زينب عليها السلام**

أ. د. إبتسام السيد عبد الكريم المدني

العدد الرابع والعشرون، السنة السادسة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص١٥٩ـ١٨٤.

*** قبس من القرآن الكريم ونهج البلاغة في خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد**

د. زهور كاظم زعيميان

العدد الرابع والعشرون، السنة السادسة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص٨١ـ ١٠٣.

*** قرآنية الإعلام الزينبي ومقوّمات النصر الإلهي.. مقاربات معرفية**

م. د. آمال خلف علي آل حيدر

العدد الحادي والعشرون، السنة السادسة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص٧٥ـ٩٢.

*** المبادئ والأُسس القرآنية للقضية الحسينيّة**

أ. م. د. خولة مهدي الجراح

العدد الرابع عشر، السنة الرابعة ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٩٣ـ١١٦.

*** المباني القرآنية لنهضة عاشوراء**

د. محمد علي رضائي الإصفهاني

العدد الخامس، السنة الثانية ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م، ص٣٩ ـ ٥٥.

*** النثر في ثورتي التوابين والمختار الثقفي وتأثره بالنص القرآني**

د. هاشم الزرفي.

العدد الثامن، السنة الثانية ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١٧٢ـ٢٠١.

*** وظيفة المثل القرآني في خطبة السيدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة.. دراسة تحليلية**

م. د. نور مهدي الساعدي.

العدد الرابع والعشرون، السنة السادسة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص٢٢٧ـ٢٤٤.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والإنجليزية

مدخل لدراسة الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

تناول الباحث جانباً من الجوانب المهمة التي لها علاقة وثيقة بواقعة الطف، وهو ما يرتبط بالأبعاد القرآنية في بيانات الإمام الحسين عليه السلام، فتناول فيه الآيات القرآنية التي وظّفت من قِبله عليه السلام في خطاباته الصادرة إبان نهضته المباركة، ليكون مدخلاً رئيساً ومهماً إلى مجموعة من المواضيع التي تناولها الباحث في سلسلة متراتبة حول الأبعاد القرآنية التي وردت في خطبه ورسائله عليه السلام، ومذى ارتباطها بالحدث الذي أدى إلى استشهاده وجميع مَن كان معه من أهل بيته وأصحابه؛ إيماناً من الباحث بضرورة البحث عن علاقة بعض الآيات التي قرأها الإمام الحسين عليه السلام بشخصه من جهة، ومدى انطباق بعض الآيات التي استشهد بها عليه السلام على المخاطبين الذين حضروا في الجبهة المعادية من جهة أُخرى، وأيضاً مدى توافقها مع المضامين الواردة في الزيارات التي صدرت عن الأئمة عليهم السلام في حق الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الذين استُشهدوا في واقعة الطف، وقد أفرد لكل موضوع من المواضيع المتقدمة بحثاً مستقلاً.

وبعد أن تناول السابقة الدراسية لموضوع بحثه اعتمد خطة متكونة من مباحث أربعة: كان المبحث الأول في التوظيف القرآني في المعسكر الحسيني وانعدامه في الجبهة المعادية، وقد ذكر مجموعة من الأسباب والمبررات لذلك، كما عقد المبحث الثاني للإجابة عن إشكالية تصادم التوظيف القرآني في واقعة كربلاء مع المنع عن الحجاج بالكتاب، وأما المبحث الثالث فقد تناول فيه أنماط الاستعمال القرآني في كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ليختم حديثه بمبحث رابع تحت عنوان: نظرة تحليلية إلى الواقع التفسيري لهذه الآيات، وقد توصّل فيه إلى اندراج هذا التوظيف من قِبله عليه السلام في باب الجري والانطباق، وأخيراً فقد ذكر مجموعة من النتائج المهمة في خاتمة بحثه.

An Entry into Studying the Quranic Presence in the Statements of Imam al-Husayn (PBUH)

Shaykh Sabah Abbas al-Saidi

The researcher addresses an important aspect strongly related to the Event of al-Taff. This aspect is the Quranic dimensions in the Statements of Imam al-Husayn (PBUH), where the researcher mentions the Quranic verses employed by the Imam (PBUH) in his speeches before his blessed uprising.

This aspect will serve as an important entrance into a group of topics the researcher addresses in a correlated series on the Quranic dimensions which manifested in the Imam's speeches and letters, and how these dimensions relate to the incident leading to his martyrdom and the martyrdom of all who were with him from his household and companions. The researcher believes in the necessity of studying the relationship between some of the verses Imam al-Husayn (PBUH) recited and the person of Imam al-Husayn (PBUH). In addition to how some verses that he cited were applicable on the addressees present at the hostile front, and also how these verses were congruent with the notions mentioned in the Ziyaras recited by the Imams (PBUT) to Imam al-Husayn (PBUH) and his household and companions who were martyred at the Event of al-Taff. The researcher has previously allocated each of these topics a separate study.

After having addressed the research precedent of his topic, he divides his article into four objects of research. The first object of research was dedicated to the employment of the Holy Quran in Imamal-Husayn's camp, and its complete absence at the hostile front. He mentions a series of reasons and justifications to why this was the case. The second object of research sought to answer the problem with the employment

of the Holy Quran at the Event of al-Taff colliding with the prohibition against arguing using the Holy Book. The third object of research addressed the different styles of Quranic employment in the words of Imam al-Husayn (PBUH), whereas the fourth and last object of research was named, *An Analytical Review into the Reality of the Exegesis of These Verses.* In this object of research, the researcher concludes that this employment was indeed incorporated by the Imam (PBUH) based on the *Method of Applicability and Implementation*. At the end of the article, the researcher mentions a series of important results.

ندوة:

الخطاب القرآني في النهضة الحسينية

دراسة في الاستعمال والتوظيف

د. السيد نذير الحسني

البحث هو عبارة عن ندوة أُلقيت في مؤسسة وارث الأنبياء الحسينية، وقد ذكر الباحث في المقدمة أنّ أروع ما يمكن بحثه في أبعاد هذه النهضة الحسينية المباركة هو إبراز الخطاب القرآني لهذه النهضة وكيفية انطباعه في مبادئها وحركتها وأهدافها، فقد وظّف قائدها منهج القرآن الكريم وأساليبه وأهدافه في خطابه وسلوكياته حتّى استشهاده.

ثمّ ذكر نقاطاً تمهيدية قبل الدخول في صلب البحث، كان من جملتها الحديث عن أنواع الحرب والمواجهة، فهي تارة تكون على القرآن وأُخرى تكون بالقرآن، والأُولى تمثّلت في زمن النبي صلى الله عليه وآله، والثانية في زمن الإمام علي والحسن عليهما السلام، وفي زمن الحسين عليه السلام تحوّلت الحرب من جديد إلى حرب على القرآن، فالدارس للخطاب القرآني في النهضة الحسينية عليه أن يعرف مستوى التشابه في المواقف والظروف التي مرّ بها الإسلام بين زمان النبي صلى الله عليه وآله وزمان حفيده السبط عليه السلام.

وذكر أيضاً في إحدى النقاط أنّ هناك فرقاً بين أن ننظر نظرة مجموعية موضوعية إلى فترة إمامة الحسين عليه السلام، وبين أن ننظر إلى الفترة التي قضاها أواخر حياته الشريفة ـ وهي الأشهُر الستة ـ فإنّ هذه الفترة لها أهدافها وظروفها ودلالاتها ومعانيها؛ وعليه فإن كان هناك جامع للآيات القرآنية التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام طيلة عشر سنوات، فهو ينصبّ في بناء المجتمع الصالح، وهذا لا يعني عدم وجود أهداف متعددة تنطوي عليها بعض فترات حياته الشريفة.

ثمّ تطرق إلى أساس البحث وهو (منهج دراسة الخطاب القرآني في النهضة الحسينية)، حيث ذكر له خمسة تقسيمات:

١ـ تقسيم الآيات حسب نوعية المخاطب.

٢ـ تقسيم الآيات القرآنية على أساس أسباب نزولها.

٣ـ آيات خاطب الإمام عليه السلام بها العقول، وآيات خاطب بها العواطف.

٤ـ تقسيم الآيات بحسب الأماكن.

٥ـ تقسيم الآيات بحسب نوعية العدو المخاطب.

ثم ختم البحث ببعض المقترحات.

A Seminary:
The Quranic Rhetoric in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)
A Study Into the Adaption and Application

Dr. Sayyid Nadheer al-Hasani

This research is a lecture delivered at Warith al-Anbiya Institute for Special Studies in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH). The researcher mentions in his introduction that the most prominent case one can study in the dimensions of the blessed uprising of Imam al-Husayn (PBUH) is the portraying of the Quranic Rhetoric in this uprising and how it affected its principles, movement, and goals. Its leader utilized the Holy Quran's ways, methods, and goals in his speeches and behavior until he was martyred.

After that, the researcher mentions some preliminary subjects before entering into the core of the topic. Such as the types of war and conflict, as a war or conflict might be over the Holy Quran, and sometimes with the Holy Quran. The first one was during the time of the Messenger (PBUH&HF), and the second was during the time of Imam Ali and Imam al-Hasan (PBUT). Whereas at the time of Imam al-Husayn (PBUH), it returned to be a war over the Quran.

Whoever studies the Quranic rhetoric in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) must be aware of the level of the resemblance of the circumstances, conditions, and stances Islam experienced at the time of the Prophet (PBUH&HF) and at the time of his grandson (PBUH).

The writer also mentions that there is a difference between a systematic, objective observation of the Imamate of Imam al-Husayn (PBUH) and between the last period of his noble life, i.e., the last six months of

them. This period had its objectives, circumstances, indications, and meanings. Therefore, if there were to be a common denominator for the Quranic Verses Imam al-Husayn (PBUH) mentioned throughout ten years, it would be the establishment of a virtuous society. However, this does not mean that there were no other goals covered by some periods of his noble life.

After that, he addresses the basis of the study: *The Method of Studying the Quranic Rhetoric in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH),* where he mentions five classifications:

1. Classifying the verses based on the type of addressee.
2. Classifying the verses based on the occasion the verse was revealed for.
3. Classifying the verses into those that the Imam (PBUH) used to address the intellect with, and those which he used to address the emotions with.
4. Classifying the verses based on locations.
5. Classifying the verses based on the type of the addressed enemy.

The writer then ends his research with some suggestions.

تجلّي آيات من القرآن الكريم في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

علي كريم بورقراملكي

ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي

المقال هو عبارة عن بيان العلاقة بين القرآن الكريم والإمام الحسين عليه السلام من خلال تجلي بعض الآيات القرآنية وتجسّدها في سلوك الإمام الحسين عليه السلام وسيرته المباركة.

وقد ذكر الباحث في مقدمة مقاله أنّ المستفاد من حديث الثقلين أنّ جميع أهل البيت عليهم السلام يمثّلون القرآن الكريم في حياتهم، وإذا أخذنا سيرة الإمام الحسين عليه السلام كنموذج وأخضعناها إلى نظرة واقعية، ودرسناها وفق رؤية قرآنية، فسندرك بسهولة أنّ سيرته المباركة تكشف بذاتها أنّه عليه السلام سلك طريق العمل بآيات القرآن الكريم في جميع مراحل حركته، وأنّ هدفه من النهضة أساساً هو هدف قرآني وسماوي، فالإمام الحسين عليه السلام يمثل الشخصية التي استطاعت أن تجسّد القرآن الكريم بصورة واقعية في حياتها الحافلة بالمفاخر.

ومن هذا المنطلق ذكر الباحث أنّ هذا المقال هو محاولة لإلقاء نظرة على بعض الآيات القرآنية التي تبلورت في حياته عليه السلام؛ لنبيّن أنّه عليه السلام كان الحامي والذائد الحقيقي عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله إزاء الأعداء وعلى رأسهم يزيد بن معاوية.

وقد ذكر الباحث أنّ من جملة المفاهيم القرآنية التي تجلّت في حياته وسيرته، وكانت شخصية الإمام عليه السلام تجسيداً لها ما يلي: إقامة الصلاة ومناجاة الله، التمسّك بالعهد والميثاق، الكرم والسخاء، العزّة والإباء، علاقة الحبّ مع الله، التوكّل على الله، الصدق في شؤون الحياة، العلاقة وفقاً للتعاليم الإسلامية، الإحساس بالحضور

بين يدي الله، ضرورة الثبات والمقاومة، ضرورة الحفاظ على سلامة المجتمع الديني.

وفي الختام، استنتج الباحث أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أثبت من خلال حياته المليئة بالعرفان والعشق الإلهي ضرورة التزام الإنسان في جميع مراحل حياته العلمية والعملية بجميع التكاليف والتعاليم الإلهية التي جاءت لتأخذ بيد الإنسان نحو السعادة، ومما لا شك فيه أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو من جملة أولياء الله الذين تمكّنوا من العمل بتلك التكاليف على أجمل وجه.

Manifestations of Verses from the Holy Quran in the Life of Imam al-Husayn (PBUH)

Ali Karimpour Qaramalaki
Translated into Arabic by Dr. Shaykh Meytham al-Rubay'ie

The article articulates the relation between the Holy Quran and Imam al-Husayn (PBUH) through the manifestation and embodiment of some Quranic Verses in the behavior and blessed life of Imam al-Husayn (PBUH).

The researcher mentions at the beginning of his article that the *Narration of the Two Weighty Things* states that all the Household (PBUT) represent the Holy Quran in their life, and if we were to take the life of Imam al-Husayn (PBUH) and made it undergo a realistic examination, and studied it in accordance to a Quranic perspective, we would easily realize that this blessed life shows that he walked in the path of following the verses of the Holy Quran in all stages of his movements and that the main reason of the uprising was Quranic and heavenly. Imam al-Husayn (PBUH) truly represented someone who realistically embodied the Holy Quran in a splendid life.

Accordingly, the researcher mentions that this article is an attempt to view some of the Quranic verses that took form in his life (PBUH), in order to show that he was the protector and the true defender of the religion of the Messenger of Allah (PBUH&HF) against the enemies, on top of them, Yazid, son of Muawiya.

The researcher also mentions, that among the Quranic understandings that manifested in his life, and the personality of the Imam (PBUH) was an embodiment of, were: establishing prayer and silently supplicating Allah, keeping a promise and honoring an agreement, generosity, and munificence, honor and pride, a love-relation with Allah, relying

upon Allah, being true in the matter of life, having relations in accordance to the Islamic teachings, feeling the presence in front of Allah, the necessity of steadfastness and resistance, and the necessity of preserving the religious community.

At the end of the article, the researcher concludes that Imam al-Husayn (PBUH) had proven with his life, which was filled with divine mysticism and ardent love, the necessity of man adhering throughout every scientific and practical stage of his life, to all the divine duties and teachings which came to bring man toward his well-being. There is no doubt that Imam al-Husayn (PBUH) is one of the Guardians of Allah who were able to fulfill these duties perfectly.

الذبيح في القرآن
(وفديناه بذبح عظيم)

الشيخ رافد التميمي

يسعى المقال إلى إثبات كون الذبيح المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ هو الإمام الحسين عليه السلام، وذلك وفق المنهج الروائي في التفسير، وبعض الأبحاث التحليلية المستفادة من ألفاظ الآيات المباركة.

بداية قدّم الكاتب تمهيداً أشار فيه إلى أهمّية البحث، وجهته، والآيات المرتبطة به، ثمّ بيّن أنّ الهدف من البحث هو إثبات صورتين لهذه الواقعة، الأُولى: صورة ظاهرية، وهي ذبح تلك الذبيحة على يد النبيّ ابراهيم عليه السلام، والثانية: صورة واقعية حقيقية، وهي أن الذبح العظيم الذي كان فداء للنبيّ اسماعيل عليه السلام هو الإمام الحسين عليه السلام.

ثمّ تطرّق إلى بيان الثمرة المترتبة على إثبات كون الذبيح هو الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من خلال نقاط عدّة، منها: إثبات الدرجة الرفيعة للإمام الحسين عليه السلام، والرابطة التكوينية بين حلقات رسالة السماء، ووجود الإشارات القرآنية لواقعة كربلاء، وغير ذلك.

بعد ذلك استدلّ الباحث على المسألة بدليلين: دليل روائي، ودليل تحليلي. ذكر في الدليل الروائي رواية عن الصدوق في (الخصال)، معتبراً أنّها تامّة سنداً ودلالة. كما أجاب عن الإشكالات السندية والدلالية فيها ، ومنها: الإشكال في اعتبار عبد الواحد بن محمد بن عبدوس، وعلي بن محمد بن قتيبة، والإشكال في عدم التناسب بين المفدى والمفدى له باعتبار أنّ الفاضل لا يمكن أن يكون فداء للمفضول، وأنّ

الفداء كان جزعاً بجزع لا الإمام الحسين عليه السلام بالنبيّ إسماعيل عليه السلام، وغيرها من الإشكالات.

بعد ذلك تناول الدليل التحليلي، مقدّماً له ثلاث مقدّمات، الأُولى: في بيان علّة الذبح، وأنّ الأمر الذي فدى الله تعالى له أحد أنبيائه عليهم السلام لا بدّ أن يكون أمراً في غاية الأهمّية. الثانية: في معنى عظمة الذبح، وأنّها لا تكون وصفاً للكبش أو الوعل. الثالثة: ربط القضية بالإمام الحسين عليه السلام؛ لعدم وجود شخصية أعظم من شخصية الإمام تعرّضت للذبح بمعناه الحقيقي، إضافة إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام عُرف بلقب الذبيح واشتُهر به.

The Sacrifice in the Holy Quran:

"And We Ransomed Him with a Great Sacrifice"

Shaykh Rafed al-Tamimi

The article seeks to prove that the sacrificed one in His words, exalted is He, "And We ransomed him with a great sacrifice" is Imam al-Husayn (PBUH) according to the Narration-Based Exegesis of the Holy Quran and some analytical studies based on the blessed terms of the verse.

In the beginning, the researcher presents an introduction in which he emphasizes the significance of the research, its direction, and the related verses. After that, he elaborates that the objective of the research is to prove two sides to this incident. The first, an apparent side; the slaughter of that great sacrifice at the hands of Prophet Ibrahim (PBUH). The second, an actual, true side: the great sacrifice that ransomed Prophet Ismail (PBUH) was Imam al-Husayn (PBUH).

Then the researcher addresses the implications of proving that Imam al-Husayn (PBUH) indeed was the great sacrifice. He does that trough several factors, such as; the ascertainment of the high status of Imam al-Husayn (PBUH) and the existential connection between the Message of the Heavens, and the existence of indications in the Quran toward the Event of Karbala, etc.

The writer then proves this opinion based on two types of evidence; narration-based evidence and analytical evidence. The narration-based evidence is a narration transmitted by al-Sadooq in his book *al-Khesal.* The researcher considers it to be flawless in its chain of narrators and textual indication, while he also answers some problems raised regarding the chain of narrators and the textual indications of the narration. Such as the problems with the authentication of Abdul Wahed Bin

Muhammad Bin Abdous and Ali Bin Muhammad Bin Qutayba. Also, the problem with the incommensurability between the one sacrificed and the sacrificed for, i.e., the one whom the sacrifice ransoms, taking into account that the superior cannot be a sacrifice for the one inferior and that the sacrifice was a sacrifice of grief for another grief, and not Imam al-Husayn (PBUH) for Prophet Ismail (PBUH), and such other problems.

After that, he addresses the analytical evidence, beginning with three preludes. The first addresses the reason behind the sacrifice and slaughter, and that the cause which Allah, exalted is He, wanted to sacrifice one of his Prophets for, must have been of utmost importance. The second prelude addresses the meaning of *great sacrifice,* mentioning that it cannot be a description for a sacrifice involving a sheep or a deer. The third prelude addresses the relation of the sacrifice with Imam al-Husayn (PBUH) as there is no man *greater* than Imam al-Husayn (PBUH), who was slaughtered in its literal understanding as he was, in addition to the fact that his title, which he also became known with, is *The Slaughtered.*

النهضة الحسينية في مواجهة التطبيق الخاطئ للقرآن الكريم

الشيخ ميثم اليعقوبي

تحدّث الباحث في هذا المقال عن موقف النهضة الحسينية من التطبيقات الخاطئة والقراءات المحرِّفة للقرآن الكريم من قِبل الحكومة الأُموية؛ بهدف إيجاد شرعية لسلطتها، والتحكّم بمقدّرات الأُمّة، ومن جملة تلك التحريفات:

١ـ إطاعة ولي الأمر: إذ جاءت النهضة الحسينية لتفنّد بصورة عملية مبدأ الطاعة للحاكم الجائر الذي اتخذته السلطة الأُموية شعاراً يراد منه تخدير الأُمّة، من خلال تحريفهم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

٢ـ العقوبة جزاء الذنوب: حيث قام يزيد بن معاوية بالترويج بأنّ سبب ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء إنّما هو جزاء أعمالهم، مستشهداً بالآية القرآنية: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾. إلّا أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام تصدّى بكل صلابة وشجاعة لردّ هذه الفرية ودحضها، وأثبت لجميع الحاضرين في مجلس يزيد عدم فهم الخليفة الأُموي للقرآن الكريم.

٣ـ تخطئة حركة الإمام الحسين عليه السلام: حيث أراد بنو أُمية إيهام الناس أنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام مخالفة للإرادة الإلهية التي كانت سبباً وراء وصول يزيد للسلطة، وقد أوضحت السيّدة زينب عليها السلام وكذلك الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد أنّ الملك الذي تحت يده هو حقّ أهل البيت عليهم السلام.

٤ـ الإلقاء في التهلكة: وهذا الرأي منشؤه التظليل أو الجهل بمفهوم الآية المباركة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، وقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته من خلال أقوالهم وأفعالهم أنّ التضحية بالنفس والنفيس حفاظاً على المقدسات لا يُعدّ إلقاءً في التهلكة.

٥ـ مخالفة مشيئة الله تعالى: لقد عمدت السلطة الأُموية إلى ترسيخ عقيدة الجبر؛ من أجل توطيد ملكهم العضوض، مستدلّين بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. وقد كان للنهضة الحسينية دور كبير في تفنيد هذه العقيدة الباطلة؛ إذ كانت خطب الإمام السجادعليه السلام، وحرائر بيت العصمةعليهن السلام في الكوفة والشام، ومواقفهم البطولية، قد كشفت زيف هذه النظرية ووهنها، وأنّ المسؤول الوحيد عن قتل الإمام الحسينعليه السلام هو يزيد وأعوانه.

The Husayni Uprising – Confronting the Wrongful Implementation of the Holy Quran

Shaykh Meytham al-Yakoubi

The researcher addresses the stance of the Husayni Uprising against the wrongful implementations and falsified interpretation of the Holy Quran by the Umayyad government, who sought to provide some legal support to their legitimacy and seize control of the nation's properties.

Among these falsifications are:

1. The Obligation to Obey the Ruler: The Husayni uprising practically dismantled the principle of obeying the unjust ruler. A principle which Umayyad authorities used as their slogan aiming at sedating the nation. They did so by deviating the meaning of the verse: "O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger and those in authority among you."
2. Punishment is the Results of Sin: Yazid, son of Muawiya, began propagating that the reason why Imam al-Husayn (PBUH) and his household experienced what they did in Karbala, was due to their deeds. Misusing the verse: "And whatever strikes you of disaster – it is for what your hands have earned, but He pardons much." However, Imam Zayn al-Abedin (PBUH) faced this allegation with bravery and firmness in order to bury it. He proved to those present at Yazid's court that the Umayyad caliph did not understand the Holy Quran.
3. Wronging the Movement of Imam al-Husayn (PBUH): The tribe of Umayya sought to deceive people into believing that the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) was against the divine

will that placed Yazid as caliph. Lady Zaynab and Imam Zayn al-Abedin (PBUT) both explained at his court that the authority he was enjoying was, in fact, the Household's right.

4. The Prohibition of Throwing Oneself into Destruction: This opinion originates from deviating campaigns or ignorance toward the verse: "And do not throw yourselves with your own hands into destruction." Imam al-Husayn and his household articulated through their words and actions that sacrificing oneself and what is valuable, in order to preserve the sanctities of Islam, is not to be considered as throwing oneself into destruction.
5. Disobeying the Will of Allah, Exalted is He: The Umayyad authorities deliberately worked on establishing the belief of *Predeterminism* in order to strengthen their fragile kingdom, making their case with the words of Allah, exalted is He: "While Allah created you and that which you do." The Husayni uprising had a great role in dismantling this false belief, as the speeches and heroic stances of Imam al-Sajjad (PBUH) and the free ladies of the House of Infallibility in Kufa and the Levant, all exposed the falsity of this theory and its hollowness, and demonstrated that the only one responsible for the killing of Imam al-Husayn (PBUH), was Yazid and his henchmen.

د. الشيخ أسعد علي السلمان

إنّ الغرض من هذا المقال هو بيان الأجوبة القرآنية عن مجموعة من الشبهات التي طالت النهضة الحسينية، وقد اختار الكاتب ـ في المقام ـ أربع شبهات، ركّزت الأُولى منها على التشكيك بأصل النهضة الحسينية، وذلك من خلال القول: بأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد شذّ عن الأُمّة بتركه البيعة ليزيد، انطلاقاً من مبدأ ضرورة القبول برأس الهرم السلطوي ـ حتّى وإن كان فاجراً ـ إذا كان يحافظ في الجملة على النظام العامّ، وكان حائزاً على رضا الأغلبية؛ وقد أجاب عن هذه الشبهة بأنّ المبدأ القرآني يُقرّ بأنّ رسائل الأنبياء عليهم السلام لم تعتمد على عنصر الأغلبية في المجتمع، فطالما كان أتباعهم قلّة، وبما أنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت تسير على نفس الأهداف الرسالية للأنبياء عليهم السلام؛ لذلك متى ما شخّص عليه السلام ضرورة النهوض على الحاكم فلا ينبغي أن يخضع لقانون الرضوخ إلى الأغلبية.

أمّا الشبهة الثانية فقد نص القائلون بها على أنّ الحسين عليه السلام مع ما لديه من أنصار قليلين، كيف يُقدم على مقاتلة القوم في كربلاء، وهو يعلم علم اليقين بأنّهم سوف يُقتلون جميعاً، أليس هذا الفعل هو مخالفة صريحة لما هو موجود في القرآن من حرمة إلقاء النفس في التهلكة؟ وقد أُجيب عن ذلك بأنّ الإمام عليه السلام قد شخّص أنّ الهدف المتمثّل بالمحافظة على الدين والمنع من سراية الفساد هو أثمن من المحافظة على نفسه الشريفة ونفوس مَن معه؛ وقد نصّ القرآن على صحّة هذا المبدأ في آياته المباركة.

فيما جاءت الشبهة الثالثة التي طالت عوامل وأسباب النهضة الحسينية، وذلك من خلال القول بعدم وجود أسباب حقيقية لها تصبّ في مصلحة الأُمّة، أو أنّ سببها هو سعيه عليه السلام إلى الخلافة والرئاسة، إلى غير ذلك. وفي مقام الجواب عن هذه الشبهة فإنّه ومن خلال استعراض كلمات الإمام عليه السلام وقف الكاتب على مجموعة من العوامل

القرآنية المهمّة لنهضته المباركة: كرفض البيعة للظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

أمّا الشبهة الرابعة والأخيرة فقد تصدّى القائلون بها إلى التشكيك بصحّة إحياء واقعة الطفّ؛ وقد تمّت الإجابة عن ذلك من خلال عرض جملة من القضايا القرآنية التي تُفنّد كلّ واحدة أحد المبرّرات التي استند إليها القائلون بهذه الشبهة.

Answering the Misgrounded Conceits about the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) From the Holy Quran

Dr. Shaykh Asad Ali al-Salman

The objective of this article is to present the Quranic answers to a series of misgrounded conceits about the uprising of Imam al-Husayn (PBUH). Accordingly, the writer had chosen three misgrounded conceits, where the first conceit focuses on the doubts in the uprising itself, as Imam al-Husayn (PBUH) deviated from the Islamic nation when he refused to swear the oath of allegiance to Yazid. This misgrounded conceit is rooted in the principle of the necessity of accepting the head of the governing pyramid – even if he is debauched – if he keeps the public peace and order and enjoys the acceptance of the majority.

The writer answers this misgrounded conceit by presenting the Quranic principles that acknowledge that the message of the Prophets (PBUT) did not regard the majority factor in society, and their followers were always very few, and since the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) was on the same path as the apostolic goals of the Prophets (PBUT), he (PBUH) shall not succumb to the majority if he deems it necessary to rise against the ruler.

The second misgrounded conceit is regarding the causes and factors that led to the uprising, stating that there is no real reason for the uprising that would benefit the nation. Furthermore, that the reason behind the uprising was the Imam's (PBUH) attempt to achieve the caliphate and the rule, etc. In order to answer this misgrounded conceit, the writer presents the words of Imam al-Husayn (PBUH) and focusses on a series of important Quranic factors in his blessed uprising. Such as refusing to swear the oath of allegiance to the oppressors and enjoining good and prohibiting evil, etc.

The third misgrounded conceit is regarding the correctness of reviving the Event of al-Taff. This conceit is answered by a presentation of a series of cases from the Quran, which dismantles all the justifications of those behind this misgrounded conceit.

القرآن وأهل البيت عليهم السلام يمثلان النظرية والتطبيق

الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً

الشيخ عبد الرزاق الندّاوي

سعى الكاتب في هذا المقال إلى إثبات أنّ النهضة الحسينية المباركة كانت نهضة قرآنية موافقة ومطابقة لتعاليم الله تعالى وشريعة النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله، وبالتالي فهي بعيدة عن كلّ ما يُطرح من شبهات وترّهات. ومن أجل إثبات هذا المدعى على الصعيدين النظري والتطبيقي، فقد ابتدأ الكاتب مقاله بعرضٍ لأهمّ الأسباب التي أدّت إلى تعرض هذه النهضة إلى حملات التشويه والتسقيط، الرامية إلى الضرب على وتر أنّ الحسين عليه السلام كان مخطئاً في خروجه وحركته، ومن ثمَّ بيّن الكاتب أنّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام يمثّلان النظرية والتطبيق، وذلك من خلال بيان النظرية الإسلامية بشأن الإنسان الكامل الذي تجتمع فيه الفضائل ومحمود الصفات ويتنزّه عن الرذائل ومذموم السمات، ويكون هدفه هو الله تعالى والسعي إلى إرضائه، ثمّ توصّل الكاتب واستناداً إلى حديث الثقلين إلى أنّ الإنسان الكامل ينطبق تمام الانطباق على محمد وآل محمد عليهم السلام.

وبعد هذه المقدّمات دخل الكاتب إلى صلب حديثه في المقام، فبيّن ـ تحت عنوان: (الإمام الحسين عليه السلام والقرآن) ـ أنّ الآيات القرآنية كانت حاضرة في جميع سلوكياته عليه السلام وكلماته وحركاته وسكناته، ونظراً لكون أهمّ حادث في حياته عليه السلام هو واقعة الطفّ الأليمة؛ لذا تحدّث الكاتب عن هذا الموضوع من ناحيتين:

الأُولى: مشروعية هذه النهضة قرآنياً، وذلك من خلال عرض الآيات الدالّة على مشروعية الجهاد في الشريعة الإسلامية من أجل أهداف مقدّسة ونبيلة، وبيان مدى انطباقها على نهضة سيد الشهداء عليه السلام.

الثانية: حضور القرآن في هذه النهضة إعلامياً وعملياً، وذلك عن طريق السرد لحركة سيد الشهداء عليه السلام، الذي يجد المتتبّع من خلاله أنّ القرآن الكريم كان حاضراً في جميع مفاصل هذه النهضة، منذ انطلاقتها الأُولى يوم خروجه عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله، وإلى لحظة مصرعه على صعيد الطفّ، بل وحتّى بعد ذلك.

The Holy Quran and the Household (PBUT) Represent Theory and Application – Imam al-Husayn (PBUH) as a Sample

Shaykh Abdel Razzaq al-Naddawi

The writer attempts in this article to demonstrate that the blessed uprising of Imam al-Husayn (PBUH) was a Quranic uprising in accordance with the understandings of Allah, exalted is He, and the laws of the last Prophet (PBUH&HF), hence it is distant from all misgrounded conceits and nonsense. In order to prove this claim in terms of theory and application, the writer begins his article by presenting the most important reasons to why this uprising was a victim of defamation and smear campaigns propagating that Imam al-Husayn(PBUH) was wrong in his uprising and movement. After that, the writer articulates that the Holy Quran and the Household (PBUT) represent theory and application by addressing the Islamic theory on "*the complete human*" who possesses all virtues and proper qualities and remains aloof from vice and dispraised traits. He whose objective is to please Allah, exalted is He. Then the writer concludes, based on *the Narration of the Two Weighty Things*, that the description of a "*complete human*" is fully applicable with Muhammad (PBUH&HF) and his Household (PBUT). After this introduction, the writer dives into the core of the topic, *Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran*, articulating that the Quranic verses were present in all of his conducts, words, movements, and state of tranquility. Since the most significant event in the life of Imam al-Husayn (PBUH) was the sorrowful Event of al-Taff, the writer addresses this event from two perspectives:

Firstly, the legitimacy of this uprising from the Quran, by presenting

verses indicating the legitimacy of Jihad in the Islamic Law for sanctified and noble reasons and articulating how applicable these conditions were with the uprising of the Master of the Martyrs (PBUH).

Secondly, the practical and media presence of the Quran in this uprising, by recounting the movement of Imam al-Husayn (PBUH) enabling the follower to discover that the Holy Quran was present at every cornerstone of this uprising since its first launch the day Imam al-Husayn (PBUH) left the city of his grandfather (PBUH&HF) until the moment of his demise on the plane of al-Taff, rather even after that.

السنن الإلهيّة في آيٍ نَطَقَ بها الرأس الشريف

الشيخ حيدر العريضي

تحدّث المقال عن السنن الإلهية في الآيات القرآنية التي نطق بها رأس الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته، وقد عقد الباحث مقاله في أربعة مباحث، ابتدأها بمقدمة أشار فيها إلى مظاهر الآية الكريمة في عاشوراء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، عن أنّ المصاديق المظهرة لغيب هذه الآية قد تجسّدت في كرامات نطق الرأس الشريف بعد شهادته.

فتناول في المبحث الأول مسائل تمهيدية منها: تعريف كلمتي (الآية) و(السنن)، وكذلك الحديث عن الإثبات التاريخي لكرامة نطق الرأس الشريف، حيث ذهب إلى تظافر الأخبار في ذلك، وكذلك بيان عدد الآيات التي نطق بها الرأس الشريف وهي ستة، حيث بيّن من خلالها السنن الإلهية في المباحث اللاحقة.

ثم جاء المبحث الثاني ليتحدّث فيه عن آيات قرآنية من سورة الكهف تحت عنوان: (سنّة الهداية التشريعيّة والتكامل)، مبيّناً أنّ القانون الإلهي يقضي بهداية المؤمنين وزيادة تكاملهم ولو من خلال الرجعة إلى الحياة الدنيا بعد الموت، وهكذا كان أمر الإمام الحسين عليه السلام أعجب من أمر أصحاب الكهف، فبعد القتل الفعلي وقطع رأسه الشريف ظلّ يتكلّم وينطق بذكر الله تعالى تمهيداً لإنجاز وعده بالنصر.

وأمّا المبحث الثالث فجاء لبيان السنن الإلهية في آية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ تحت عنوان: (سنّة التأييد والنصرة للمؤمنين)، مبيّناً أنّ نطق الرأس الشريف بهذه الآية يدلّ على اتكال الإمام الحسين عليه السلام على السنّة الإلهية القاضية بنصرة حركته المباركة وحفظ سلالة النبوة والدين الإسلامي بعد شهادته، وأنّ النصر الحقيقي إنّما يأتي بالتضحيّة والفداء لأجل إحياء كلمة التوحيد.

وجاء المبحث الأخير لبيان (سنّة الله في الانتقام من الظالمين) وذلك من خلال ثلاث آيات مترابطة، فيها تذكير للمؤمنين، وتسلية بوعد الله تعالى، وسنّته القاضية بالاقتصاص من الظالمين ولو بعد حين، وقد أنبأ النبيّ الأكرمﷺ عن العاقبة المظلمة التي ستحلّ بالظالمين الذين قتلوا الحسينعليه السلام ومَن شايعهم وبايعهم ورضي بذلك.

ثمّ ختم مقاله بما توصّل إليه من نتائج.

The Divine Traditions in the Holy Verses Uttered by the Noble Head

Shaykh Haidar al-Aridhi

The article addresses the divine traditions in the Quranic verses uttered by the head of Imam al-Husayn (PBUH) after his martyrdom.

The writer's article consists of four objects of research, beginning with an introduction in which he addresses the manifestations of the following Holy Verse at Ashura, "*And do not consider those killed in the cause of Allah as dead. In fact they are alive at their Lord well provided for.*" The writer mentions that the manifestations depicting the unseen of this verse have been embodied in the Karama of the noble head's uttering after his martyrdom.

In the first object of research, the writer addresses some initial topics, such as; the definition of the words *Ayah* (verse) and *Sunnan* (traditions). He also addresses the historical evidence of the Karama that the noble head uttered, leaning toward the historical reports supporting the occurrence of this incident. He also presents the number of verses the noble head uttered, reaching six different verses which he uses to articulate the divine traditions with in the following objects of research.

Then follows the second object of research where he addresses Quranic verses from Sura al-Kahf, under the topic *The Traditions of Legislative Guidance and Complementarity*, articulating that the divine law dictates the guidance of the believers and the increase of their complementarity even through returning them to this life after their death. Therefore, the case with Imam al-Husayn (PBUH) was more splendid than the case with the People of the Cave, as he was killed and his noble head decapitated, yet the head kept speaking and uttering the remembrance of Allah in preparation to fulfill his promise of victory.

In the third object of research, the writer articulates the divine traditions in the verse, "*God will protect you against them*" under the topic *The Tradition of Supporting the Believers and Advocate for Them*, where he articulates that the uttering of the noble head of this verse, portrays Imam al-Husayn's (PBUH) reliance on the divine tradition, decreeing making his blessed movement victorious and preserving the lineage of the Prophethood and Islam after his martyrdom and that the true triumph comes with sacrifice and ransom for the sake of reviving the belief of Unification of Allah.

In the last object of research, the writer articulates the topic; *The Traditions of Allah in Revenge Against the Oppressors,* through three correlated verses containing reminders to the believers and assuring of the promise of Allah, exalted is He, and of His tradition, decreeing punishment of the oppressors even if it comes after a while. The Noble Prophet (PBUH&HF) had warned against the dark outcome that will occur to the oppressors who killed Imam al-Husayn (PBUH) and those who followed them, and swore the oath of allegiance to them, or were content with their deed.

At the end of his article, the writer mentions the results he reached.

صورة الشعائر الحسينية في دائرة المعارف القرآنية

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي

مقال توصيفي نقدي للنصوص المتعلّقة بسيّد الشهداء عليه السلام في دائرة المعارف القرآنية، افتتحه الكاتب بمقدّمة أشار فيها إلى حجم الاهتمام الذي تتمتع به النهضة الحسينية من قِبل الباحثين والكتّاب، وقد لفت نظره وجود بعض النصوص المتعلّقة بسيّد الشهداء عليه السلام في دائرة المعارف القرآنية، فتصدّى لتتبّعها والتعليق عليها ونقدها بشكل مختصر، مقدّماً تعريفاً بكاتب كلّ نصّ.

وقد تلا ذلك نبذة عن دائرة المعارف القرآنية التي تُعتبر أحدث موسوعة أنتجها المستشرقون في الدراسات الإسلامية، وأكثرها تخصّصاً.

وفيما يرتبط بالنصوص ذات الارتباط بالشعائر الحسينية استعرض الكاتب خمسة نصوص جاءت في سياق مقالات ذات ارتباط بالموضوعات القرآنية بالدرجة الأُولى.

كان النصّ الأوّل والثاني لـ(فاليري هوفمان) كاتبة مقال (الأعياد والمناسبات)، ومقال (الشفاعة)، وقد استعرض الكاتب الأُمور الإيجابية والسلبية في النصّين، متطرّقاً إلى أبعاد إحياء شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ونظرية الفداء المسيحية، وتاريخ مراسم الشبيه، والمواكب الحسينية، ونظرية جلد الذات.

أما النصّ الثالث فلكاتب مقال: (بني إسرائيل)، وهو البروفيسور (يوري روبين) الأُستاذ المتقاعد في جامعة تل أبيب.

والنصّ الرابع للدكتور (ويم راون) كاتب مقال (الشهيد)، مقارناً بين معنى الشهيد في الإسلام السنّي والمسيحية.

وفي إطار التعليق على النصّ تعرّض الكاتب لرونق الشهادة عند الشيعة، وصفة الخلاص، وسبب مكانة الإمام عليه السلام الحسين عند الشيعة.

وأخيراً كان النصّ الخامس من نصيب الدكتورة (باربرا ستواسر) كاتبة مقال (مريم)، مقارنة بين نبيّ الله عيسى والإمام الحسين عليهما السلام، وقد ذهب الكاتب إلى أنّ المقارنة بينهما تتجسّد في الناحية العقائدية والفكرية، ولا علاقة لها بما يطرح في المسيحية تحت عنوان الألم أو الفداء.

وفي الخاتمة حاول الكاتب تلخيص أهمّ النقاط والنتائج التي تضمّنها المقال.

The Display of Husayni Rites in the Encyclopedia of the Quran

Dr. Shaykh Haidar Khammas al-Saidi

A critical, descriptive article of the texts concerned with the Master of the Martyrs (PBUH) in the *Encyclopedia of the Quran*. The writer begins with an introduction in which he addresses the amount of attention the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) enjoys from the researches and writers, where some texts concerned with the Master of the Martyrs (PBUH) in the *Encyclopedia of the Quran* caught the writer's attention.

Therefore the writer took upon himself to follow these texts and shortly comment and critically review them, beginning with a brief introduction of the texts and the *Encyclopedia of the Quran,* mentioning that the encyclopedia is considered to be the latest encyclopedia established by the orientalist in the Islamic studies, and the most specialized one.

Regarding the articles related to the Husayni Rites, the writer presents five texts that appear in the context of articles related primarily to Quranic topics.

The first and second text was from the articles, *Festivals and Commemorative Days* and *Intercession* authored by Valerie J. Hoffman. The writer reviews the positive and negative elements of the two texts, mentioning the dimensions of commemorating the martyrdom of Imam al-Husayn (PBUH) and the theory of Christian self-sacrifice. In addition to the history of the Simulating Rites, the Husayni procession and caravans, and the theory of self-abasement.

The third text was from the article *Children of Israel* by Uri Rubin, professor emeritus at Tel Aviv University.

The fourth text was from the article *Martyrs* by Wim Raven, in which the author compares the meaning of martyrdom in Sunni Islam and Christianity. In the context of commenting on the text, the writer addresses the glamour of martyrdom in Shia Islam, the quality of salvation, and the reason for Imam al-Husayn's status among Shiites.

Lastly, the fifth text follows, which is from the Dr. Barbara Freyer Stowasser's article *Mary* – a comparison between the Prophet of God, Jesus (PBUH), and Imam al-Husayn (PBUH), where the writer believes that the comparison between them is manifested in the theological and intellectual aspect, and has less to do with what is being presented in Christianity under the titles of pain or self-sacrifice.

At the conclusion of the article, the writer attempts to summarize the most important results of the article.

دور الشباب في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عبد الله أحمد اليوسف

يتناول هذا البحث الدور الذي قام به الشباب في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ومشاركتهم المؤثّرة في واقعة كربلاء، حيث كان العنصر الغالب في الجيش الحسيني من فئة الشباب، تلك الشريحة الأكثر فاعلية ونشاطاً، والأقدر على مواجهة الأعداء، والتصدّي للمخاطر.

وقد تركّز الكلام في المبحث الأوّل على بيان مفهوم الشباب من حيث اللغة والاصطلاح وفي الاستعمال القرآني.

ثمّ أشار الباحث في المبحث الثاني إلى اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بالشباب؛ إذ كان يتفقّد أحوالهم الاجتماعية، ويوليهم عناية خاصة.

ثمّ استعرض في المبحث الثالث نماذج من شباب كربلاء، بصفتهم الفئة الغالبة في أنصار الإمام الحسين عليه السلام، مكتفياً بثلاثة نماذج بارزة، وهم: علي الأكبر بن الحسين عليه السلام، والقاسم بن الحسن عليه السلام، وعبد الله بن مسلم بن عقيل.

وفي المبحث الرابع والأخير، الذي يحمل عنوان: واجبات الشباب اليوم، تمّت الإشارة إلى واجبات الشباب في هذا العصر، وفي كلّ عصر، انطلاقاً من دروس النهضة الحسينية، وتضحيات الشباب في واقعة كربلاء، وهي: تعزيز المنظومة القيمية والأخلاقية، والتخلّق بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام، والاقتداء بسيرته العظيمة، وتحمّلهم للمسؤولية تجاه أنفسهم ومجتمعهم، والتميّز بالعلم والتفوّق فيه؛ فالعلم هو قوّة الحاضر والمستقبل.

ونهاية المطاف كانت (الخاتمة) التي اشتملت على استخلاص أهمّ النتائج المستوحاة من خلال البحث.

The Role of the Youth in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)

Dr. Shaykh Abdullah Ahmad al-Yousef

This research addresses the role of the youth in the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) and their influential participation at the Event of Karbala, as the majority of the Husayni army were young people. A segment more effective and affective than others, and more capable of confronting the enemies and facing the dangers.

In the first object of research, the linguistic and terminological definitions, alongside the Quranic usage of the understanding of *youth,* are articulated.

After that, in the second object of research, the writer mentions Imam al-Husayn's interest in youth, as he (PBUH) would ask into their social life, and pay special attention to them.

In the third object of research, the writer presents some of the youths of Karbala, since they were the majority among the supporters of Imam al-Husayn (PBUH). He suffices with mentioning three young men, Ali al-Akbar, son of al-Husayn (PBUH), al-Qasim, son of al-Hasan (PBUH), and Abdullah, son of Muslim Bin Aqeel.

In the fourth and last object of research named, *The Duties of the Youth Today*, the duties of the youth in this and every era, are addressed based on the lessons from the Husayni uprising and the sacrifices of the youths at the Event of Karbala. These duties are; strengthening code of values and ethics, behave in accordance with Imam al-Husayn's ethics, follow his great conduct, take responsibility for oneself and one's society, and excel in science, as science is the power of the present and the future.

At the end of the article, the writer summarizes the most important results reached through this research.

أزواج الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة تاريخية تحليلية

الحلقة الأُولى: شاهزَنان الساسانية

شاكر الغزي

افتتح الكاتب مقاله بمقدمة قصيرة ذكر فيها أنّ السيّدة شاهزنان هي الزوجة الثالثة للإمام الحسين عليه السلام، بعد الرباب الكلبية وأُمّ جعفر القضاعية، وأنّ اسمها يذكر في صدارة زوجات الإمام الحسين عليه السلام؛ لكونها أُمّاً للإمام السجّاد عليه السلام.

ثم تطرّق لخمس نواحٍ وقع فيها الخلاف، وهي: اسمها، ونسبها، وبلدها، وحُرّيتها، وزمن سبيها.

وفيما يرتبط بتحليل أسباب الخلاف أرجع ذلك إلى سببين، هما: خلط المؤرّخين بينها وبين مربّية الإمام السجاد عليه السلام، واختلاف الروايات المذكورة في قصّة أسرها، ثمّ زواجها بالإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا انتهى إلى الحديث عن الروايات المتفاوتة في زمن سبيها، وهي نقطة الخلاف الخامسة، وهي ثلاث روايات رئيسة، على أنّ هناك روايات أُخرى، ولكنّها تنتهي إلى واحدة من هذه الثلاث، وقد حاول السير بخطوات وئيدة مع الروايات؛ وصولاً إلى حيث يقود الدليل.

وتحت عنوان أُمّ السجّاد ذكر أنّ السيّدة شاهزنان توفيت في نُفاسها بالإمام السجاد عليه السلام، ولذلك رفض كلّ ما نُسب إليها من أولاد يَصْغُرون زين العابدين عليه السلام، وقد توفيت في المدينة سنة (٣٣هـ)، ودفنت في البقيع.

وقبل الختام أشار إلى أن سيرة السيّدة شاهزنان كانت مسرحاً خصباً للنزاعات العصبية والتخاصمات العنصرية والشعوبية.

وفي خاتمة المقال تعرّض لخلاصة ما تضمّنه البحث، مقرّاً بما عليه اتفاق النسّابة والمؤرّخين من أنّ أُمّ الإمام السجّاد عليه السلام فارسية ساسانية، وأنّ اسمها شاهزنان أو شهربانو، أمّا كونها ابنة آخر ملوك الفرس كسرى يزدجرد ففيه خلاف.

The Wives of Imam al-Husayn (PBUH)

A Historical Analytical Study

Part One: Shahzanan, the Sassanid

Shaker al-Ghezzi

The writer begins his article with a short introduction in which he mentions that Lady Shahzanan was the third wife of Imam al-Husayn (PBUH), after al-Rabab al-Kalbiya and Umm Jaafar al-Qadha'iya, and that her name is always mentioned first when addressing the wives of Imam al-Husayn (PBUH) since she was the mother of Imam al-Sajjad (PBUH).

After that, he addresses five aspects where disagreement has occurred: her name, lineage, country, freedom, and time of captivity.

Regarding analyzing the cause of the disagreement, the researcher believes that two factors caused these disagreements. Firstly, the historians confused her with the nursemaid of Imam al-Sajjad (PBUH), secondly, the different reports regarding the story of her captivity before her marriage with Imam al-Husayn (PBUH).

The writer then addresses the different reports regarding the time of her captivity, the fifth point of disagreement. He addresses three key reports, whereas others exist; however, they all originate from one of those three. The writer attempts to follow those reports meticulously to wherever the evidence would take him.

The writer then mentions, under the subject, *The Mother of al-Sajjad*, that Lady Shahzanan died in her postpartum period after having giving birth to Imam al-Sajjad (PBUH). Therefore he rejects that she had had other children younger than Imam al-Sajjad (PBUH). He mentions that the Lady died year 33 HE. and was buried in al-Baqi Cemetery.

Before the end of his article, the writer mentions that the life of Lady Shahzanan was a rich scene for partisan disputes and racist and nationalistic conflicts.

At the end of the article, he summarizes his research and acknowledges what the genealogists and historians agreed upon of the mother of Imam al-Sajjad (PBUH) being Persian and Sasanian and that her name was Shahzanan or Shaharbanu. However, the writer mentions that there is disagreement regarding her being the daughter of the last Persian Sasanian king, Yazdegerd III, grandson of Khosrow II.

مشهد المُحسن بن الإمام الحسين عليه السلام بحلب

دراسة في التاريخ والعمارة

د. أحمد خامه يار

تناول الكاتب موضوع مشهد المحسن عليه السلام ضمن مقدمة بيّن من خلالها بأنّه من أقدم الآثار المعمارية الإسلامية في مدينة حلب، وأنَّه يُنسَب إلى أحد أبناء الإمام الحسين عليه السلام. ثمّ تطرّق ـ بعد ذلك ـ إلى مجموعة عناوين سلّطت الضوء على ذلك المشهد من الناحية الجغرافية والتاريخية والمعمارية، فذكر تحت عنوان: (موقع المشهد) أنّه يقع في حي (جبّ الجلبي) في النصف الغربي لمدينة حلب، وأنّ الموقع الجغرافي للمشهد هو عبارة عن جبل صغير عُرف قديماً بجبل جوشن، محطّ رحال سبايا أهل البيت بعد واقعة عاشوراء على ما أكّدته المصادر التاريخية. كما ذكر تحت عنوان: (أسماء المشهد) الأسماء التي أُطلقت على المشهد، مشيراً إلى سبب التسمية. وأمّا فيما يتعلّق بعنوان: (سبب ظهور المشهد وتاريخ بنائه) فقد ذكر الكاتب بأنّ النصّ التاريخي الوحيد الذي يُوضِّح كيفية ظهور المشهد وسبب بنائه، هو ما ذكره لنا المؤرِّخ الحلبي من أن الأمير سيف الدولة الحمداني هو مَن بنى هذا المشهد في سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) بعد حادثة وردت تفاصيلها في صفحات هذا المقال.

ثمَّ أجاب عن السؤال القائل: (هل للحسين عليه السلام ولد اسمه المحسن؟) وبيَّن أنّه بالرجوع إلى الحادثة التي ذكرها ابن أبي طي حول كيفية ظهور قبر المحسن في حلب، ومع ملاحظة قرب عهد المؤرِّخ المذكور بالحادثة المذكورة وعدم احتمال تعمِّده الكذب، تجعلنا نميل إلى وجود ولد للإمام الحسين عليه السلام اسمه المحسن.

أمّا العناوين الأربعة الأخيرة فقد تطرق فيها إلى المراحل التاريخية التي مرّ بها

بناء هذا المشهد وعمارته، والتي ترجع إلى العهود السلجوقية والأيّوبية والمملوكية والعثمانية، كما تناول فيها الوصف المعماري للمشهد والكتابات الأثرية الموجودة فيه، والتي تؤرِّخ للعهود المذكورة أعلاه، مختتماً كلامه ببيان الأهمّية التاريخية والمعمارية للمشهد.

The Landmark of al-Muhassen, son of Imam al-Husayn (PBUH), in Aleppo

– A Study in its History and Architecture

Dr. Ahmad Khameyar

The writer addresses the landmark of al-Muhassen (PBUH) and begins with an introduction in which he articulates that the landmark is among the oldest Islamic architectural monuments in the city of Aleppo and is attributed to one of Imam al-Husayn's sons (PBUT). After that, the writer addresses a series of topics that focusses on the landmark from a geographical, historical, and architectural perspective.

Thus, under the topic *The Location of the Landmark*, he mentions that it is located in the area of Jubba al-Jalabi on the west side of the city of Aleppo. The geographical site of the landmark is a small mountain, known for a long time as Mount Jawshan. The captives taken from the Household (PBUT), after the event of Ashura, passed by this mountain such as historical sources have confirmed. The writer also mentions the different names of the site under the topic *The Names of the Landmark*, where he also mentions the reason behind each name. Then follows, *The Reason Behind the Discovery of the Landmark and the Date of its Construction* where the writer mentions that the only historical source explaining the discovery of the landmark, and the reason behind its construction, is the chronicler Ali Bin Burhan al-Deen al-Halabi's report. Al-Halabi mentions that the emir, Saif al-Dawla al-Hamadani, was the one who built this site year 35 HE/962 CE after an incident mentioned in the article.

The writer then answers the following question; did Imam al-Husayn (PBUH) have a son named al-Muhassen? The writer mentions, that by looking into the incident, which the historian Ibn Abi Tay mentions regarding how the grave of al-Muhassen was found in Aleppo and noting that his era was close to the occurred incident, in addition to the unlikelihood of him lying; makes us incline toward believing in the existence of a son to Imam al-Husayn (PBUH) named al-Muhassen.

In the last four objects of research, the writer addresses the historical phases the construction of the landmark went through. The periods go back to the eras of the Seljuks, the Ayyubids, the Mamluks, and the Ottomans. The writer also addresses the architecture of the landmark and the archeological writings there, which goes back to the mentioned eras. At the end of the article, he mentions the historical and archeological significance of the landmark.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي
الإصلاح الحسيني
مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية